
تيموثي دبليو ريباك
مكتبة هتلر
الشخصية
ترجمة:
سارة سلامة
دراسة

مكتبة هتلر الشخصية

ألكـا

تيموثي دبليو ريباك

مكتبة هتلر الشخصية

ترجمة:

سارة سلامة

ألكا

مكتبة هتلر الشخصية

دراسة

الطبعة الأولى: 2022

تنفيذ الغلاف والإخراج الفني: ألكا

Hitler's Private Library

ISBN: 978-9922-9135-9-9

مكتب بروكسل: 0032487333747

مكتب بغداد: 009647711200022

مكتب دمشق: 00963949376523

مكتبة دار ألكا

بغداد شارع المتنبي عمارة الميالي

ألكا ALCA

Alca Books

Avenue Anspach 28, Bruxelles 1000

Bruxelles/ La Belgique

www.daralca.com/ info@daralca.com

إلى والدتي

التي علمتني حب الكتب

وإحياء لذكرى والدي.

القليل من المعرفة شيء خطير.
اشرب بعمق، أو لا تتذوق من نبع بييري؛[1]
هناك، تثمل تياراته الضحلة الدماغ،
والشرب الكثير يصحينا من جديد.

ألكسندر بوب، "القليل من المعرفة"

أعرف أشخاصاً "يقرؤون" كثيراً، كتاباً مقابل كتاب، حرفاً بحرف، ومع ذلك لا أصفهم بأنهم "قراء جيدون". صحيح أنهم يمتلكون قدراً هائلاً من "المعرفة"، لكن دماغهم غير قادر على تنظيم وتسجيل المواد التي تشرَّبوها. ويفتقرون إلى فن غربلة ما هو ذو قيمة بالنسبة لهم في الكتاب من الذي لا قيمة له، والاحتفاظ به إلى الأبد، وإذا أمكن، طرح البقية.

أدولف هتلر، "كفاحي"

1 حسب الأساطير اليونانية، فهو نبع مقدس في مقدونيا القديمة، ويُشار إليه على أنه المصدر المجازي للمعرفة والفنون والعلوم، ويُفترض أنه يمنح الإلهام لكل من يشرب منه. م

مقدمة

الرجل الذي أحرق الكتب

مثلت المكتبة بالنسبة له ينبوع بييري، ذلك المصدر المجازي للمعرفة والإلهام. كان يرسم بعمق هناك، ويخمد مخاوفه الفكرية، ويغذي طموحاته المتعصبة. كان يقرأ بنهم، كتاباً واحداً على الأقل في الليلة، وأحياناً أكثر من ذلك، على حد زعمه. قال ذات مرة: "عندما يعطي المرء يجب أن يأخذ أيضاً، وأنا آخذ ما أحتاجه من الكتب".

لقد صنف دون كيشوت من بين الأعمال العظيمة في الأدب العالمي، جنباً إلى جنب مع روبنسون كروزو، كوخ العم توم، ورحلات غاليفر قال: "كل واحد من هذه الكتب هو في حد ذاته فكرة عظيمة". في روبنسون كروزو، أدرك "تطور تاريخ البشرية بأكمله". التقط دون كيشوت "ببراعة" نهاية حقبة. كان يمتلك طبعات مصورة لكلي الكتابين، وقد أُعجب بشكل خاص بتصورات غوستاف دوريه الرومانسية لبطل سرفانتس المبتلى بالأوهام.

كما امتلك الأعمال الكاملة لـ وليم شكسبير، التي نُشرت مترجمة إلى الألمانية في العام 1925 من قبل جورج مولر، كجزء من سلسلة تهدف لإتاحة الأدب العظيم لعامة الناس. يتضمن المجلد السادس مسرحيات: "كما تشاء"، "الليلة الثانية عشرة"، "هاملت"، "تريليوس"، "كرسيدا"، والمجموعة بأكملها مغلفة بجلد مغربي مشغول يدوياً، منقوش بنسر ذهبي محاط بالأحرف الأولى من اسمه على الكعب.

لقد اعتبر شكسبير متفوقاً على غوته وشيلر من جميع النواحي. بينما كان شكسبير قد غذى خياله بشأن القوى الأولية للإمبراطورية البريطانية الناشئة،

فقد بدد هذان الشاعران والكاتبان المسرحيان التيوتونيان[2] موهبتهما على قصص أزمات منتصف العمر، والتنافس بين الأشقاء. لقد تساءل ذات مرة، لماذا أنتج عصر التنوير الألماني ناثان الحكيم، قصة الحاخام الذي يصالح المسيحيين والمسلمين واليهود، بينما ترك لشكسبير أن يقدم للعالم تاجر البندقية وشيلوك؟

يبدو أنه قد أعجب بـ هاملت، فقد كانت عبارة "أكون أو لا أكون" هي العبارة المفضلة، كما عبارة "إنها هيكوبا بالنسبة لي". كان مغرماً بشكل خاص بيوليوس قيصر. في كرّاسة رسم عام 1926، قام برسم مرحلة مفصلة للفصل الأول من مأساة شكسبير، بواجهات شريرة تحيط بالميدان حيث تم إعدام قيصر. "سنلتقي مرة أخرى في فيليبي"، هدد أحد الخصوم في أكثر من مناسبة، منتهكاً التحذير الطيفي لبروتوس بعد مقتل قيصر. وقيل إنه احتفظ بإيديس مارس[3] من أجل اتخاذ قرارات بالغة الأهمية.

احتفظ بمجلدات شكسبير في مكتبه في الطابق الثاني من منتجعه في الألب في جنوب ألمانيا، جنباً إلى جنب مع نسخة جلدية لكاتب آخر مفضل، هو روائي المغامرة كارل ماي (Karl May). يتذكر ذات مرة "أول رواية قرأتها لكارل ماي كانت *The Ride Across the Desert* / رحلة عبر الصحراء". قال، "كنت غارقاً بها! ألقيت بنفسي بين صفحاتها على الفور مما أدى إلى انخفاض ملحوظ في درجاتي الدراسية". في وقت لاحق من حياته، قيل إنه

2 طائفة عسكرية مسيحية ألمانية. تأسست سنة 1190 كمنظمة تمريضيّة لكنها تحولت إلى نمط فرسان المعبد وفرسان الإسبتارية، وشاركت في الحروب الصليبية مثلهم، وكان لها مقر في عكا. اعترف بها البابا سنة 1191، وفي سنة 1198 أقامت نظاماً عسكرياً. أهم مراكزها كانت في الشام في أنطاكيا وطرابلس. سنة 1210 قتل معظم فرسانها وقادتها، فعُزل أعضاؤها إلى عكا ودخلوا في منافسة مع فرسان المعبد والإسبتارية الذين كانت مكانتهم أعلى.

3 يوم في التقويم الروماني، يتوافق مع 15 مارس. تميّز بالعديد من الاحتفالات الدينية، وكان معروفاً بالنسبة للرومان كموعد نهائي لتسوية الديون. في عام 44 ق.م، اشتهر بتاريخ اغتيال يوليوس قيصر الذي جعل من إيديس مارس نقطة تحول في التاريخ الروماني.

سعى للحصول على السلوان في كتابات كارل ماي كما يبحث الآخرون عن العزاء في الكتاب المقدس.

كان ضليعاً في الكتاب المقدس، وكان يمتلك مجلداً رائعاً بشكل خاص، مرفقاً بـ كلمات المسيح (*Worte Christi*)، منقوشاً بالذهب على غطاء من جلد العجل ذي اللون الكريمي، والذي لا يزال حتى اليوم ناعماً مثل الحرير. كما امتلك أيضاً ترجمة ألمانية لكتاب هنري فورد (Henry Ford) المعادي للسامية، اليهودي الدولي: المشكلة الأولى في العالم، وكتيِّب عام 1931 عن الغازات السامة، مع فصل يشرح صفات وتأثيرات حمض البروسيك، الخانق القاتل الذي تم تسويقه تجارياً باسم زيكلون بي. على سريره، احتفظ بنسخة مهترئة من الرسوم المتحركة ماكس وموريتز لـ فيلهلم بوش (Wilhelm Busch).

قال والتر بنجامين مرة إنه يمكنك معرفة الكثير عن شخص ما من خلال الكتب التي يحتفظ بها - أذواقه واهتماماته وعاداته. الكتب التي نحتفظ بها وتلك التي نتجاهلها، وتلك التي نقرؤها، وكذلك تلك التي نقرر عدم قراءتها، كلها تقول شيئاً عن هويتنا. بصفته ناقداً ثقافياً ألمانياً يهودياً، وُلِد في عصر كان من الممكن فيه أن يكون المرء "ألمانياً" و"يهودياً"، كان بنجامين يؤمن بالقوة المتعالية لـ الثقافة/ Kultur. لقد كان يعتقد أن التعبير الإبداعي لا يثري ويضيء العالم الذي نعيش فيه فحسب، بل يوفر أيضاً الجسر الثقافي الذي يربط جيلاً بالجيل التالي، وهو عرض يهودي جرماني للحكمة القديمة: الإنسان يفنى والفن يبقى / *Ars longa, vita brevis*.

كان بنجامين يكنُّ احتراماً كبيراً للكلمة المكتوبة - المطبوعة والمجلدة. كان يحب الكتب. لقد كان مفتوناً بجسديّتها، بقوتها، بأصلها. لقد قال إن جامعاً ذكياً يمكنه أن "يقرأ" كتاباً بالطريقة التي يحلل بها عالم الفسيولوجيا جوهر شخصية الفرد من خلال سماته الجسدية. لاحظ بنجامين أن "التواريخ، وأسماء الأماكن، التصاميم، والمالكين السابقين، والارتباطات، وما شابه ذلك، كل هذه

التفاصيل يجب أن تقول شيئاً ما - ليس كحقائق جافة منعزلة، ولكن ككل متناغم". باختصار، بإمكانك الحكم على الكتاب من غلافه، وبالمقابل الحكم على الجامع وفقاً لمجموعته. نقلاً عن هيجل، لاحظ بنجامين، "إن بومة منيرفا لا تبدأ بالطيران إلا بعد أن يرخي الليل سدوله"، وخلص إلى أنه "فقط في الانقراض يُدرك الجامع".

عندما لمّح بنجامين إلى فيلسوف ألماني من القرن التاسع عشر، إلهة رومانية، وبومة، كان يشير بالطبع إلى مقولة جورج فيلهلم فريدريش هيجل الشهيرة: "إن بومة منيرفا لا تطير إلّا عند الغسق"، والتي يعني هيجل من خلالها أن الفلسفة لا يمكن أن تبدأ إلا بعد أن تأخذ الأحداث مجراها.

شعر بنجامين أن الأمر نفسه ينطبق على المكتبات الخاصة. فقط بعد أن وضع الجامع كتابه الأخير على الرف ومات، عندما سُمح لمكتبته بالتحدث عن نفسها، بعيداً عن تشويش المالك وإزعاجه، يمكن للمجلدات الفردية أن تكشف عن المعرفة "المحفوظة" لمالكها: كيف أكد ملكيته لها، مع كتابة أحرف على الغلاف الداخلي، أو بطاقة باسم المالك تم لصقها على صفحة كاملة؛ سواء قام بطويها، أو حافظ على الصفحات غير مقصوصة وغير مقروءة.

اقترح بنجامين أن تكون المكتبة الخاصة بمثابة شاهد دائم وذي مصداقية على شخصية جامعها، مما قاده إلى التصور الفلسفي التالي: نحن نجمع الكتب اعتقاداً بأننا نحافظ عليها بينما الكتب في الواقع هي التي تحافظ على جامعها. "ليست الكتب من تحيا في صاحبها"، أكد بنجامين، "بل هو من يعيش فيها".

في النصف الأخير من القرن، احتلت بقايا مكتبة أدولف هتلر مساحة على الرفوف، في ظل غموض مناخي في قسم الكتب النادرة بمكتبة الكونغرس. المئات من المجلدات الباقية، والتي كانت ذات يوم تزين خزائن كتب هتلر في مكتباته الثلاث المجهزة بأناقة -الألواح الخشبية، والسجاد السميك، والمصابيح

النحاسية، والكراسي ذات الأذرع المحشوة- في المساكن الخاصة في ميونيخ، وبرلين، وأوبرسلازبيرغ بالقرب من بيرشتسجادن، تقف الآن في صفوف مزدحمة بكثافة على أرفف فولاذية في منطقة تخزين غير مزخرفة وخافتة الإضاءة، في مبنى توماس جيفرسون وسط مدينة واشنطن، على مرمى حجر من واشنطن مول، وعلى الجانب الآخر من الشارع مقابل المحكمة العليا للولايات المتحدة.

لقد تم قطع أعصاب المنطق العاطفي التي كانت تربط هذه المجموعة - قام هتلر بخلط كتبه بلا توقف وأصر على إعادة ترتيبها بنفسه. تم وضع نسخة هتلر الشخصية من سلسلة نَسَب عائلته بين مجموعة مجلدة من المقالات الصحفية بعنوان *Sunday Meditation* ومجموعة من الرسوم الكاريكاتورية السياسية من عشرينيات القرن الماضي. توجد نسخة طبق الأصل مجلَّدة بشكل رائع من رسائل فريدريك العظيم، المصمَّمة خصيصاً للاحتفال بعيد ميلاد هتلر الخمسين، على رف لكتبٍ كبيرة الحجم أسفل مجلد ضخم كذلك عن مدينة هامبورغ وتاريخ مصوَّر للبحرية الألمانية في الحرب العالمية الأولى. نسخة هتلر من كتابات الجنرال البروسي الأسطوري كارل فون كلاوزفيتز، الذي أعلن أن الحرب كانت سياسة بوسائل أخرى، تشترك في مساحة الرف بجانب كتاب طهي نباتي فرنسي نُقش عليه "السيد هتلر النباتي".

عندما أجريتُ لأول مرة مسحاً لكتب هتلر المتبقية، في ربيع عام 2001، اكتشفت أنه قد تمت فهرسة أقل من نصف المجلدات، وأنه يمكن البحث عن مائتين منها فقط في فهرس مكتبة الكونغرس على الإنترنت. تم إدراج معظمها في بطاقات الفهرس القديمة وما زالت تحمل نظام الترقيم الخاص الذي تم تخصيصه لها في خمسينيات القرن الماضي.

في جامعة براون، في بروفيدنس، رود آيلاند، وجدت ثمانين كتاباً آخر لهتلر في حالة مماثلة من الإهمال الحميد. صودرت من ملجئه في برلين في ربيع

عام 1945 على يد ألبرت آرونسون (Albert Aronson)، وهو من أوائل الأمريكيين الذين دخلوا برلين بعد هزيمة ألمانيا، وتبرَّع بهم ابن أخ آرونسون إلى جامعة براون في أواخر السبعينيات. يتم تخزينها اليوم في قبو سفلي، جنباً إلى جنب مع نسخة والت ويتمان الشخصية من أوراق العشب، والمخطوط الأصلي لجون جيمس أودوبون طيور أمريكا.

من بين الكتب في جامعة براون، وجدت نسخة من كفاحي *Mein Kampf* مع فواصل للكتب كان يجمعها هتلر، تحليل لـ أوبرًا بارسيفال (*Parsifal*) من تأليف فاغنر نُشر في عام 1913، وتاريخ الصليب المعقوف من عام 1921، ونصف دزينة أو نحو ذلك من المجلدات الروحية والغامضة التي حصل عليها هتلر في ميونيخ في أوائل العشرينيات من القرن الماضي، بما في ذلك سرد لأحداث خارقة للطبيعة، الموتى على قيد الحياة! ودراسة عن نبوءات نوستراداموس[4]. اكتشفت كتباً إضافية لهتلر مبعثرة في أرشيفات عامة وخاصة عبر الولايات المتحدة وأوروبا.

تحتوي عشرات من كتب هتلر الباقية على هوامش. هنا واجهت رجلاً اشتُهر بأنه لم يستمع أبداً لأي شخص، حيث كانت المحادثة بالنسبة له خطبة مسهبة، مناجاة لا تنقطع، وقد توقف مؤقتاً للتفاعل مع النص، لتحديد الكلمات والجمل، لتظليل فقرات كاملة، لوضع علامة تعجب بجانبها. فقرة واحدة، وعلامة استفهام بجانب أخرى، وفي كثير من الأحيان سلسلة مؤكدة من الخطوط المتوازية في الهامش جنباً إلى جنب مع فقرة معينة. مثل آثار الأقدام في الرمال، تسمح لنا هذه العلامات بتتبُّع مسار الرحلة، ولكن ليس

4 صيدلاني ومنجِّم فرنسي. نشر مجموعات من النبوءات في كتابه Prophetics. وصدرت الطبعة الأولى في عام 1555 والتي أصبحت منذ ذلك الحين مشهورة في أنحاء العالم. ويحتوي الكتاب تنبؤات بالأحداث التي اعتقد أنها ستحدث في زمانه، كما تنبأ بنهاية العالم الذي توقع أن يكون في عام 3797 م. وكان يقوم بكتابة الأحداث على شكل رباعيات غير مفهومة.

بالضرورة النية، أين جُذب انتباهه وتأمل، وأين اندفع إلى الأمام، وأين انتهى في النهاية.

في طبعة جديدة لكتاب "المقالات الألمانية" لبول لاغارد (Paul de Lagarde) الصادرة عام 1934، وهي سلسلة من المقالات في أواخر القرن التاسع عشر التي دعت إلى الإزالة المنهجية للسكان اليهود في أوروبا، وجدت أكثر من مائة صفحة من التعليقات المكتوبة بقلم رصاص، بدءاً من الصفحة 41، حيث يدعو لاغارد إلى "نقل" اليهود الألمان والنمساويين إلى فلسطين، والتوسع في المزيد من المقاطع المشؤومة التي يتحدث فيها عن اليهود على أنهم "وباء". كتب لاغارد في الصفحة 276 بقلم رصاص مشيراً إلى تأكيد صريح في الهامش: "يجب القضاء على بعوض المياه هذا من مجاري المياه والبحيرات. يجب القضاء على النظام السياسي الذي لا يمكن أن يوجد من دونهم".

وصف المؤرخ البريطاني إيان كيرشو (Ian Kershaw) هتلر، بأنه أحد أكثر الشخصيات التي يصعب اختراقها في التاريخ الحديث. كتب كيرشو: "مزيج السرية الفطرية لهتلر، خواء علاقاته الشخصية، وأسلوبه غير البيروقراطي، وأقصى درجات التملق والكراهية التي أثارها، والاعتذارات والتشويهات المبنية على مذكرات ما بعد الحرب، والشائعات التي أطلقها أولئك الموجودون في حاشيته، تعني أنه بالنسبة لجميع الجبال الباقية من الورق التي أطلقتها الأجهزة الحكومية للرايخ الثالث، فإن مصادر إعادة بناء حياة الدكتاتور الألماني محدودة للغاية في كثير من النواحي - أكثر بكثير مما كانت عليه في حالة خصومه الرئيسيين، على سبيل المثال، تشرشل وحتى ستالين".

تحتوي مكتبة هتلر بالتأكيد على نصيبها من المواد "المتقيِّئة". يتكون ثلثا المجموعة بسهولة من كتب لم يَرَها مطلقاً، ناهيك عن قراءتها، ولكن هناك أيضاً عشرات من المجلدات الشخصية التي درسها هتلر ووضع علامة عليها. كما أنه يحتوي على تفاصيل صغيرة، ولكنها معبرة. أثناء الاطلاع على

المجلدات غير المعالجة في مجموعة الكتب النادرة بمكتبة الكونغرس، صادفتُ كتاباً تم إتلاف محتوياته الأصلية. تم تثبيت الغلاف الأمامي والخلفي بإحكام على الكعبية بغطاء من الكتان الثقيل، وكان يحمل عنوان شمال ووسط وشرق آسيا: كتيِّب العلوم الجغرافية، منقوش بالذهب على خلفية زرقاء. تم استبدال الصفحات الأصلية بحزمة من المستندات المزدحمة: عشرات الصور الفوتوغرافية أو نحو ذلك، ومخطوطة مكتوبة بخط اليد غير مؤرخة بعنوان "حل المسألة الألمانية"، وملاحظة موجزة مكتوبة على بطاقة عرض نصَّها:

قائدي:

في الذكرى الرابعة عشرة لليوم الأول الذي وطئت فيه قدمك شتيرنيكر، تقدم لك السيدة غار قائمة بزملائك المقاتلين الأوائل. إننا مقتنعون بأن هذه الساعة هي ساعة ميلاد حركتنا الرائعة وولادة الرايخ الجديد. مع الولاء حتى الموت.

زيغ هايل![5]

الرفاق القدامى

لم تحمل البطاقة أي تاريخ وكانت قائمة أعضاء الحزب النازي الأوائل مفقودة، لكن ذكر "السيدة غار"، على الأرجح زوجة أوتو غار، صائغ الذهب، الذي كلّفه هتلر بصب أول صلبان معقوفة للحزب النازي، بالإضافة إلى الإشارة إلى الذكرى السنوية الرابعة عشرة لظهور هتلر الأول في ساحة شتيرنيكر (Sterneckerbräu)، يحفظ في موجز الخطوط العريضة مسار هتلر من سياسي مغرور في عام 1919 إلى مستشار الرايخ الألماني في عام 1933.

لهذا الكتاب، اخترتُ المجلدات الباقية التي كانت لها أهمية عاطفية أو

5 التحية النازية، أو تحية هتلر. وأطلق عليها الحزب النازي أيضاً اسم التحية الألمانية.

فكرية لدى هتلر، تلك التي شغلت أفكاره في ساعاته الخاصة وساعدت في تشكيل كلماته وأفعاله العامة. أحد أقدم هذه الكتب هو كتاب إرشادي حصل عليه مقابل أربع ماركات، في يوم اثنين كئيب في أواخر نوفمبر 1915، بينما كان يعمل كعريف يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً على الجبهة الغربية. آخرها هو سيرة ذاتية كان يقرؤها بعد ثلاثين عاماً، في الأسابيع التي سبقت انتحاره في ربيع عام 1945. لقد حاولتُ أن أكون حصيفاً في اختياري لمجلدات هتلر، وأختار فقط تلك الكتب التي يوجد دليل مقنع على أنها كانت في حوزة هتلر. لقد اتخذت نفس الحذر عندما تعلق الأمر بالهوامش، حيث لا يمكن بالضرورة تحديد "مؤلف" التدخلات المبطنة بقلم الرصاص بشكل حاسم. مرة أخرى، لقد اعتمدتُ على الأدلة الداعمة، وناقشتُ الحالات الفردية في النص، معتمداً -عند توفرها- على نتائج دراسات سابقة. لجعل العناوين في متناول القارئ غير الألماني، أستخدم عموماً الترجمات الإنجليزية للعناوين الأصلية، باستثناء الحالات الواضحة مثل كتاب هتلر، كفاحي *Mein Kampf* أو *My Struggle*.

بشكل فردي، تساعد هذه الكتب في إلقاء الضوء على تلك القضايا التي شغلت هتلر في ساعاته الأكثر خصوصية، غالباً في لحظات محورية في حياته المهنية. بشكل جماعي تفي الكتب بوعد بنجامين، مما يسمح لنا بإلقاء نظرة خاطفة على جامعها المكنون بين صفحات كتبه.

الكتاب الأول

قراءة خطوط الجبهة، 1915

ما يجده عالِم القرن العشرين أكثر روعة في عاصمة الرايخ الألماني هو أشياء أخرى غير جمال معالمها التاريخية أو تراثها الثقافي الغني.

ماكس أوزبورن، برلين، المجلد 41 في سلسلة المواقع الثقافية الشهيرة، التي نُشرت في لايبزيغ، 1909

في يوم اثنين كئيب من أواخر نوفمبر عام 1915، غادر أدولف هتلر، الذي كان وقتها عريفاً في فوج المشاة السادس عشر البافاري الاحتياطي، مأواه في مزرعة من طابقين على حافة بلدة فورن، على بعد ميلين خلف الجبهة في شمال فرنسا، وقد شدّ معطفه بإحكام لمواجهة البرد الخريفي، منتعلاً حذاءه الذي ارتطم على الحجارة الرطبة، ومشى نحو المدينة لشراء كتاب.

بالنسبة للجندي البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، فقد أمل أن يكون أسبوعاً هادئاً، لا يختلف عن الأسبوع السابق الذي لم يكسر هدوءه سوى إطلاق نيران العدو والتهديد بهجمات بالغاز. في يوم الثلاثاء السابق، عندما تلاشى الضباب الكثيف لفترة وجيزة، حلقت ثلاث طائرات بريطانية حول القطاع لعدة ساعات. تبع ظهورها رنين إنذار الغاز الذي دفع جنود الخطوط الأمامية إلى التحسس بحثاً عن الأقنعة المطاطية والنظّارات الواقية. في نوفمبر 1915، كان الغاز السام جديداً نسبياً في الجبهة.

قبل أسابيع قليلة فقط، انشقّ العديد من "الجنود السود"، رعايا من الهند زُجوا في خدمة بريطانيا، نحو الخطوط الألمانية، محذرين من هجوم وشيك. خوفاً من هذا السلاح الجديد الصامت، أشعل الرجال النيران ووقفوا محاطين بدخان الخشب المتصاعد لاختبار تلك البدَع الغريبة. في ذلك المساء، شاهدوا سحابة صفراء مخيفة تنجرف إلى المنطقة المحرّمة، تهددهم بسكون، وبعد ذلك، مع تحول النسيم، عادت بذات الهدوء نحو الخطوط البريطانية. وتبع ذلك العديد من أجيزة الإنذار بالغاز، ولكن دون وقوع حوادث. في يوم الثلاثاء، 16 نوفمبر 1915، سجل أرشيف الفوج: "إنذار كاذب".

في يوم الاثنين التالي، عندما اشترى هتلر كتابه، بزغ الفجر رمادياً وبارداً مع ضباب أرضي كثيف غطى كل شيء، باستثناء الطلقات المتفرقة. مع ارتفاع الضباب في وقت متأخر من الصباح، تخللت المدفعية البريطانية قطاع الفوج الذي يبلغ طوله ميلين بقذائف متفرقة، واستهدفت مواقع القيادة وأمطرت القطاع H بالشظايا. من "مخدعه" في فورن، كان هتلر قد سمع القصف كرعد مكتوم على طول الأفق.

بصفته (Meldegänger)، أو "رسول"، معيَّن في مقر الفوج، عمل هتلر بشكل عام في نوبات: ثلاثة أيام على الجبهة وثلاثة أيام للراحة في فورن. من فورن، كان هتلر يسير على طول طريق ريفي إلى قرية فروميل المجاورة، حيث كان مركز قيادة الخطوط الأمامية والعيادة الميدانية يقعان وسط المباني المدمرة، ومن هناك يمشي عبر سلسلة من خنادق الاتصالات نحو مشهد مرعب من الحقول المحطمة والقرى المدمرة. لتسهيل تحركات القوات والمساعدة في توجيه الرُسل، تم تخصيص أسماء ألمانية للقرى الفرنسية.

رددت أسماء الأماكن الدمار: (Knallhüte) "الكوخ المدمر"، (Backofen) "الفرن"، وفي المنعطف حيث تتلامس الخنادق البريطانية والألمانية تقريباً (Totes Schwein) "خنزير ميت". تمت تسمية قرية واحدة "بترشتات"

(Petzstadt) على اسم فريدريش بيتز، قائد الفوج. على الجناح الأيسر، حيث يتحاذى فوجا المشاة الاحتياطيان (RIR) 16 و17، أُطلق على مزرعة مدمرة اسم (Dachau) على اسم مستعمرة الفنانين الخلابة شمال ميونيخ، والتي حصلت على نجمتين في دليل ميشلان[6]، ولكنها ستكتسب أصداء مختلفة جداً في العقود القادمة.

في حين أن مهام الرسول كانت في كثير من الأحيان عادية، إلا أن العمل قد يكون محفوفاً بالمخاطر. عندما تسبب القصف في قطع خطوط الهاتف، اضطر الرُسل إلى الانطلاق وسط شظايا متطايرة، بينما احتشد معظم الجنود في مخابئ تحت الأرض. كان من المفترض أن تكون الرسائل مشفرة حسب الأولوية — X للتسليم العادي، XX للأهمية المتصاعدة، XXX للرسائل العاجلة — لكن الرجال كثيراً ما وجدوا أنفسهم في خطر غير مبرر. يتذكر هتلر لاحقاً: "لقد تعرضت مراراً وتكراراً لنيران المدفعية الثقيلة على الرغم أن كل ما كان عليّ تسليمه هو بطاقة بريدية". خلال اليوم الأول من القتال في معركة ڤيتشيت (Wijtschate) في خريف عام 1914، تم تقسيم الوحدة المكونة من ثمانية أفراد إلى نصفين، حيث قُتل ثلاثة رجال على الفور وأصيب واحد بجروح خطيرة. بحلول خريف عام 1915، كان هتلر العضو الأصلي الوحيد المتبقي في الوحدة.

في أوائل أكتوبر 1915، أثناء معركة لطرد القوات البريطانية من منطقة بارزة تُعرف باسم هونزلنفيرك (Hohenzollernwerk)، تم تكليف الرُسل بمهمة أكثر خطورة، عندما تم الضغط عليهم لنقل حمولات من القنابل

6 أحد أوسع الأدلة السياحية انتشاراً، كما باتت نجومه التقديرية مصدر تباهٍ بين الطهاة الحاصلين عليها. وكان الإيمان المبكر بمستقبل السيارات قاد الأخوين إدوارد وأندريه ميشلان لإطلاقه عام 1900، ليقدما من خلاله معلومات تعين السائقين على التنقل ومواجهة أعطال المركبات، أما اليوم فيغطي "دليل ميشلان" معلومات واسعة حول المواقع السياحية والطرق والفنادق والمطاعم حول العالم.

اليدوية إلى الجبهة، حيث كان جنود الخطوط الأمامية يفجرون البريطانيين حرفياً في خنادقهم ياردة تلو الأخرى، مستخدمين 1500 قنبلة يدوية لمسح واحد من ثلاثمائة ياردة من الخندق، وألفين أخريين لإزالة خمسمائة ياردة أخرى. أفاد بيتز بعد المعركة أن "المعركة من أجل هونزلنفيرك أثبتت مرة أخرى أن القنبلة اليدوية هي السلاح الأكثر رعباً وفعالية في القتال المباشر".

أدى هطول الأمطار في أكتوبر إلى توقف هجمات الخريف، حيث تحول الجنود على جانبي المنطقة المحرمة إلى قتال الوحل بدلاً من بعضهم البعض. من بين الكتب المتبقية لدى هتلر، وجدت تاريخ فوج وحدته المكون من خمسمائة صفحة، أربع سنوات على الجبهة الغربية: تاريخ سجل الفوج، *RIR 16*؛ مذكرات من فوج ألماني، مغلفة بشكل رائع بالجلد البني، حيث تم صون البؤس واليأس اللذين سادا تلك الأسابيع بوضوح. عندما يدفع المطر المتواصل نهراً للفيضان، تتدفق المياه إلى خنادق فوج المشاة الاحتياطي 16 مسببة عواقب جحيميَّة. "تفاجأت وحدتان من فرقتنا ... بالفيضان، لدرجة أن الرجال في الخندق بالكاد كان لديهم الوقت للاستيلاء على أسلحتهم ومعداتهم وإنقاذ أنفسهم عبر الأسوار"، تقول سجلات الفوج. "لقد تشبثوا هناك وانكمشوا. أمامهم مستنقع وجدول هائج وراءهم، وكثير منهم مكشوف دون حماية مقابل العدو أمامهم". كان خلاصهم الوحيد هو أن البريطانيين كانوا منشغلين بنفس القدر بإنقاذ أنفسهم من الطوفان. بحسب سجلات الفوج فإنه مقابل كل جندي في الخطوط الأمامية يستعد لمحاربة البريطانيين، كان هناك عشرة رجال يصارعون الوحل.

السجل اليومي، الموجود الآن في أرشيف الحرب البافاري في ميونيخ، لا يؤكد فقط معركة الجندي في الخطوط الأمامية غير المتكافئة ضد عناصر الطبيعة، ولكن أيضاً صراعه غير المتكافئ مع التكنولوجيا في محطات الضخ في الخطوط الأمامية. في 22 نوفمبر 1915، سجل قائد الفوج يوماً نموذجياً:

مضخات كهربائية في القطاع أ *11-6* في حالة نقص الطاقة المسائية

11:30-11 مساءً، خرطوم تالف

7:45 صباحاً - *12:30* نقص الطاقة ظهراً

في قطاع ج *8-12* نقص الطاقة صباحاً

في هذه الأسابيع التي كانت تسقط فيها الأمطار، تم إيواء هتلر في فورن بمهام عرضية فقط. في 21 أكتوبر، أرسله بيتز مع رسولٍ آخر، هانز ليبرت (Hans Lippert)، إلى مدينة فالنسيان، لطلب مرتَبة جديدة. وفقاً لقسيمة الطلب، سُمح لهتلر وليبرت بالبقاء هناك طوال الليل. في رحلة العودة، حمل هتلر المرتبة معظم الطريق باعتبار أن ليبرت كان يفوقه رتبة.

بعد شهر ويوم من ذلك، دخل هتلر إلى فورن واشترى تاريخاً معمارياً لبرلين من تأليف الناقد الفني الشهير ماكس أوزبورن. على الرغم من أن كتاب أوزبورن برلين جاء في ثلاثمائة صفحة، فإن حجم المجلد نحيف بشكل ملحوظ، حيث يمكن وضعه بسهولة في جيب معطف عسكري كما في حقيبة يد سائح ثقافي، مع غطاء مقاوم للماء، وغطاء زيتوني نُقش عليه كلمة (BERLIN) باللون القرمزي الغامق، وزخرفت بملف تعريف لبوابة براندنبورغ، التي تقف أعمدتها الدورية الستة في صفوف متوازية مع الأحرف المتباعدة بشكل صارم في عنوان الكتاب.

في وقت ما من ذلك اليوم، عاد هتلر إلى الراحة النسبية التي يتمتع بها منزل المزرعة المكون من طابقين، وفتح هذا المجلد الصلب، تلمَّس محتواه بيد خجولة، وخربش اسمه والمكان والتاريخ في أعلى اليمين من صفحة الغلاف الداخلي، شاغراً مساحة لا تزيد عن تلك الخاصة بطابع بريدي صغير.

بعد ثمانين عاماً، يشهد كتاب أوزبورن على خدمته في الخطوط الأمامية. تتجعد الزوايا إلى الداخل مثل قشر الليمون المجفف. تتدلى الكعبية بشكل

غير مستقر من أوتار الكتان المتهالكة، مما يؤدي إلى كشف التواقيع المتشابكة بالخيوط مثل العديد من صفوف العظام المربوطة بالحبال. بقعة طينية تلطخ الحروف الأخيرة في "نوفمبر". عندما فتحت هذا المجلد الهش في غرفة قراءة الكتب النادرة بمكتبة الكونغرس، مع الأصوات المكتومة لحركة المرور في وقت متأخر من الصباح تتطاير عبر الصمت الهادئ، تناثرت حبيبات رمل رقيقة من صفحاته.

تقريباً في نفس الوقت الذي حصل فيه هتلر على نسخته من برلين، مر ماكس أوزبورن على بعد أميال قليلة من فورن، على الطريق من ليل إلى أوبر. كان قد وصل إلى الجبهة في يناير الماضي، بعد بضعة أشهر من وصول هتلر، في مهمة لصحيفة ڤوزڤيشه (Vossische Zeitung)، وهي صحيفة برلينية مرموقة كان يكتب لها منذ ما يقرب من عقدين.

وُلد أوزبورن في نفس بيئة برلين المميزة التي شكلت أذواق واهتمامات والتر بنجامين الفكرية، وقد أثبت نفسه كواحد من نقاد الفن البارزين في ذلك الوقت، واكتسب جمهوراً واسعاً من القرّاء بتعليقاته الجريئة عن الجماليات والثقافة. في التاريخ الثقافي للشيطان، أعلن أوزبورن أن الملائكة "أكثر مخلوقات الله بعثاً على الملل"، وخصص ثلاثمائة صفحة لتأريخ الحماقات الشيطانية المتنوعة في الفن والموسيقى والأدب. أصبح صديقاً للرسام ماكس ليبرمان وصاغ عبارة "الروكوكو التعبيري".[7]

في عام 1908، عندما طلب الناشر زيمان (Seemann Verlag) من أوزبورن تأليف دليل حول برلين، وافق ولكن على أساس أنه كان ناقداً فنياً وليس

7 Rocaille أو الركوكو: الصدَفَة أو المحارة غير المنتظمة الشكل ذات الخطوط المنحنية، والتي استمُدت منها زخارف في تلك الفترة. ظهر هذا الطراز من الفن في القرن الثامن عشر، ويعد امتداداً للباروك ولكن بمقاييس جمالية تتسم بالسلاسة والرقة. واستمر هذا الطراز مزدهراً في ألمانيا وفرنسا بصفة خاصة، واختفى من فرنسا بعد قيام الثورة في عام 1789.

مرشداً سياحياً. وهكذا، رحب بقارئ برلين بهذا التحذير الوقح: لماذا يعتبر ناشره هذه المدينة من بين "العواصم الثقافية" في أوروبا بينما "ما يجده عالم القرن العشرين أكثر روعة في عاصمة الرايخ الألماني هو أشياء غير جمال معالمها التاريخية أو تراثها الثقافي الغني؟"

وصل أوزبورن إلى الجبهة الغربية بنفس الحياء. أثناء عبوره ساحات القتال في شمال فرنسا، وزيارة الدمار على طول السوم،[8] في مارن، وبالقرب من فردون، لم يجد أوزبورن أي شيء جديد أو مروع. يبدو أن المذبحة البشرية هناك كانت أكثر من مجرد إعادة تشكيل من لحم ودم للوحات القماش المترامية الأطراف، التي درسها في المعرض الوطني في برلين؛ لقد رأى أوزبورن كل ذلك من قبل.

ظهر الجنود الألمان بخوذهم المسنَّنة وحرابهم، كتجسيد عصري للمحاربين الذين يحملون الرماح في جداريات القرن السادس عشر. قاذفات اللهب بأعمدة الدخان والنار المتساقطة عبر الأرض المكسورة، تم نسجها بوضوح في هذه المنسوجات المبكرة. كتب أوزبورن لقرائه في ألمانيا: "أعطى ذلك الأفضلية لأداة القتال المرعبة، القنبلة اليدوية، التي سبق وأن لعبت دوراً في القرن السابع عشر، وكذلك في جيوش الدوقات الكبرى". عندما لمح الناقد في جبهة المعركة الرَّسول على حصان يركض عبر حقل مفتوح، سواء كان رجلاً أو وحشاً مزوداً بأقنعة واقية من الغاز، شبهه بمشهد من لوحة رسمها هيرونيموس بوس.[9]

---

8 Bataille de la Somme، معركة بين القوات الألمانية وقوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حدثت في الفترة 1 يوليو – 18 نوفمبر 1916 وانتهت بخسائر كبيرة للطرفين.

9 Jheronimus Bosch (1450 - 9 أغسطس 1516) رسام هولندي، تصور العديد من أعماله الخطيئة والفشل الأخلاقي الإنساني. استخدم بوس صور العفاريت والحيوانات نصف البشرية ليبعث الخوف والاضطراب، مصوِّراً شر الإنسان. وتتضمن أعماله استخداماً معقداً، عالي التفرد، خيالياً، مكثفاً للأشكال الرمزية والأيقونات، بعضها كان غامضاً حتى في زمنه. من أهم أعماله

في أواخر مايو من عام ١٩١٥، كاد أوزبورن وهتلر أن يلتقيا في ساحة المعركة في بلدة إيبرس في بلجيكا، حيث شن الألمان ثاني هجوم بريطاني كبير على طول هذه الجبهة، حيث عانى كلا الجانبين من خسائر فادحة. فقد RIR 16 أكثر من نصف رجاله: ستة عشر مائة جندي وكل العتاد ما عدا ضابطاً واحداً. وصل أوزبورن بعد وقت قصير من المذبحة، وأجرى مسحاً لساحة المعركة، من البرج الذي لم يُصب بأذى في كاتدرائية إيبرس، التي كانت شاهقة بأعجوبة فوق المدينة المدمرة. وسط الدمار، وجد أوزبورن نفسه شاهداً على "الفصل الثاني" من أعظم معركة في الحرب.

"إن دفاعات الخنادق المحطمة ومواقع المخابئ تنبثق من الأرض"، قال. "جدران الأرض المتهالكة، وأكياس الرمل المكسرة، والحطام المتناثر، وامتدادات الأسلاك الشائكة الملتوية والمكسورة: بقايا قذرة متناثرة على الأرض، وأجزاء من الزي الرسمي، وخرق ملطخة بالدماء، وجوارب، ومطاعم متنقلة، وأجزاء من الصحف الفرنسية، وصفحات ممزقة من المجلات الإنجليزية، وعلب التموين، خراطيش فارغة، ذخيرة غير مستعملة". كانت الجثث قد أزيلت بالفعل، لكن رائحة الموت باقية تلوث الهواء برائحة اللحم المتعفن والمتحلل.

في ذلك الخريف، قام أوزبورن بجولة في ساحات القتال غرب مدينة ليل، حيث قام بزيارة مدينتي ريشيبورغ ونوف شابيل على خط المواجهة، مروراً على طول الجبهة بالقرب من فورن. كتب: "عندما تصل إلى القرى، تجدها مثيرة للشفقة ومدمرة، منازل دمرتها القنابل، ومزارع محترقة، وجدران مثقوبة بالرصاص. منظر طبيعي ميؤوس منه!".

بحلول ذلك الوقت، خفتت حماسة أوزبورن الشعرية. ولاحظ "هناك الجثث المتعفنة التي تركها المهاجمون وراءهم. جحافل الجرذان تتغذى عليها، تنمو وتسمن، مثل الكلاب الصغيرة المثيرة للاشمئزاز والغثيان عند النظر

حديقة المباهج الأرضية.

إليها، وعندما يركضون عن طريق الخطأ في الخنادق، يمتلئ الجنود بالقرف، ويقتلونهم". لقد وجد أنه من "المرعب، وغير المفهوم ببساطة" أن "كل صور النعمة قد تحولت إلى صور من الرعب".

مع دخول الحرب عامها الكامل الثاني، ومع عدم وجود نهاية تلوح في الأفق للمجزرة، شعر أوزبورن بتحول ليس فقط في نفسه ولكن أيضاً بين الجنود. على جانبي الأرض المحرّمة، كان الرجال يزدادون عداوة ومرارة. كتب أوزبورن في 22 أكتوبر 1915: "لقد جلبتْ أيام القتال الشرسة في نهاية سبتمبر عاطفة جديدة إلى الحرب التي انتقلت من خندق إلى آخر. لقد أصبح القتال أكثر قتامة، أكثر مرارة وشراسة. لا يزال من الممكن الشعور بالمرارة التي تم بها شن الهجوم العظيم والتغلب عليه". لقد تغير الزمن.

عشية عيد الميلاد عام 1914، تجمع الجنود من كلا الجانبين في المنطقة المحرمة للاحتفال بالعيد، وفي الأشهر التي تلت ذلك، قاموا بإلقاء أوراق ودية لبعضهم البعض، وتقاسموا المربى والسجائر، بل وأوقفوا النيران حتى يتمكن العدو من استرداد أو دفن جثث قتلاه.

لقد تبادلوا الآن الإهانات ورسائل الخطاب "البغيضة والحقودة". قام الفرنسيون بتأليف مقاطع مقفّاة تهين القيصر وولي العهد. إحدى الرسائل التي أُلقيت عبر المنطقة المحايدة تقول "الجنود الألمان خنازير يجب أن تُجمع وتُقتل بالرصاص". بعد سنوات، يتذكر هتلر قسوة مشابهة للروح البشرية. كتب في كفاحي: "بحلول شتاء 1915 - 1916، كان هذا الصراع الداخلي قد حسم بالنسبة لي. في النهاية كانت إرادتي سيداً بلا منازع. إذا كنتُ قد طرت فرحاً في الأيام الأولى بمرح وضحك، فقد كنت الآن هادئاً ومصمماً". لاحظ هتلر أن أعصابه وعقله قد ازدادا صلابةً بسبب المعركة المستمرة. "المتطوع الشاب أصبح جندياً عجوزاً"، كتب. "ينسحب هذا التحول على الجيش كله".

بحلول نوفمبر 1915، بعد أكثر من عام في الجبهة، كان "تحول" هتلر

واضحاً بالفعل، وهو تحول عاطفي محفوظ في القطع الأثرية المتبقية من مكتبته. في نسخة مصورة ذات غلاف جلدي من سجل هتلر العسكري، والتي تتضمن أوراق التجنيد الخاصة به، سجّل موطنه الدائم في ميونخ، ولم يُدرج أياً من أقاربه المباشرين، ولا حتى إخوته غير الأشقاء الأكبر سناً، ألويس وأنجيلا، ولا شقيقته الصغرى باولا. بحلول عام 1914، يبدو أن كل الاتصالات المنتظمة مع عائلته المباشرة قد انقطعت. قالت باولا لاحقاً إنها افترضت أنه ميت.

ورقة أخرى مجلدة تحتوي على نسخ مصورة لبطاقات بريدية ورسائل أرسلها هتلر إلى إرنست هيب (Ernst Hepp)، أحد معارفه في ميونيخ، توحي أيضاً بانقطاع العلاقة. في جمل مطولة ومتجولة، تتخللها مناشدات عاطفية توحي بأسلوبه الخطابي في العقود القادمة، يملأ هتلر صفحة بعد صفحة بروايات حيّة عن القتال في الخطوط الأمامية وشوقه للعودة إلى الوطن. "كثيراً ما أفكر بميونيخ، وكل منا لديه رغبة واحدة فقط في تسوية الحسابات مع هذه العصابة في النهاية، بغض النظر عن النتيجة"، كتب هتلر لـ هيب. "إنهاء الأمر سيكلف ما سيكلف، وأما أولئك الذين سيحالفهم الحظ برؤية وطنهم مرة أخرى، فإنهم سيجدونه أكثر نظافة وطهارة من العناصر الأجنبية، وذلك من خلال التضحية والمعاناة التي يصل عددها إلى مئات الآلاف يومياً؛ من خلال تدفق الدم هنا يوماً بعد يوم ضد عالم دولي من الأعداء". آخر رسالة إلى هيب مؤرخة في 5 فبراير 1915.

بحلول الوقت الذي تولى فيه فوج المشاة الاحتياطي 16 موقعه في فورن في مارس 1915، حيث كان من المقرر أن يبقى لمدة ثمانية عشر شهراً، بدا أن هتلر جعل الجبهة منزله. كان أقرب رفيق له كلباً إنجليزياً خطفه في ذلك الربيع، عندما ضل طريقه إلى الخطوط الألمانية أثناء مطاردة فأر عبر الأرض المحرَّمة. أطلق عليه اسم فوكسل وعلمه بعض الحيل، مثل المشي على ساقيه الخلفيتين وتسلق السلم، مما أثار دهشة رفاقه. رافقه فوكسل في مهامه إلى

الجبهة حتى أكتوبر، عندما أدخل البريطانيون الغاز السام.

لدينا عدة صور لـ هتلر وفوكسل في فورن. في إحداها، يستند هتلر على حصان نشر، رجل غريب الأطوار ومرتبك ذو خدين شاحبين وشارب كثيف، وآذان كبيرة بارزة. يحدق في الكاميرا تحت وهج الشمس بينما يرفع فوكسل، الذي يمتد عبر أحضان جنديين جالسين، رقبته نحو هتلر.

ماكس آمان (Max Amann)، الرقيب في الفوج، يتذكر هتلر على أنه رجل غريب بالتأكيد، ولكنه غيريٌّ على نحو لافت. يتذكر آمان أنه عندما اكتشف فائضاً في ميزانية الفوج وعرضه على هتلر، فقد بدا أن النمساوي لديه القليل من المال، شكره هتلر واقترح عليه إعطاءه لشخص أكثر احتياجاً. وبالمثل، عندما رشّحه آمان للترقية، رفضها العريف هتلر. قال إنه كان يحظى بمزيد من الاحترام بدون رتبة ضابط. بدا أنه غير أناني إلى أقصى الحدود. يتذكر آمان: "حتى لو جئت في الثالثة صباحاً، كان هناك دائماً عدد قليل من الرجال في الخدمة"، قال. "عندما صحت، يا رسول، لم يتحرك أحد، قفز هتلر فقط. عندما صرخت، "أنت مرة أخرى!" قال: دع الآخرين ينامون، لا مشكلة عندي".

بينما يُنظر إلى حكايات آمان بحذر نظراً لأنه سيصبح شريكاً مقرباً لهتلر، وعلى الأخص أنه سيصبح ناشر كفاحي، إلا أنه مرة أخرى، تقدم مكتبة هتلر أدلة داعمة. في مذكرات الحرب الممزقة، مع أدولف هتلر في فوج المشاة الاحتياطي البافاري "السجل" *16*، التي كتبها زميله المحارب القديم في فوج المشاة الاحتياطي 16، أدولف ماير (Adolf Meyer)، وقُدم إلى هتلر في عام 1934، نشاهد العريف ذا العشرين عاماً وهو يقص شكلاً متعرجاً عبر حقل مفتوح - مليء بمحاصيل لم تُحصد من الصيف الماضي - في حين كان زملاؤه من الجنود يتجمعون في خندق. بينما يقفز الرجل إلى الأمان بين رفاقه، يقول بشكل واضح، "رسول، مقر الفوج 16، هتلر".

يتم الاحتفاظ أيضاً بتفاني هتلر في أداء الواجب في نسخته الشخصية من

تاريخ فوج المشاة 16 المكون من خمسمائة صفحة، والذي يحمل نقشاً مكتوباً بخط اليد لهتلر من ماكسيميليان باليغراند (Maximilian Baligrand)، آخر قائد للفوج: "إلى الرسول الشجاع، العريف السابق السيد أدولف هتلر، في ذكرى الأوقات الخطيرة ولكن الرائعة، مع الشكر". بتاريخ "عيد الميلاد، 1931"، أي قبل عام كامل من استيلاء هتلر على السلطة، تم رسم النقش المكتوب بخط اليد قبل وقت طويل من وجود سبب واضح لتملق العريف السابق.

الأكثر أهمية، بالطبع، هو الملف الكبير الذي يحتوي على سجل الخدمة العسكرية الكامل لهتلر. تم تجميع هذه السلسلة المكونة من ثماني عشرة وثيقة مستنسخة من المكتب المركزي لإصابات الحرب والقبور، التي تم تجميعها في يوليو 1937 لصالح أرشيف الحزب النازي، وخُصصت نسخة منها لـ هتلر. إلى جانب سجل إصابتَي هتلر في الحرب، وتنويهان بشجاعته - صليب حديدي من الدرجة الثانية في عام 1914 وصليب حديدي من الدرجة الأولى في عام 1918، وأعلى تكريم عسكري لضابط صف - وأوراق تسريحه من الجيش في مارس عام 1920، يحتوي الملف أيضاً على تقييم لسنوات خدمته الأربع. تؤرخ سجلات الوثيقة 16: "السلوك: جيد جداً، العقوبات: 0".

في نوفمبر 1915، أن يدفع عريف في الخطوط الأمامية أربعة ماركات لكتاب عن الكنوز الثقافية في برلين، في وقت كانت فيه السجائر والشنابس والنساء متاحة بسهولة لإلهاء فوري وملموس، لهو عملٌ من أعمال التعالي الجمالي، هروب غير مباشر من العالم المدمر للجمال والأناقة الذي شاهده أوزبورن وهو يتحلل في طين معركة السوم، أو في حالة هتلر، دليل محتمل على الطموح الدائم لمهنة الفنان، كما توحي بصمات الأصابع الجريئة التي وجدتها بجانب استنساخ من لوحة روبن (Peter Paul Rubens)[10] ديانا وحورياتها

10 رسام بلجيكي / فلامنكي، تعدّ أعماله مثالاً صارخاً على المدرسة الباروكية في فن التصوير، كانت تجمع بين أسلوب المدرسة الإيطالية وواقعية المدرسة الفلامكنية.

يهاجمهنّ ساتير" في الصفحة 282، ولطخات أخرى على طول الهامش في الصفحة 292، بجانب توضيح بوتيتشيلي (Sandro Botticelli) للكوميديا الإلهية لدانتي، حيث تتمسك شخصية يائسة بملاك وهو يرفع من الجحيم.

مع اندفاع مزدحم للريشة التي تمر عبر رداء الملاك ووجه الرجل المكروب، ينقل بوتيتشيلي كلاً من الإلحاح واليأس، الذي يقابله مع نصف دائرة لا تشوبها شائبة تنبثق من يد الملاك المرفوعة، وتحيط المشهد بعالَم من الصفاء والأمان. من خلال تنظيم رائع في الخطوط، يخلق بوتيتشيلي لحظة خلاص عاطفية قوية، بالإضافة إلى درس تقني في التباين والدراما لطلاب الرسم. أثناء دراسة هتلر لهذا الرسم، تركت أصابعه سلسلة من البصمات الجريئة على طول الهامش الأيمن والتي أظهرت مسار انتباهه.

يشير هذا الاهتمام بالتفاصيل الفنية إلى مرونة الروح الفنية العنيدة التي نجت من اعتراضات والده القاسية ("رسام؟ مستحيل!")، والرفض المدمر من الأكاديمية الملكية للفنون في فيينا ("لقد جاءتني الصدمة من حيث لا أدري")، والإدراك اللاحق أن رغبته في الحياة: الهندسة المعمارية، كانت بعيدة المنال. قال هتلر لاحقاً: "لا يمكن للمرء الالتحاق بمدرسة الهندسة المعمارية التابعة للأكاديمية دون الالتحاق بمدرسة البناء في معهد التكنولوجيا، والأخير يتطلب شهادة الثانوية العامة. لم أمتلك أياً من ذلك". لم تستطع خمس سنوات قاسية لاحقة كرسام مستقل في فيينا وميونيخ أن تثبط طموحاته الفنية. ومع

---

11 Diana and Her Nymphs Assaulted by Satyrs، تسـتريح "الصيـادة ديانـا" مـع بـلاط الحوريـات في الغابـة عندمـا تهاجمهـن مجموعـة مـن السـاتير [في الأسـاطير اليونانيـة هـو ذكـر مـن القـوات المصاحبـة لإلـه المراعـي والصيـد البري والأحـراش بـان و ديونيسـوس إلـه الخمـر عنـد الإغريـق القدمـاء وملهـم طقـوس الابتهـاج والنشـوة، السـاتير لـه ملامـح تشـبه ملامـح (الماعـز)، بمـا في ذلـك ذيـل الماعـز وآذان الماعـز. عـلى النقيـض مـن ذلـك، في الأسـاطير الرومانيـة هنـاك مفهـوم مماثـل لهجـين الإنسـان والماعـز يسـمى فـاون ويتكـون مـن نصـف رجـل ونصـف ماعـز. وتقـول الأسـطورة إن السـاتير يجوبـون الغابـات والجبـال].

ذلك، عندما التحق هتلر بالجيش في أوائل خريف عام 1914، دوّن مهنته في السجلات "فنان".

لم يكن هتلر الجندي الوحيد الذي التحق بالجبهة بقصد فني.* كانت رتب فوج المشاة 16 مليئة بالرسامين المحترفين الذين أمضوا معظم الحرب في تسجيل الحياة اليومية والرعب في الجبهة، والذين تم حفظ أعمالهم في أرشيف الفوج. كان هناك فيلهلم كوه (Wilhelm Kuh)، الذي رسم سلسلة من اللوحات بالحبر لأطلال مدينة فروميل، بما في ذلك منزل مزرعة تعرض لضربة مباشرة تركت سقفاً منهاراً به فجوة في وسطه؛ ألكسندر ڤايس (Alexander Weiss)، الذي رسم قبور الجنود القتلى على طول الخنادق بالقرب من فروميل؛ وماكس مارتينز (Max Martens)، الذي تحمل رسومه المائية لمقره في الجبهة ذي السقف المقوى ومدخله المكسو بالرمال، لافتة مرسومة على عمود مرتفع يمزج بين السخرية المريرة والحنين الحلو، باستخدام اسم قاعة البيرة الأسطورية في مسقط رأسه في ميونيخ (Löwenbräu).

لم يتم تضمين أي من جهود هتلر في زمن الحرب في سجلات الفوج. تحتفظ مكتبته الخاصة بستٍ من لوحاته المائية في صحيفة نشرها مصوره هاينريش هوفمان (Heinrich Hoffmann) في عام 1935. يحتوي الغلاف الصلب الكبير الحجم، المنقوش بكلمات ألوان هتلر المائية، على مقدمة من صفحة واحدة، ويقدم نسخاً لنصف دزينة من الألوان المائية، كل منها يحتوي على طبقة إضافية من الورق المقوى، رسمها هتلر بين خريف 1914 وصيف 1917. أقدمها هو الطريق الغارق بالقرب من فيتسخاته في نوفمبر 1914، حيث حصل هتلر على أول صليب حديدي له، وتم تدمير وحدة تشغيل الرسائل في

* عثرتُ في جامعة براون على مخبأ من ثلاثة وثلاثين نقشاً رسمه الفنان فريتز غارتنر (Fritz Gärtner) بين عامي 1914 و1916، تصور جنوداً في الخطوط الأمامية لبافاريا. تم العثور على النقوش الموقعة بين أوراق هتلر المتبقية في مخبأ برلين بعد انتحاره.

فوج المشاة 16. كتب هتلر بعد ذلك إلى إرنست هيب: "في فيتسخاته وحدها، في يوم الهجوم الأول، قُتل ثلاثة رجال من رجالنا الثمانية بالرصاص، وأصيب آخر بجروح خطيرة. نحن الأربعة والرجل الجريح حصلنا على ميداليات". يُظهر الرسم المائي الخاص به من فيتسخاته خندقاً شاغراً يمر عبر غابة مزقتها الحرب مع أشجار مقطوعة تمثل الرجال المذبوحة.

في لوحة أخرى، يصوِّر ديراً مدمراً ومهدماً في مدينة ميسين، حيث تم تدمير الفوج 16 مرة أخرى في المعركة في الشهر التالي. يضيف هتلر أيضاً مشهداً من فورميل، الإسعاف الميداني، والذي يُظهر محطة الإسعافات الأولية في الخطوط الأمامية في مزرعة مليئة بالشظايا. وعلى وجه الخصوص، قام هتلر بتضمين لوحة لمزرعة منزله في فورن حيث تم إيواؤه مع زملائه من الرُسل، والتي أطلقوا عليها اسم "منزل ماريا ذات الشعر الداكن"، تيمناً بزوجة المزارع القوية الإرادة التي اعتنت بهم. في هذه اللوحة، يُظهر لنا هتلر بيتاً ريفياً من طابقين مع حظيرة متصلة به، وحطاماً متناثر في الفناء. تستند دراجة على الحائط. لبعض الوقت، خدم هتلر كسائق دراجة.

أشار أحد المراقبين مؤخراً إلى أن إعادة إنتاج لوحة بيت مزرعة المدرجة في ألوان هتلر المائية تُظهر تغييرات كبيرة عن النسخة الأصلية التي بقيت في أرشيف الحزب النازي، مما يشير إلى أن هاينريش هوفمان قد قام بتزوير لوحة هتلر للاستهلاك العام. بالفعل، تكشف النسخة عن يدٍ أقل خبرة. تم تصوير الدراجة في خطوط غامضة، ورُسمت تفاصيل المنزل بشكل فظ. ومع ذلك، فإن الخداع المضمَّن في الملف والمدرج ضمن كتب هتلر المتبقية يعبر عن مشاعر أصيلة: تطلع هتلر إلى أن يكون فناناً أفضل مما كان عليه في الواقع.

تحافظ برلين أيضاً على بعض الآثار المبكرة لهوس هتلر الدائم بالعاصمة الألمانية والشوفينية البروسية المتشددة التي تشاركها مع ماكس أوزبورن. تماماً كما كتب هتلر عن رغبته في رؤية ألمانيا "مطهرة" من "العناصر الأجنبية"، فإن

أوزبورن يعارض تأثيرات الأساليب المعمارية المشتقة من القرن التاسع عشر. كما يأسف أوزبورن لـ "وحشية" الذوق (Geschmacksverwilderung) التي أفسدت نقاء برلين البروسي وأثقلتها بوفرة من اللعنات الفنية.

يشعر أوزبورن بازدراء خاص للمهندسين المعماريين الذين أدى تقليدهم الأعمى للتأثيرات الأجنبية، وخاصة "الهيلينية العقاندية"، إلى تدمير البنية الجمالية لعدد لا يحصى من المدن الألمانية. في الوقت نفسه، يثني على المهندسين المعماريين الذين احتفظوا برؤية توتونية مميزة، مشيداً بقباب الرايخستاغ الألماني الضخم باعتباره "انعكاساً فنياً للكائن الحي متعدد الأوجه للرايخ الألماني"، معجباً بمحافظة كارل فريدريش شينكل (Karl Friedrich Schinkel)[12] على "الروح العسكرية البروسية" عند بنائه دار الحرس الجديد، الذي بُني تكريماً للألمان الذين ماتوا في الحروب النابليونية، وكارل جوتهارد لانهانس (Carl Gotthard Langhans)[13] الذي شرّف برلين بنُصبها التاريخي، بوابة براندنبورغ. على الرغم من أن لانهانس وضع ستة أعمدة دورسية[14] فوق القواعد الإيونية[15] في إيماءة إلى كلاسيكية البحر الأبيض المتوسط، إلا أنه تجنب بحكمة، كما يشير أوزبورن، إغراء استخدام "المنحدر الهيليني". بدلاً

---

12 معماري بروسي، مخطط مدن ورسام ومصمم أثاث وديكور مسرحي. كان أحد أبرز معماريي ألمانيا في زمنه، تميز باستخدام الأسلوب الكلاسيكي الحديث والقوطية الحديثة. تقع أشهر مبانيه في العاصمة الألمانية برلين وما حولها.

13 مهندس معماري بروسي. تنتمي كنائسه وقصوره ومنازله الكبيرة وتصميماته الداخلية وبوابات المدينة والمسارح في سيليزيا (بولندا الآن) وبرلين وبوتسدام وأماكن أخرى، إلى أقدم الأمثلة على العمارة الكلاسيكية الجديدة في ألمانيا.

14 أو دوركية، أحد أنظمة البناء القديمة في اليونان القديمة والعمارة الرومانية لاحقاً. يتم التعرف على النظام الدوري بسهولة أكثر من خلال تاج العمود الدائري البسيط في الجزء العلوي من الأعمدة.

15 أحد الأشكال الثلاثة من نظم الهندسة المعمارية الكلاسيكية، والآخران هما النظامان الدوريـي والكورنثي.

من ذلك، توج لانهانس بناءه بالميزان النحاسي الدرامي، وهو المركبة الرومانية ذات الخيول الأربعة التي تنقل عربة مع إلهة النصر الحاملة للسيف.

بالنسبة إلى أوزبورن، تمثل بوابة براندنبورغ "الجوهر المطلق للروح البروسية"، وهو توازن بين الجمال المثالي لكل ما هو قديم والأسلوب العسكري المتميز لسهل شمال ألمانيا - "اليونان القديمة على أرض بروسية!" - الهوس الألماني باليونان تغلغل في مخيم تدريب بروسي، تم تنظيمه وعُلّم الوقوف باستعداد وأناقة. يكتب أوزبورن: "تحتوي أعمدتها على شيء فردي منظم ومنتصب، ربما يمكن للمرء أن يقول، مثل قاذف القنابل تقريباً".

من الواضح أن أنشودة أوزبورن للنعمة والعظمة البروسية أثرت في العريف النمساوي الشاب، كما يتضح من الصفحات المطوية والكعب الممزق. يحمل الكتاب دليلاً على تدقيق حصيف - اللطخات، الصفحات مطوية، وقطرة من الكيروسين الأحمر لا تزال دبقة بعد ثمانين عاماً - في فصل من ثلاثين صفحة عن فريدريك العظيم، المحارب الأسطوري في القرن الثامن عشر الذي أسس تفوق بروسيا باعتبارها قوة عسكرية. جاء فريدريك ليخدم هتلر كنموذج يُحتذى به في أواخر حياته للقيادة والسلوك الشخصي، على الرغم من أنه صُدّر بعيوب كارثية في سنواته الأخيرة كقائد عسكري.

يصف أوزبورن المعبود المستقبلي لهتلر باعتباره ملكاً متدخلاً ورخيصاً، بخل في الجودة وتفوق في التقليد المتدني والمبالغة الرثّة. ويشكو أوزبورن: "الملك، الذي كان ابن الرداءة الفنية في عصره عندما يتعلق الأمر بالذوق، لم ير الحلول إلا في التعسف التافه لعصر الباروكة. تدخل فريدريك في خطط جميع فنانيه أكثر من أسلافه، عبر تدخلات وتغييرات شخصية. أكثر من والده، أصر بفارغ الصبر على أن يتم تنفيذ العمل بسرعة، وكان راضياً عن المظاهر الخارجية التي بدت المواد الرديئة مثل الجص مناسبة لها". والأسوأ من ذلك، تجنب فريدريك "الفنانين والعباقرة مفضلاً الحرفيين من الدرجة الثانية والثالثة

المطيعين والملتزمين برغباته". أدت العثرات المعمارية الناتجة عن ذلك إلى الإضرار ليس فقط بمظهر المدينة ولكن أيضاً بصحة وسمعة الحاكم.

عند التخطيط لإقامته الخاصة في قصر سانسوسي (Sanssouci)، في بوتسدام، قام فريدريك في البداية بإشراك المهندس المعماري الموقر في برلين، جورج وينزيسلاوس فون كنوبلسدورف (Georg Wenzeslaus von Knobelsdorff)، لكنه ما فتئ يتدخل في التصميم. وفقاً لأوزبورن، أجبر فريدريك كنوبلسدروف على التخلي عن بناء المساحات الجوفية، وهو قرار، يلاحظ أوزبورن، أنه أدى إلى مشكلة رطوبة مزمنة أصابت الملك بمرض الروميتزم الذي رافقه حتى يوم وفاته. تم التخلي عن كنوبلسدروف في النهاية واستُبدل بمهندس معماري أكثر مرونة.

يُسعَد أوزبورن بشكل خاص بسرد انهيار كنيسة الطوب الأحمر في جيندارمينماركت (Gendarmenmarkt) عام 1746. ضغط فريدريك على البُناة لإكمال الكنيسة في نصف الوقت المخصص وبميزانية مخفَّضة بشكل كبير. مع اقتراب بناء السقف من الاكتمال، انهارت جدران الكنيسة، مما حوّل الموقع إلى كومة من الأنقاض راح ضحيته أربعون عاملاً. يستنسخ أوزبورن نقشاً قديماً للهيكل المدمر بحجره المهدم، وعوارضه المحطمة، والسقالات المكسورة، جنباً إلى جنب مع مجموعات من المارة المحدقين. يكتب أوزبورن: "طبيعة السخرية لدى سكان برلين قاسية. في كتيب بعنوان ساخر "نأسف لذلك"، تم تقديم النظرية الساخرة القائلة بأن الهيكل قد تم بناؤه من خبز الزنجبيل بدلاً من الحجر".

في ليلة 22 أكتوبر 1941، بعد ربع قرن من استحواذ هتلر على نسخة برلين لأوزبورن، روى افتتانه المبكر بالعاصمة البروسية، مردداً تقييم أوزبورن.

يتذكر قائلاً: "لطالما أحببت برلين، وحتى لو كانت تزعجني لأن الكثير منها لم يكن جميلاً جداً، إلا أنها غالية عليّ. لمرتين خلال الحرب حصلت على إجازة

لمدة عشرة أيام. وفي المرتين ذهبت إلى برلين، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أعرف متاحف برلين ومبانيها". هتلر، المخلص لتقييم أوزبورن، أطلق على برلين اسم "صندوق الرمل للرايخ القديم"، والتي جمعت حقيبة من الأساليب المعمارية التي حددها الحُكّام مع القليل من الحس الجمالي - "تمتع فيلهلم الثاني بذوق، لكن صادف أن يكون ذوقه سيئاً للغاية" - واستذكر رؤيته المعمارية الخاصة "بأشكال أور الجرمانية الشمالية" المستمدة من "مصدر يوناني"، وهو صدى للتعويذة المعمارية لأوزبورن، "اليونان القديمة على تربة بروسية!"

على عكس أوزبورن، الذي لم يكن بإمكانه فعل أكثر من الثناء أو الرثاء أو السخرية، كان هتلر في عام 1941 يمتلك القوة والوسائل لمحو الماضي. وقال: "نريد القضاء على كل ما هو قبيح في برلين، وأي شيء تحصل عليه برلين الآن يجب أن يشكل مثالاً لما يمكننا تحقيقه بالوسائل الحديثة. كل من يدخل إلى مستشارية الرايخ يجب أن يشعر بأنه يقف أمام أسياد العالم، وحتى الشارع على طول الطريق، عبر قوس النصر في الشوارع العريضة بعد قاعة الجندي إلى ساحة الشعب، يجب أن يلهب عقله". لقد توقع اليوم الذي ستظهر فيه برلين كـ "عاصمة العالم".

من الواضح أن هتلر اشترى كتاب أوزبورن بغرض السياحة، كما يشير مجلد مُصاحِب من سلسلة سيمان، وهو دليل لبروكسل وجدته من بين كتبه المتبقية. مثل كتاب برلين، تم تغليف كتاب بروكسل بغلاف زيتوني اللون وعنوان منقوش باللون القرمزي، وكما هو الحال مع مجلد أوزبورن، فإن اسم هتلر مكتوب في الزاوية اليمنى العليا للغلاف الداخلي.

على الرغم من أن هتلر لم يسجل مكان وتاريخ الشراء، يمكننا أن نفترض أن الكتاب كان بحوزته بحلول الأسبوع الأول من يوليو 1916، عندما، بعد معركة غابة أرغون، استغل إجازة لمدة أسبوع لزيارة بروكسل، وهو حدث تمت أرشفته ليس فقط في سجل خدمته العسكرية ولكن أيضاً في بطاقة بريدية

أرسلت إلى رفيق له في فوج المشاة 16. كتب هتلر من بروكسل في 6 يوليو: "إنها الرحلة الأكثر روعة التي قمت بها على الإطلاق، على الرغم من الهطول الأبدي للمطر". بعد ثلاثة أشهر، وجد هتلر فرصة غير متوقعة لزيارة برلين.

في أواخر سبتمبر 1916، بعد ثمانية عشر شهراً بالقرب من فورن، صدر أمر لفوج المشاة 16 بتعزيز الدفاعات في سوم. سار الثلاثة آلاف رجل إلى أوبوردان (Haubourdin)[16] واستقلوا قطاراً إلى إيوي (Iwuy).[17] هنا استبدلوا خوذهم المسننة بخوذ فولاذية وساروا نحو كامبراي (Cambrai)،[18] ثم إلى فريميكورت (Frémicourt)،[19] وفي النهاية، في الأيام الأولى من أكتوبر، زُجّ بهم في معركة بين بلدتي بابوم (Bapaume)[20] ولو بارك (Le Barque). سجل الفوج 250 قتيلاً و855 جريحاً و90 مفقوداً. عملياً، قُتلت أو جُرحت وحدة إرسال الرسائل بأكملها، كما روى أحد الجنود الناجين.

"كان الرُسل في ممر تحت الأرض، ضيق ومنخفض لدرجة أن شخصين لم يتمكنا من المرور بجانب بعضهما البعض"، يتذكر قائلاً. "يمكنك الجلوس بصعوبة. ظللنا نتعثر على أرجل بعضنا البعض. كان الهواء كثيفاً وثقيلاً لدرجة أنك لا تستطيع التنفس. سلم صغير يقود إلى الخارج. كنت قد جلست للتو بجوار هتلر عندما أصيب الممر بضربة مباشرة. تم هدم السقف وتمزيقه إلى ألف قطعة. تطايرت الشظايا في كل مكان". خرج رجلان فقط سالمَين.

نُقل هتلر إلى مستشفى ميداني قريب في هيرميس (Hermies) بشظية في ساقه. تم علاجه في وقت مبكر من صباح اليوم التالي برفقة إرنست شميدت،

16 بلدية في الشمال الفرنسي.

17 بلدية في الشمال الفرنسي.

18 بلدية في الشمال الفرنسي.

19 بلدية تقع في إقليم باد كاليه من منطقة نور با دو كاليه في شمال فرنسا.

20 بلدية تقع في إقليم باد كاليه من منطقة نور با دو كاليه في شمال فرنسا.

الذي أصيب أيضاً ونقل بالقطار إلى مستشفى عسكري تابع للصليب الأحمر في بيليتز (Beelitz)، وهي بلدة صغيرة بالقرب من بوتسدام، على بعد أربعين ميلاً جنوب غرب برلين. كان من المقرر أن يقضي الشهرين القادمين هناك. "يا له من تغير! من طين معركة السوم، إلى الأسرّة البيضاء لهذا المبنى العظيم!" تذكر هتلر في وقت لاحق. في صورة مؤرخة في 26 أكتوبر 1916، يظهر هتلر في سترة المستشفى البيضاء برفقة اثني عشر مريضاً آخر. يقف في الصف الخلفي، ذراعاه متشابكتان، الوحيد بدون قبعة، شعره أشعث، شاربه كثيف، عيناه داكنتان وحادتان، تعبيره كئيب. يبدو أكبر سناً وأكثر جدية، مما كان عليه في الصور التي التقطت في فورن العام السابق.

أثناء التعافي في بيليتز، أتيحت الفرصة أمام هتلر لرؤية برلين، وزيارة متاحفها لفترة وجيزة، والتجول في أبرز المواقع في المدينة، بما في ذلك أونتر دن ليندن (Unter den Linden)، الجادة الأنيقة التي تصطف على جانبيها الأشجار وترسو في أحد طرفيها بوابة براندنبورغ، وفي الطرف الآخر نصب تذكاري مهيب لفريدريك العظيم. مع هذا النصب البرونزي الضخم للملك البروسي - بعباءته وغطاء رأسه المميز - المثبت فوق قاعدة حجرية من ثلاث طبقات منحوتة بمشاهد للملك المحارب يقود قواته، يدَّعي أوزبورن أن النحات كريستيان دانيال راوش (Christian Daniel Rauch) حقق التوازن المثالي بين "الكلاسيكية" و "البروسية". "لقد فهم راوش كيفية قمع كل دوافعه الكلاسيكية،" كما يقول أوزبورن، "ويخلق من فريتز العظيم، بقبعته ثلاثية الزوايا وشعره المستعار وعكازته، تحفة فنية من الواقعية البرلينية".

في ديسمبر، تم تخريج هتلر من بيليتز وسافر إلى ميونيخ، حيث أمضى عيد الميلاد قبل أن ينضم مجدداً إلى فوج المشاة 16 على الجبهة. عاد إلى برلين في أكتوبر 1917، حيث أمضى إجازة لمدة عشرة أيام مع والدَي رفيق له في الفوج 16، ريتشارد آرنت (Richard Arendt). "المدينة مهيبة"، كتب هتلر

إلى إرنست شميت في 6 أكتوبر 1917. "إنها مدينة حقيقية. كما أن حركة المرور مزدحمة. أنا أتحرك طوال اليوم تقريباً. لقد وجدت أخيراً وقتاً لدراسة المتاحف بشكل أفضل. باختصار: لدي كل ما أحتاجه". بما في ذلك، يمكننا أن نفترض، كتاب أوزبورن برلين.

من الواضح أن هتلر اعتمد على أوزبورن كدليل للمتاحف في برلين، والتي كان المؤلف يكن احتراماً لها بشكل خاص، وادّعى أنها "عوضت" عن أوجه القصور المعمارية في المدينة. يعترض أوزبورن على أحد المتاحف لعرض أعمال الرسام البافاري بيتر كورنيليوس (Peter Cornelius) على حساب الفنان البروسي أدولف مينزل (Adolph Menzel) والنمساوي موريتز فون شويند (Moritz von Schwind). يقول أوزبورن: "لقد عانت أرضية المعرض الوطني بالكامل كثيراً من مطلب وجود معرضَين كبيرَين لـ كورنيليوس، حتى أن عواقب هذه الخطوة لن تُعالج بالكامل أبداً". في رسمه لإعادة الترتيب المتخيل للمجموعة، يصحح هتلر هذا القصور التنظيمي عن طريق نقل أعمال كورنيليوس إلى غرفة واحدة متواضعة، واستيعاب مجموعة فون شويند في ثلاث صالات عرض متجاورة، وتخصيص جناح كامل لأعمال مينزل. قام هتلر بزيارة ثانية لبرلين لمدة عشرة أيام في أوائل خريف عام 1918 وقضى وقته مرة أخرى في استكشاف المتاحف والمواقع المعمارية.

عاد إلى الجبهة في الأيام الأخيرة من سبتمبر، في الوقت الذي كان فيه الهجوم البريطاني الأخير في الحرب قيد التنفيذ. هنا تشوش نظره في هجوم بالغاز. يتذكر هتلر "على تل جنوب ڤيرڤيك (Wervick)،[21] وصلنا مساء 13 أكتوبر إلى عدة ساعات من إطلاق قذائف الغاز التي استمرت طوال الليل بشكل عنيف إلى حد ما. في وقت مبكر من منتصف الليل، أغمي على عدد منا، وتوفي عدد قليل من رفاقنا". تم سحب هتلر من الجبهة ونقله إلى

21 مدينة تقع غرب الفلاندرز في بلجيكا.

مخبأ بالقرب من باسواك (Pasewalk) في شرق بروسيا، حيث استعاد بصره تدريجياً. في نوفمبر من ذلك العام، عندما علم بالاستسلام الألماني، أصيب لفترة وجيزة بنوبة ثانية من العمى.

بعد بضع سنوات، ضخَّم هتلر من العمى الذي أصيب به، مدَّعياً أنه إلى جانب الصدمة للاستسلام الألماني، فقد عجلت حالته بظهوره على الساحة السياسية، كما كتب في كفاحي.

على الرغم من وجود محاذاة تقريبية بين نهاية خدمة هتلر في الخطوط الأمامية وبداية نشاطه السياسي، لا يوجد ما يشير إلى أنه عاد من الحرب في ديسمبر 1918 مع أي نية لتطبيق آرائه السياسية في الواقع.

وصل هتلر إلى ميونيخ مبصراً وبحوزته نسخة مهترئة بعض الشيء من دليل أوزبورن لبرلين - بالإضافة إلى المجلد عن بروكسل - والذي سيحتفظ به لبقية حياته. في أوائل العشرينات من القرن الماضي، انضم برلين إلى عدد متزايد من الكتب في خزانة كتب خشبية، أولاً في شقته في 41 شارع تيرتش، وبعد أغسطس 1929، استقر في مسكنه الأكثر أناقة في الطابق الثالث في ساحة **الوصي على العرش / Prince Regent's Square** في ميونيخ. في حماية هتلر، نجا هذا المجلد من حرق الكتب في مايو 1933 - بصفته يهودياً، كان أوزبورن على قائمة المؤلفين المحظورين وهاجر في النهاية إلى أمريكا - وبالتالي من تفجيرات الحلفاء اللاحقة في الأربعينيات.

في وقت ما من ربيع عام 1945، وُضع برلين في صندوق مع ثلاثة آلاف من كتب هتلر الأخرى وتم نقله إلى منجم ملح بالقرب من بيرتشسغادن (Berchtesgaden)،[22] حيث تم اكتشافه بواسطة وحدة من الفرقة الأمريكية الجوية 101، ونُقل إلى "وحدة تجميع" في ميونيخ، وتم شحنه في النهاية، عبر فرانكفورت، إلى مستودع في الإسكندرية، بولاية فيرجينيا. بعد عدة سنوات

22 بلدية في جبال الألب البافارية. تقع بالقرب من الحدود مع النمسا.

أصبح الكتاب جزءاً من مجموعة الكتب النادرة في مكتبة الكونغرس، حيث خصص له الرقم N6885.07.

في ربيع عام 2001، عندما فتحت كتاب برلين لأول مرة في الأجواء الهادئة لغرفة قراءة الكتب النادرة، مع الأصوات المكتومة لحركة المرور في منتصف النهار، اكتشفت، مدسوساً في المنتصف بين الصفحتين 160 و161، شعرة سوداء مجعدة بطول بوصة واحدة بدا أنها من شارب. امتداد لغرور بنجامين - صون الجامع في كتبه، حرفياً.

الكتاب الثاني

حرفة المعلّم

لا ينبغي أن تؤخذ فكرته عن أن يصبح ملك العالم حرفياً على أنها "إرادة القوة". مختبئة وراء ذلك الاعتقاد الروحي بأنه سيتم العفو في النهاية عن كل ذنوبه.

من مقدمة ديتريش إيكهارت لعرضه المسرحي المقتبس عن مسرحية بير غينت لـ الروائي النرويجي هنريك إيبسان.

نسخة هتلر من بير غينت هي جثة من كتاب. إنها طبعة ثانية، نشرتها دار هوانئيشين (Hoheneichen) عام 1917. ألواح الغلاف ملتوية ومنحنية من المركز إلى الداخل. لقد تلاشى غطاء الكتان العريض والرخيص بشكل غير متساو. بقعة خضراء قذرة في المنتصف تحولت إلى لون بني هامد على طول الحواف، مثل عشب محروق في أواخر الصيف. تم لصق شريط بشع من الورق الأخضر الليموني على طول الكعب، يحمل آثاراً من العنوان الأصلي المطلي بالذهب: الأجزاء العلوية من حرف G وT.

يُفتح المجلد بدون عناء، ويكشف عن تفاني شخصي من ديتريش إيكهارت إلى أدولف هتلر، مكتوب بخط متصل منمق يملأ الصفحة بشكل لولبي، إلى "صديقه العزيز" - (seinem lieben Freund).

قلة من الناس يمكن أن يعتبروا هتلر "صديقاً"، ناهيك عن صديق "عزيز"، ومع ذلك كان إيكهارت أكثر من ذلك. لقد كان الراعي والمعلم والأب، الرجل الذي اشترى لهتلر معطفه الأول، واصطحبه في أول رحلة له بالطائرة، وإلى

أول عمل مسرحي في برلين. علّم إيكهارت هتلر كيفية الكتابة ونشر مقالاته الأولى. قام بالتعريف عن هتلر بين أصدقائه الأثرياء بقوله "هذا الرجل هو مستقبل ألمانيا. في يوم من الأيام سيتحدث العالم بأسره عنه".

والأهم من ذلك، أن إيكهارت شكل الطين الناعم الذي يتكون منه عالم هتلر العاطفي والفكري. عندما التقيا لأول مرة، كان هتلر في الحادية والثلاثين من عمره، وشق طريقه للتو داخل المشهد السياسي في ميونيخ. كان إيكهارت يكبره بجيل، وشخصية قيادية ليس فقط في ميونيخ ولكن أيضاً في الكثير من مناطق ألمانيا. كان إنتاجه لمسرحية بير غينت أحد أكثر الأعمال المسرحية نجاحاً في ذلك العصر، ويُزعم أنه قدم أكثر من ستمائة عرض في برلين وحدها.

لقد كان رجلاً ذا شهية قوية - للنساء والكحول والمورفين - وحتى آراء أقوى، خاصةً عندما يتعلق الأمر باليهود. قام بنشر المجلة الأسبوعية للترويج للكراهية (Auf gut deutsch) "باللغة الألمانية البسيطة"، وشارك أيضاً في ميونيخ بتمويل دار هوانئيشين، وهي دار نشر متخصصة في الأدب المعادي للسامية. زعمت إحدى الصحف في ميونيخ أن كراهية إيكهارت لليهود كانت شديدة لدرجة أنه يمكن أن "يأكل نصف دزينة من اليهود مع مخلل الملفوف على الغداء". ربّى إيكهارت التركيز والشكل والحماس لمعاداة هتلر للسامية.

لاحظ أحد المقربين من هتلر أن "إيكهارت كان الرجل الذي، وفقاً لتصريحات هتلر المتكررة، له الفضل الأكبر في تطوره الشخصي. لقد كان صديق هتلر المقرب، ويمكن للمرء أن يعتبره أيضاً والده الفكري. هذا صحيح خاصة في البداية؛ نزعته الوطنية العنصرية المتعصبة ومعاداته الراديكالية للسامية جعلت من إيكهارت أكبر مؤثرٍ على تطوره السياسي". وبحسب ما ورد، قال إيكهارت وهو على فراش الموت، "اتبعوا هتلر! سيرقص، لكنني أنا من عزفت اللحن!" وأشاد هتلر بإيكهارت ووصفه بأنه "النجم القطبي" للحركة النازية.

في أواخر عام 1918، عاد هتلر من الحرب ليجد ألمانيا في حالة من الفوضى. في برلين، أطاح الاشتراكيون بالقيصر وأعلنوا جمهورية اشتراكية. في ميونيخ، أعلن الراديكالي الاشتراكي كورت إيسنر (Kurt Eisner) بافاريا دولة مستقلة، إلا أنه اغتيل من قبل عدد من اليمينيين. في الاضطرابات التي أعقبت ذلك، استولى البلاشفة على الحكومة - بما في ذلك فوضوي وكاتب مسرحي ومريض نفسي أعلن الحرب على سويسرا خلال المدة البسيطة كوزير للخارجية - وأسسوا دولة بافاريا السوفيتية قصيرة العمر. في نهاية المطاف، قامت قوة قوامها تسعة آلاف جندي نظامي مدعومة من قبل فرايكوربس[23] وقوامها ثلاثون ألف جندي تم تسريحهم من الخدمة بالإطاحة بالبلاشفة، وبعد إعدام قادتهم، بإعادة ترسيخ نوع من النظام النسبي.

وسط الاضطرابات وجد هتلر ملجأ في ثكنات مدينة أوبيرفيزنتال (Oberwiesenthal) في ضواحي ميونيخ. لبضعة أسابيع، وقف حارساً في سجن في بلدة تراونشتين (Traunstein) القريبة، جنباً إلى جنب مع زميله الرسول السابق في الفوج 16، إرنست شميت، ثم لمدة شهر أو نحو ذلك مع المراقبين في محطة القطار الرئيسية في ميونيخ. في الثكنات، بدأ بالانتشار بين الوحدات العسكرية التي تحرض على التمرد البلشفي، وتم تكليفه لفترة وجيزة بالانضمام إلى لجنة استجواب تحدد الولاءات السياسية للجنود قبل الموافقة على إطلاق سراحهم من الجيش.

23 Freikorps، "الفيلق الحر"، هي الوحدات التطوعية الألمانية التي كانت موجودة من القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين، والتي كان أفرادها يقاتلون بفعالية كمرتزقة، بغض النظر عن جنسيتهم، في البلدان الناطقة بالألمانية، تم تشكيل أول ما يسمى فرايكوربس في القرن الثامن عشر من المتطوعين الأصليين، والمرتدين من العدو، والفارين، والمجرمين. وكانت هذه الوحدات المجهزة في بعض الأحيان تعمل كمشاة وسلاح فرسان (أو نادراً ما تكون مدفعية)، وأحياناً في قوة سرية، وأحياناً في تشكيلات تصل إلى عدة آلاف من القوى؛ كان هناك أيضاً العديد من التشكيلات أو الفيالق المختلطة.

في هذه الأسابيع، لفت هتلر انتباه الكابتن كارل ماير (Karl Mayr)، الذي تأثر بمشاعره القوية المناهضة للبلشفية وطريقة كلامه المقنعة.

في ربيع ذلك العام، اقترح ماير أن يحضر هتلر دورة تدريبية لمدة أسبوع في الأيديولوجية السياسية في جامعة ميونيخ، وفي أغسطس أرسله في دورة تدريبية لمدة أسبوعين في الدعاية والخطابة في منشأة تدريب عسكرية بالقرب من أوغسبورغ (Augsburg). عندما عاد هتلر، أرسله ماير في غزوات لجمع المعلومات الاستخبارية بين الأحزاب المتطرفة الناشئة التي تكاثرت في جو سياسي غامض.

في يوم الجمعة، 19 سبتمبر 1919، حضر هتلر اجتماعاً لـ (Deutsche Arbeiterpartel) "حزب العمال الألماني"، وهي حركة جديدة تأسست في شهر يناير من قبل الصحفي الرياضي كارل هارير (Karl Harrer)، وميكانيكي السكك الحديدية المحلي أنطون دريكسلر (Anton Drexler)، حيث كان من المقرر أن يلقي ديتريش إيكهارت خطاباً. عندما مرض إيكهارت، حلّ محلّه جوتفريد فيدر (Gottfried Feder)، الذي قرأ هتلر كتابه عن "عبودية الفائدة" في وقت سابق من ذلك العام. "انطباعي لم يكن جيداً ولا سيئاً، منظمة جديدة مثل العديد من المنظمات الأخرى"، قال هتلر في وقت لاحق عن الاجتماع. "كان هذا وقتاً شعر فيه أي شخص غير راضٍ عن التطورات ولم يعد يثق في الأحزاب القائمة بأنه مُطالَب بتأسيس حزب جديد. في كل مكان ظهرت هذه المنظمات على الأرض، لتختفي بصمت بعد فترة".

خلال المناقشة التي أعقبت محاضرة فيدر، اندلع جدال حول النمسا - دعا أستاذ إلى إنشاء دولة نمساوية بافارية - وصب هتلر غضبه على الأستاذ، الذي فر في النهاية ذليلاً. أعجب دريكسلر بمهارات هتلر الخطابية، وسلمه كتيّباً سياسياً كان قد كتبه عن تحوله الشخصي إلى العقلانية الراديكالية.

في ذلك المساء نفسه في ثكنة أوبيرفيزنتال، قرأ هتلر مقالة دريكسلر

صحوتي السياسية: من يوميات عامل اشتراكي ألماني. في هذه القصة السياسية المكونة من أربعين صفحة عن بلوغ سن الرشد، قرأ هتلر عن تحول دريكسلر من عامل مراهق لا مبالٍ وقريب من الفقر المدقع في برلين - "نتيجة للبطالة، نجوت من خلال العزف على آلة وترية في ملهى ليلي" - إلى ألماني قومي متحمس ومعادٍ للسامية. "يعني المرء بمعاداة السامية كل أولئك الذين يدركون التأثير اليهودي المدمر على حياة شعبنا، والذين يحاربونه ويحمون أنفسهم من الخنق الاقتصادي الذي يمارسه اليهود!"، يتتبع دريكسلر تحوله إلى معاداة السامية في ليلة في نوفمبر 1917 عندما التقى برجل أعمال يهودي في آنتويرب (Antwerp)، وانخرط في نقاش حول القومية الألمانية انتهى بفقد دريكسلر للوعي في سجن محلي. كتب دريكسلر: "لا أستطيع أن أقول ما إذا كان رسول التلمود هذا قد سكب شيئاً ما في النبيذ، ولكن لاحقاً كلما فكرت في الأمر أكثر، قادني ذلك إلى دليل لم أعرفه إلا الآن". كان تجلي دريكسلر، بالطبع، هو الانتشار المزعوم للنفوذ والسيطرة اليهودية.

يدَّعي دريكسلر أنه تتبع التأثيرات اليهودية في الصحافة، بما في ذلك صحيفة فوسيشه / **Vossische Zeitung**؛ في مجال التمويل، حيث أكد أن 80 في المائة من الأصول الألمانية "في أيدي اليهود"؛ في النقابات العمالية؛ الأحزاب السياسية؛ الحركة البلشفية؛ وفي النهاية إلى انهيار المجهود الحربي الألماني. يتحدث دريكسلر بشكل ينذر بالسوء عن "التأثير اليهودي المدمر على حياة شعبنا"، ويؤكد التهديد الاقتصادي المزعوم، مُضمّناً أطروحته مقتطفات من التلمود، وخطاباته الخاصة، وقصيدة لديتريش إيكهارت، وبمفاهيم مشؤومة مثل "الاستئصال" (Ausrottung) و"الإبادة" (Vernichtung). كتب دريكسلر: "منذ اللحظة التي تعرفت فيها على العدو الحقيقي لجميع العمال، لم يكن هناك من يوقفني. بسبب الحب الكبير الذي شعرت به لوطني الأم، حددت لنفسي مهمة استخدام كل الوسائل المتاحة أمامي للمساعدة في

فتح أعين تلك النفوس المسكينة المضللة لرؤية العدو الحقيقي".

عندما قرأ هتلر أطروحة دريكسلر، وجد أصداء مألوفة مع تجاربه الخاصة. "بمجرد أن بدأت، قرأت الكتاب الصغير باهتمام؛ لأنه عكس عملية مماثلة لتلك التي مررت بها بنفسي قبل اثني عشر عاماً"، يتذكر هتلر. "بشكل لا إرادي، رأيت تطوري ينبض بالحياة أمام عيني". بعد أيام قليلة، تلقى هتلر بطاقة بريدية تقول إنه "قُبل" في حزب العمال الألماني. تفكَّر في موضوع العضوية وقرر الانضمام. "الآن لدينا نمساوي. يا رجل، إنه يعرف حقاً كيف يتحدث،" قال دريكسلر ساخراً لاحقاً. "يمكننا بالتأكيد استخدامه".

عندما حضر هتلر اجتماعاً ثانياً في غرفة خلفية في Sternecker Beer Hall، وجد نفسه مع ثلاثين أو أربعين شخصاً يستمعون إلى خطاب مطوَّل وممل من قبل كارل هارير. استمر هارير لبعض الوقت عندما قاطعه فجأة "صوت عميق خشن" لرجل مسن: "متى ستتوقف عن الهراء. لا أحد يأبه لما تقوله!" استدار هتلر ورأى شخصاً مهيباً ذا رأس أصلع، وعيون زرقاء حادة، وشارب كأنه رُسم بفرشاة يحدق فيه. يتذكر هتلر لاحقاً: "كان بإمكاني معانقته امتناناً".

وضع هارير نهاية مرتبكة لخطابه، ومع تفرق الاجتماع، قاد أنطون دريكسلر هتلر إلى الرجل الأكبر سناً وقدمه باسم ديتريش إيكهارت. شعر هتلر بألفة فورية. سأل إيكهارت هتلر عما إذا كان قد رأى بير غينت أو لورنزاشيو، مسرحيتان كتبهما إيكهارت - لم يشاهدهما هتلر - ثم دعاه إلى منزله. كانت لحظة مفصلية. في الأسبوع التالي، رافق دريكسلر هتلر إلى فيلا إيكهارت الجميلة، حيث تم اصطحابهما إلى مكتبة إيكهارت في الطابق العلوي.

عندما دخل الرجلان، نهض إيكهارت بشكل مهيب من مكتبه، والتفت نحوهم، ونظر من فوق نظَّارة القراءة، ورفع رأسه المتسلط - تذكر هتلر

بوضوح كل التفاصيل – وبعد إزالة نظارته، تقدم للترحيب بضيوفه مصافحاً. يتذكر هتلر: "جبهة قوية، وعينان زرقاوان، ومظهره بالكامل مثل صورة الثور، ناهيك عن صوت له نبرة صريحة رائعة".

لم يقابل هتلر أبداً أي شخص مثل إيكهارت. كان والده، ألويس هتلر، موظفاً حكومياً متوسط المستوى، أدى افتقاره إلى التعليم الرسمي لتعطيل مسيرته المهنية في وقت مبكر، على الرغم من قدراته الفكرية المُعترف بها، مما جعله يشغل سلسلة من المناصب المتواضعة في مكاتب الجمارك على طول نهر إن، على الحدود بين النمسا وألمانيا. في وقت متأخر من حياته، اشترى منزلاً ريفياً كبيراً فرض ضرائب على موارده وطاقاته، لدرجة أنه تخلى عنه في النهاية، وانتقل إلى سكن أكثر تواضعاً بالقرب من لينز (Linz)، حيث أمضى بقية أيامه. في النهاية، كان طموحه الوحيد في الحياة هو أن يرى ابنتيه متزوجتين، وأن يعمل ولداه بأجر جيد. أشار نعيه في الصحيفة المحلية إلى إنجازاته في تربية النحل، وطبيعته سريعة الغضب، وصوته الرنان.

بصفته نجل مسؤول حكومي عادي، كان هتلر يشعر بالذهول من مكانة إيكهارت، المادية والجسدية على حد سواء، كما وقد شعر بالإطراء من الاهتمام الذي أحاطه به. يبدو أن إيكهارت قد أعجب بشكل مماثل بهتلر. على عكس كارل هارير، الذي وجده إيكهارت مملاً، أو حتى دريكسلر، الذي أمضى سنوات الحرب منخرطاً في سياسات الجبهة الداخلية، كان هتلر يمتلك الشغف والمؤهلات التي طالما سعى إيكهارت للحصول عليها.

"نحن بحاجة إلى شخص معتاد على صوت الرشاش، يقودنا. شخص يمكنه إخافة الناس"، أعلن إيكهارت ذلك قبل ثلاث سنوات، في جلسة شرب في مقهى نيتل في ميونيخ. "لست بحاجة إلى ضابط. لقد فقد عامة الناس كل احترام لهم. الأفضل أن يكون عاملاً يعرف كيف يتحدث. لا يحتاج إلى معرفة الكثير. السياسة هي أغبى مهنة على وجه الأرض". ادّعى إيكهارت أن "زوجة

أي مزارع" في ميونيخ لا تقل معرفتها السياسية عن أي زعيم سياسي. قال: "أعطني قرداً عبثاً يمكنه أن يوقف الحُمر عند حدهم ولن يهرب بمجرد أن يقوم شخص ما بأرجحة عصا في وجهه. سأفضله في أي يوم على أكثر من اثني عشر أستاذاً متعلماً يبللون ملابسهم ويجلسون هناك يرتجفون بحقائبهم يجب أن يكون عازباً، ثم سنحصل على النساء".

من الواضح أن الوصف مصمم خصيصاً لهتلر لدرجة أنه سيقوض المصداقية. ولكن مع ذلك هناك دليل مستقل على بحث إيكهارت قبل هتلر عن زعيم مستقبلي. في مسرحية لورنزاشيو، التي عُرضت لأول مرة في خريف عام 1916، يروي إيكهارت متاعب أمير فلورنسي في البحث عن زعيم – يستخدم إيكهارت كلمة فوهرر – يمكنه غرس الفخر وإعادة إرساء النظام في دولته. يضفي إيكهارت مشاعر اليأس على الأمير الفلورنسي من عدم العثور على "أحد" (keiner): "لا أحد، لا أحد، لا أحد!" يبكي، مردداً صدى حزن الملك لير المكسور "أبداً، أبداً، أبداً، أبداً، أبداً".

عندما عُرضت لورنزاشيو على خشبة المسرح في مسرح رويال كورت في برلين، تحدثت المسرحية بقوة عن خيبة الأمل المتزايدة من القيادة الألمانية، والحرب التي بدت وكأنها ساكنة في نهر لا ينضب من إراقة دماء لا معنى لها.

مع الدخل الكبير الذي حصل عليه من نجاحاته المسرحية، ساعد إيكهارت في تمويل الجمعيات اليمينية مثل نادي فيخته (Fichte Club) في برلين، وجمعية ثول (Thule Society) في ميونيخ، والتي روجت لسلالات قاتلة من القومية ومعاداة السامية تحت ستار التصوف الآري؛ كانت ثول العاصمة المزعومة لإمبراطورية آرية قديمة تقع في الدول الاسكندنافية. في عام 1917، قام مع جوتفريد غرانديل (Gottfried Grandel)، رجل الأعمال الثري من أوغسبورغ، بتمويل الاستحواذ على دار هوانئيشين، وفي العام التالي، شارك في تمويل الجريدة الأسبوعية Auf gut deutsch.

في الوقت نفسه، جاب إيكهارت الأطراف السياسية في ميونيخ بحثاً عن موهبة كتابية. في ديسمبر 1918، تعاقد مع ألفريد روزنبرغ (Alfred Rosenberg)، وهو ألماني وسيم من البلطيق، يبلغ من العمر 21 عاماً، شارك في كراهيته المزدوجة لليهود والبلاشفة، بالإضافة إلى عضويته في جمعية ثول. في الربيع التالي، عيّن إيكهارت هيرمان إيسر (Hermann Esser)، وهو صحفي ذو قلم مسموم، يتمتع بغريزة لكل ما هو فضائحي ومرعب.

والجدير بالذكر أن إيكهارت بدأ بجذب وولفجانج كاب (Wolfgang Kapp)، الأرستقراطي البروسي، الذي جعلته إدانته العدوانية لمعاهدة فرساي وديمقراطية فايمار، متحدثاً بارزاً لليمين الراديكالي في جميع أنحاء ألمانيا. في الأسابيع نفسها التي التقى فيها إيكهارت وهتلر لأول مرة، سافر إيكهارت إلى برلين لحضور لقاء شخصي مع كاب. كتب إيكهارت إلى كاب بعد ذلك: "لقد كنت معجباً بشخصك فقط من مسافة بعيدة، وفجأة أصبحتَ قريباً جداً مني". في مارس 1920، عندما قام كاب بانقلاب عسكري مع وحدات ساخطة من الجيش الألماني، استعار إيكهارت طائرة وطياراً من غراندل وسافر إلى برلين. دعا هتلر للانضمام إليه.

عندما وصل الرجلان إلى فندق أدلون، الذي كان مقراً لـ كاب، رأى إيكهارت الصحفي المجري إغناتيوس تيموثي تريبتش لينكولن (Ignatius Timothy Trebitsch-Lincoln)، الذي عينه كاب كمتحدث صحفي. على الفور، أدرك إيكهارت أن كاب ليس الرجل المناسب. كان تريبتش لينكولن يهودياً. أخذ إيكهارت ذراع هتلر. "لنذهب يا أدولف"، قال. "لا نريد أي علاقة بهذا النوع من الأشياء". ردد هتلر مشاعر إيكهارت في تقرير استخباراتي قدمه عند عودته إلى ميونيخ. "عندما رأيت المتحدث الصحفي باسم حكومة كاب وتحدثت معه"، كتب هتلر. "علمت أن هذه لا يمكن أن تكون ثورة وطنية، وأنها يجب أن تفشل، لأن المتحدث الصحفي كان يهودياً".

في الأيام التي تلت ذلك، شاهد إيكهارت وهتلر انقلاب كاب يتفكك في حالة من الفوضى والبؤس المطلق. أصابت الضربات البلشفية المدينة بالشلل. راوغت وحدات الرايخسفير (Reichswehr) المتمردة. فر الرايخستاغ الألماني من برلين، وعاد إلى الانعقاد أولاً في فايمار، ثم في شتوتغارت، واستمر في إدارة البلاد. في غضون أسبوع، انتهى الانقلاب. هرب كاب، وعادت حكومة فايمار. بقي إيكهارت وهتلر في برلين، حيث قاما بزيارة أصدقاء إيكهارت الأثرياء، وعلى الأرجح، حضرا عرضاً لـ بير غينت في المسرح الوطني.

لم يقدم هتلر ولا إيكهارت تفاصيلاً عن الوقت الذي أمضياه معاً في برلين، لكن الكلمات والأفعال اللاحقة تشير إلى أنهما أسسا رابطاً شخصياً قوياً. "شعرت بنفسي منجذباً إلى شخصه، وسرعان ما رأيت أنه الرجل المناسب للحركة بأكملها"، لاحظ إيكهارت لاحقاً، "وأصبحت علاقتي به شخصية أكثر خلال فترة انقلاب كاب". على الرغم من أننا لا نملك شهادة مماثلة من هتلر، إلا أن أفعاله تشهد على صحة كلمات إيكهارت. فور عودته إلى ميونيخ، استقال من مهمته في الجيش، وترك مسكنه في الثكنات، وانتقل إلى شقة في الطابق الثاني في شارع تيرتش 41، في مكان هادئ مع حفنة من الممتلكات، التي تم تفصيلها بعناية في سجلات الجيش، بالقرب من نهر إيزار وأسفل الشارع مباشرة من مكتب إيكهارت.

مع وجود هتلر على بُعد أبواب قليلة فقط، كان من الملائم لإيكهارت أن يفترض حق الملكية فيما يتعلق بمهنة الرجل الشاب. قام بتعريف هتلر على أصدقائه، وأضاف جاذبيته اليمينية إلى ظهور هتلر المبكر في قاعة البيرة، وأدار على المسرح شخصية هتلر العامة. نتيجة لغريزته المسرحية، حجب إيكهارت صورة هتلر عن الصحافة، كوسيلة لإثارة هالة من الغموض حول شخص هتلر. صدرت تعليمات لجنود العاصفة بالاعتداء على المصورين الذين يحاولون تصويره؛ بشكل عام، تمت إزالة الفيلم بالقوة فقط، على الرغم من تحطيم

الكاميرات في بعض الأحيان. عندما طلب ويليام راندولف هيرست (William Randolph Hearst) صورة لهتلر لإدراجها مع قصة إخبارية، قيل له إن ذلك سيكلفه ثلاثين ألف دولار. إذا أردت رؤية هتلر، عليك أن تذهب للاستماع لخطبه. هناك تفسير أكثر واقعية قال إن التحفظ على صورة هتلر يهدف إلى تجنب التعرف عليه بسهولة من قبل الشرطة.

على أي حال، حتى وقت متأخر من عام 1923، بينما كان هتلر يوجد في أكبر الأماكن في ميونيخ وأصبح عنصراً أساسياً في الصحافة الألمانية، ظل مظهره الجسدي غامضاً. عندما زار رسام الكاريكاتير السياسي المقيم في ميونخ توماس ثيودور هاين (Thomas Theodor Heine) برلين، سُئل عن شكل هتلر مراراً وتكراراً لدرجة أنه رد بصفحة كاملة من رسوم كاريكاتورية تصور هتلر، والتي تم تقديمها بأبعاد مبالغ فيها بشكل غريب، كل منها يركز على سمة مميزة - نظرته الفاتنة، صوته الأسطوري، إيماءاته المتعصبة. "ولكن كيف كان شكل هتلر حقاً؟" تأمل هاين. "يجب أن يبقى السؤال بدون إجابة. هتلر غير موجود كفرد. إنه حالة".

الأهم من ذلك، بالطبع، أن إيكهارت كتب دور هتلر باعتباره أشهر معادٍ للسامية في التاريخ. باعتراف هتلر نفسه، لم يكن لديه سوى معرفة عابرة بالفكر أو الخطاب المعادي للسامية قبل أن يقابل إيكهارت. وادّعى أن والده كان سيعتبر استخدم مصطلح يهودي في منزل آل هتلر علامة على "التخلف الثقافي". يتذكر هتلر أنه "رُعِب" من الملاحظات العرضية المعادية للسامية التي سمعها في المدرسة. "لم أبدأ حتى السنة الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمري بسماع كلمة "يهودي" باستمرار، ويرتبط ذلك جزئياً بالمناقشات السياسية"، قال هتلر. "لقد ملأني هذا بنوع من الكراهية، ولم أستطع التخلص من الشعور غير السار الذي كان يراودني دائماً كلما حدثت مشاجرات دينية بوجودي".

في فيينا، حيث واجه هتلر لأول مرة "المسألة اليهودية"، وجد نفسه ممزقاً بين "التسامح" الفطري لتربيته المنزلية، والخطاب المعادي للسامية لليمين السياسي في المدينة، فضلاً عن لقاءاته المباشرة مع اليهود في شوارع المدينة. لاحظ هتلر: "كما هو الحال دائماً في مثل هذه الحالات، بدأت الآن في محاولة تخفيف شكوكي بالكتب. بقليل من المال اشتريت أول كتيبات معادية للسامية في حياتي". ورفضهم ووصفهم بأنهم "غير علميين".

الآن أخذت معاداة هتلر للسامية شكلاً، واشتعلت النيران تحت وصاية إيكهارت. قال هتلر: "تعامل ديتريش إيكهارت بنفسه مع الجوانب الأدبية والفكرية، لكن قلة مثله أتقنت موضوع النقاش". على وجه الخصوص، ينسب هتلر الفضل إلى إيكهارت في إقامة الصلة بين اليهود والبلاشفة.

في حين أنه لا توجد طريقة لقياس التأثيرات المحددة التي مارسها إيكهارت على معاداة هتلر الوليدة للسامية، أو ما قد يكون هتلر قد تشربه من رفاقه الآخرين وقراءاته الخاصة، فنحن قادرون على اكتساب بعض المعرفة من نبرة وروح وصاية إيكهارت من خلال "محادثة" كان إيكهارت يكتبها وقت وفاته. في هذا النوع المجزأ والمنحرف من الحوار السقراطي بين المرشد والتلميذ، ينخرط إيكهارت وهتلر في مباراة قتالية من التفوق الواحد المعادي للسامية، حيث يحاول كل منهما التفوق على الآخر من حيث الشراسة. يلقي هتلر باللوم على اليهود في التجاوزات الجماعية والخطأ الذي ارتكبته الكنيسة الكاثوليكية: فبيع صكوك الغفران هو "ممارسة يهودية" صارخة؛ الحروب الصليبية التي زُعم أنها أفقدت ألمانيا "ستة ملايين رجل" وأرسلت "عشرات الآلاف من الأطفال" إلى قبورهم كانت من بنات أفكار اليهود. "يا لها من ديانة!" هتلر يحتدم. "هذا التورط في القذارة، هذه الكراهية، هذا الحقد، هذه الغطرسة، هذا النفاق، هذه المضايقة، هذا التحريض على الغش والقتل - أهذا دين؟ إذن، لم يكن هناك من هو أكثر تديناً من الشيطان نفسه. إنه الجوهر اليهودي، الشخصية اليهودية، نقطة على السطر!".

"لقد عبر لوثر عن رأيه بالأمر بوضوح كافٍ"، يجيب إيكهارت. "إنه يحثنا على حرق المعابد والمدارس اليهودية، ودفن الأنقاض تحت التراب، حتى لا يرى أحد مرة أخرى حجراً أو جمرة واحدة منهم".

ويضيف هتلر باقتناع، "أخشى أن حرق المعابد اليهودية لن يجدي نفعاً يذكر. حقيقة الأمر هي: حتى لو لم يكن هناك كنيس، ولا مدرسة يهودية، ولا عهد قديم، ولا تلمود، فإن الروح اليهودية كانت ستظل موجودة ولن يختفي تأثيرها".

تمتد "محادثة" إيكهارت في ثمانين صفحة، ثم تنتهي فجأة. تم نشر الجزء من قبل دار هونئيشين في مارس 1923، بعد ثلاثة أشهر من وفاة إيكهارت، بينما كان هتلر قيد المحاكمة بعد محاولته الفاشلة للإطاحة بالحكومة البافارية. تجاهل كتاب سيرة هتلر بشكل عام، هذه الوثيقة الغريبة، حيث من الواضح أنها حوار مبتكر، ولا يوجد دليل على أن هتلر كان له يد في إنشائها. في حين أن هناك سبباً وجيهاً لرفض "المحادثة" كوثيقة تسجيل، فهي لا تعبر فقط عن لهجة وروح، إن لم يكن المحتوى الحرفي، مناقشات إيكهارت مع هتلر، ولكنها تحافظ أيضاً على حقيقة شخصية أكثر أهمية: داخل تلك الصفحات الثمانين المكتوبة بخط اليد، يسمح إيكهارت لهتلر بمطابقته تماماً من حيث الحقائق والنقد اللاذع، في طقوس يظهر فيها الطالب أنه على نفس السوية من معلمه.

عندما قام إيكهارت بإهداء بير غينت لـ "صديقه العزيز أدولف هتلر" في خريف عام 1921، كان لديه أكثر من عشرين عملاً - مسرحيات ومختارات شعرية وروايات ومجموعات مقالات - للاختيار من بينها، والعديد منها أكثر ملاءمة من ملحمة إبسن. كان بإمكانه أن يقدم لهتلر نسخة من ثانهوزر في إجازة (Tannhäuser on Vacation)، وهو تكريمه لريتشارد فاغنر الصادر عام 1895. وبعد ذلك، بالطبع، كان هناك لورنزاشيو، بإشارته المتبصرة فيها

في "[illegible]"، نسخة منها أهداها إيكهارت إلى أخت هتلر الصغرى، باولا، بعبارة أثارت إعجاب كل من المانح والمتلقي.* مع ذلك، عند اختيار بير غينت لهتلر، قصد إيكهارت أن تكون الإشارة شخصية أكثر من كونها غروراً. لم يكن إنتاجه المسرحي لـ بير غينت أنجح أعماله فحسب، بل كان أكثر عمل عبّر عنه.

عندما قرأ إيكهارت قصيدة إبسن الملحمية لأول مرة في ربيع عام 1911، كان يبلغ من العمر أربعة وأربعين عاماً؛ كاتباً فاشلاً أهدر وعده الفني وموارده المالية، واضطر للنوم على مقاعد المتنزهات في برلين. ولم ينقذه من العوز سوى موت والده والميراث الذي أعقب ذلك. أثرت فيه قصة فاوست الشمالي (Nordic Faust) لإبسن. ينطلق بطل الرواية الذي يحمل الاسم نفسه إلى عالم مليء بالخطرسة الشبابية من قرية نرويجية معزولة، عازماً على أن يصبح "ملك العالم". يسافر عبر أوروبا وشمال إفريقيا، عبر عالم المتصيدين السحري، وإلى بلاط الملوك، تاركاً أرواحاً محطمة ووعوداً كاذبة في أعقابه، ليعود إلى وطنه في نهاية حياته في حالة خراب وخزي. هناك يجد حبيبته المهجورة ولكن المخلصة، سولفيج - اسمها يعني "طريق الروح" (Solveig) - تنتظره وتقدم له الخلاص. تأثر إيكهارت بمصير بير غينت لدرجة أنه كتب إلى ابن إبسن في النرويج يطلب الإذن بتحويل القصيدة إلى المسرح الألماني.

"لقد اخترت بير غينت، ليس فقط بسبب حياته الداخلية، ولكن على نحو بارز، وإلى حد كبير، من خلال الأشياء التي حدثت له"، أوضح إيكهارت. "وبالمثل، تلعب أغنية سولفيج دوراً حزيناً في وجودي، ولكن نظراً لأن هذا

---

* لقد وجدت الكتاب بين مخبأ لتذكارات عائلة هتلر مأخوذة من شقة باولا هتلر في فيينا في نهاية الحرب من قبل أحد الجيران الذي تبرع بها لاحقاً لأرشيف لينز. إلى جانب العناصر العائلية المتنوعة التي يعود تاريخها إلى شباب هتلر، بما في ذلك دفتر حساب للنفقات المنزلية اليومية، البطاقات البريدية، وتطريز نُقش بالأحرف الأولى من اسم والدة هتلر، هناك أيضاً كتاب مصور لميونيخ قام هتلر بإهدائه إلى أخته عندما زارته لمدة أسبوعين في فبراير 1922.

يحدث لكل روح حساسة، فلا يوجد شيء غير عادي في ذلك. إنه أمر مدهش فقط في الأحداث البعيدة، على سبيل المثال الإصبع الذي تم قطعه - كصبي غبي وضعت يدي ذات مرة في مخرطة حتى لا أضطر للذهاب إلى المدرسة - ولكن أكثر ما يلفت النظر هو ملجأ المجانين. منذ أكثر من عشرين عاماً انتهى بي الأمر هناك بسبب إدمان المورفين الخطير". أشار إيكهارت إلى تشابه آخر. في صيف عام 1867، عندما كان إبسن يتخيل بطله الملحمي لأول مرة، حملت والدة إيكهارت به. كتب إيكهارت: "فليضحك من يشاء على التصوف الناتج. بالنسبة لي، تحمل هذه الحقيقة عيداً فائقاً، راحة لا تتزعزع ستدوم حتى نهاية رحلتي الأرضية". استمر إيكهارت بالكتابة عن هذا الموضوع 14 صفحة، مشيراً - بالإضافة إلى ذلك - إلى أن الترجمة الألمانية المعتمدة لكريستيان مورغنسترن (Christian Morgenstern) كانت محاكاة ساخرة للأصل. في رأي إيكهارت، كان مورغنسترن، اليهودي، أكثر بقليل من "حفار قبور" للغة بالكاد كانت كلماتها مناسبة لصحيفة في إحدى الحانات. للتأكيد على تطابق هويته الشخصية مع شخصية إبسن، قام إيكهارت بنقش "Peer Gynt" على أدواته المكتبية. لذا عندما أهدى إيكهارت بير غينت لـ "صديقه العزيز" أدولف هتلر، كان ذلك لفتة شخصية للغاية.

هتلر، الذي لم يكن على دراية بـ بير غينت عندما التقى إيكهارت لأول مرة في خريف عام 1919، كان سيشعر بأصداء مماثلة لتلك التي حرّكتْ إيكهارت. في شبابه، مثل غينت، كان هتلر ممسوساً بعشق التجوال، تغذيه في جزء كبير منه قصص المغامرات مثل روايات جيمس فينيمور كوبر (James Fenimore Cooper) حكايات ليذرستوكينج (*Leatherstocking Tales*)، وروبنسون كروزو لدانيال ديفو (Daniel Defoe)، ورحلة عبر الصحراء (*Ride Across the Desert*) لـ كارل ماي، ومغامرات الحياة الواقعية للمستكشف السويدي سفين هيدين (Sven Hedin)، الذي اجتاز في العقود الأولى من

القرن العشرين بعضاً من آخر مناطق الأرض المجهولة، وعاد بروايات مثيرة عن أناس غير معروفين، ومخاطر لا توصف. تذكرت باولا هتلر ذات مرة: "عندما كان صبياً، غالباً ما كان يذكر اسم سفين هيدين في جميع أنحاء المنزل".

تابع استكشافاته عبر آسيا الداخلية عن كثب، مثل كل شيء آخر يبدو ذا أهمية لمستقبل العالم. وبعد ذلك - كان بالكاد قد تجاوز سن الطفولة عندما تم أخذه بشوق لا يُقهر إلى أماكن بعيدة، واحداً تلو الآخر، أراد أن يذهب إلى البحر ثم إلى الصحراء، للتخلص من السلاسل التي أبقت روحه المتجولة المضطربة داخل دائرة نصف قطرها عشـرة كيلومترات. في البداية، بقي على مسافة عشـرة كيلومترات، مما كان مصدر ارتياح كبير للأم التي كان مرتبطاً بها.

يتذكر هتلر أنه رأى بير غينت لأول مرة في برلين، بصحبة إيكهارت، مشيراً بقلق إلى تفضيل جمهور ميونيخ لإنتاج مورغنسترن. على الرغم من أن هتلر لم يذكر شيئاً أكثر تحديداً عن الأداء، ولم يذكر السنة ولا الظروف، تحافظ مكتبة هتلر على أصداء ذلك الحدث الذي لا يُنسى في سجل الجراموفون، الذي يسرد أربعة تسجيلات منفصلة لموسيقى كريغ العابرة لـ بير غينت، وفي النسخة المهداة من مسرحية إيكهارت مع الرسوم التوضيحية التسعة المنقوشة على الخشب للمشاهد الفردية. بشكل جماعي، تنقل هذه القطع الأثرية روح ونغمة ذلك المساء، حيث جلس هتلر مع إيكهارت واستمع إلى الملاحظات المؤثرة على آلات النفخ الخشبية، بينما ارتفعت الستارة لتكشف عن كوخ متواضع في المقدمة وقمم صخرية خلفه.

"أريد أن أحقق العظمة"، هكذا صرح بير لوالدته في المشهد الافتتاحي. "أريد الشهرة والشرف لك ولي". على الرغم من تحذير الأمهات من أن مثل هذا الطموح لا طائل منه، ينطلق بير - ألغرو كون بريو -[24] في العالم لتحقيق

24 allegro con brio، السمفونية الخامسة لبيتهوفن، وتعني "البهجة مع المهارة".

أحلامه، واجتياز أوروبا، والسفر عبر البحر، ومقابلة رجال حقيقيين ووحوش أسطورية، وفي النهاية عبور صحراء شمال أفريقيا حيث يستقر في المغرب وسط ثراء وجمال خلاب. على طول الطريق، يعبّد بير غينت طريقاً للدمار البشري، في محاولته الحازمة ليصبح "ملك العالم". يخون غينت الصداقات، ويرتكب القتل، ويغوي، ثم يتخلى عن سولفيج، وهي فتاة قروية تنتظر بصبر عودته الموعودة. عندما يعود بير غينت أخيراً، مدمرَ الجسد والروح وعلى وشك الموت، فإنه يسعى إلى الغفران.

"استنكري جرائمي!" يطالب، وهو يقف أمامها. "استنكري جرائمي!".

غير مدركة لأبعاد جرائمه وتجاوزاته، ترد سولفيج: "لا أعرف ما الذي تتحدث عنه! لقد أوفيتَ بوعدك، يا حبيبي، لقد عدت". الباقي، كما تقول، يجب أن يُترك لله. بينما تأخذ سولفيج بير بين ذراعيها، ينجرف إلى حالة توهمية مليئة بالتلميحات الفرويدية. "يا حبيبتي وأمي، هل ستحميني إذاً من الهلاك؟" يلهث. "خذيني، احميني في رحمك". بقبولها لدورها كحبيبة-أم، تبرِّئ سولفيج بير من خطاياه، وفي المشهد الختامي، تغني تهويدة بينما يغمر شعاع من الضوء الزوجين في دائرة مضيئة.

يظل إيكهارت عموماً وفياً لأصل إبسن، لكنه أضاف في المشهد الأخير لمسة مسرحية غيرت بشكل كبير الدراما الأخلاقية للقصة. يقول إيكهارت: "فقط عندما يرقد محتضراً في حضن سولفيج، وجهه مضاء بشمس الشروق، يدير وجهه للجمهور. لم يعد هو الوجه المعذب والخائف لـ بير العجوز، بل الوجه النضر والشاب والواضح لـ بير الشاب". في تلك اللحظة، تم غسل حياة الخطيئة. يُبرّأ بير في تلك اللحظة، ويرجع إلى نقاء الشباب وبراءتهم. لقد أثبت أنه منعطف مسرحي عاطفي فريد، كما تؤكد على ذلك مراجعات العرض الأول. كتب أحد النقاد: "عندما أغلقت الستائر للمرة الأخيرة في المشهد الأخير، تأثر الجمهور لدرجة أن الأمر استغرق بعض الوقت قبل أن يبدؤوا

بالتصفيق"مشيراً إلى أن التصفيق ارتفع بعد ذلك إلى هدير يصمّ الآذان. لاحظ ناقد آخر: "لقد دخلت إلى القلب مباشرة. حركت كل مشاعر المرء". بعد عقدين من الزمان، كان هتلر لا يزال يتحدث عن الأداء، وفي تكرار غريب، أنهى حياته في مشهد مشابه، مكسوراً في الروح والجسد مع رفيقته إيفا براون على الأريكة، وصورة لأمه على الجدار ولكن بدون أي لمحة من الندم.

للوهلة الأولى، يبدو أنه لا يوجد سبب واضح لانتظار إيكهارت حتى أكتوبر 1921 لإهداء نسخة من غينت لهتلر. بحلول ذلك الوقت، كان قد مرّ عامان على لقائهما. كان التفسير، كما اكتشفت بين أوراق إيكهارت، سياسياً بقدر ما كان شخصياً، حيث قدم بير غينت مسنداً، بالمعنى الحرفي والمجازي، لأول أزمة كبرى في مسيرة هتلر السياسية التي يبدو أن إيكهارت لعب فيها دور صانع الملوك، كما تبين من عشرات الرسائل والمقالات والإيصالات والوثائق الأخرى من أوراق إيكهارت الخاصة التي تم عرضها في بيرتشسغادن.* "بالكاد مر عام ونصف العام منذ أن تحدثت لأول مرة في اجتماع الحزب"، يقول إيكهارت بثقة في خطاب غير مؤرخ من منتصف عام 1921. "كان هناك حوالي خمسة عشر شخصاً، ثمانية منهم أحضرتهم معي، واليوم يجتذب كل اجتماع الآلاف والآلاف". يمضي إيكهارت في شرح تفاصيل دوره المركزي في الاستحواذ على "مراقب الشعب" (Völkischer Beobachter) في ديسمبر السابق، مشيراً إلى أنه قد وافق شخصياً على قرض بقيمة 60,000 مارك من أحد المتبرعين وتبرع بـ 50,000 مارك أخرى من ماله الخاص. تشهد عدد من سندات الدين المتبقية من الحزب النازي على رعاية إيكهارت المستمرة للحركة حتى وفاته في أواخر خريف عام 1923.

* كانت الأوراق جزءاً من ملكية آني أوبستر (Anni Obster)، رفيقة إيكهارت وقت وفاته. تمكنتُ من دراسة المستندات الأصلية في بيرتشسغادن قبل نقلها إلى مجموعة خاصة خارج ألمانيا.

على وجه الخصوص، تشير رسالة من زميله جوتفريد غراندل (Gottfried Grandel) إلى الدور المركزي الذي لعبه إيكهارت في التأثير على كل من هتلر، والحركة التي قادها هتلر. تحت وصاية إيكهارت، تمكن هتلر من تثبيت نفسه فور انضمامه إلى الحركة.

في يناير 1920، بعد شهرين فقط من إسكات إيكهارت لكارل هارير بتدخل "صارم"، أجبر هتلر المؤسسَ المشاركَ للحزب على الخروج من رئاسة الحزب، وهمّش أنطون دريكسلر، وأعاد تسمية الحزب إلى حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني، وأطّر برنامجاً من خمس وعشرين نقطة من شأنه أن يكون بمثابة بيان الحزب النازي خلال ربع القرن المقبل. تعزز إحساس هتلر بالسلطة من خلال توجيه إيكهارت ولكن أيضاً من خلال قدرته الشخصية على جذب الجماهير. على الرغم من أن هتلر لم يكن لديه القدرة الرسمية على اتخاذ القرار، فقد تمت استشارته بانتظام بشأن قرارات الحزب، كما تؤكد ذلك الوثائق الداخلية الباقية التي تحمل تعليقات مكتوبة مثل "سيتم إرسالها إلى السيد هتلر" و "سيتم التعامل معه شخصياً من قبل السيد هتلر". في فبراير 1921، أجبر هتلر قيادة الحزب على التنازل له عن سلطة كبيرة.

عندما دخل دريكسلر في مفاوضات لدمج الحزب النازي مع الحركات القومية الأخرى، ألغى هتلر الخطة بالتهديد بالاستقالة من الحزب. بعد بضعة أسابيع، اتخذ هتلر إجراءً مرة أخرى، عندما اكتشف أن دريكسلر كان منخرطاً في مفاوضات أخرى، هذه المرة مع أوتو ديكل (Otto Dickel)، أستاذ الفلسفة في جامعة أوغسبورغ وتلميذ جوتفريد غرانديل.

في ذلك الوقت، كان هتلر مع إيكهارت في برلين للضغط على أعضاء النادي القومي المحافظ للحصول على تمويل إضافي لصحيفة الحزب، (Völkischer Beobachter)، التي استولوا عليها في ديسمبر السابق بمساعدة مالية من غرانديل وآخرين. في غياب هتلر، دعا دريكسلر ديكل إلى ميونيخ للحديث

عن كتابه انبعاث الغرب (*Resurgence of the West*)، وهو عبارة عن أنشودة من أربعمائة صفحة عن عودة ظهور القومية التي تم نشرها قبل بضعة أشهر، وكانت تحظى بمديح جيد من الصحافة في الأوساط المحافظة. في كتابه، قدم ديكل ترياقاً إيجابياً وقومياً للتشاؤم في أطروحة أوزوالد شبنجلر (Oswald Spengler) الأكثر مبيعاً، انحدار الغرب (*The Decline of the West*). متحدياً ادعاء شبنجلر أن الغرب كان حضارة مستهلكة، جادل ديكل بأن القومية الأكثر حزماً، إلى جانب الاشتراكية الاقتصادية ومعاداة السامية المسموح بها رسمياً، يمكن أن تحيي الثقافة الأوروبية. زعم ديكل أن "طغيان اليهود" كان التهديد الأكبر ليس فقط لألمانيا ولكن للقارة بأكملها. وأكد أن "المسألة اليهودية ليست مجرد مسألة داخلية ألمانية أكثر أهمية لشخص وأقل أهمية بالنسبة للآخر. إنها في الوقت الحاضر أهم قضية بالنسبة للعالم الغربي". ادّعى ديكل أن اليهود يسيطرون على الصحافة والفنون والتعليم، وبالتالي أصبحوا سادة وصانعي الروح الجماعية للشعب (Volksseele). تمثل حل ديكل بـ تطهير آليات السيطرة على النفوذ اليهودي. يجب أن يقوم الآريون فقط بإعلام الآريين الآخرين وتسليتهم وتعليمهم. لم يكن في هذا الكلام أي جديد، باستثناء أنه كتب من قبل أستاذ جامعي بمؤهلات أكاديمية كاملة. أعلنت صحيفة مراقب الشعب سريعاً أن كتاب ديكل انبعاث الغرب "قراءة ضرورية" لكل ألماني قومي بحق.

يوم الجمعة، 12 مايو 1921، ظهر ديكل في القاعة الرئيسية في حانة هوبفرايهوس (Hofbräuhaus) في ميونيخ أمام حشد من الناس. أثبت ديكل، من وجهة نظر دريكسلر، أنه ليس فقط مثقفاً ثاقباً ولكن أيضاً متحدثاً ملهماً وحتى ساحراً. لمدة ساعتين، لفت انتباه الجمهور برؤيته لمستقبل ألمانيا. بعد ذلك، أشار دريكسلر إلى أن ديكل، مثل هتلر، يتمتع "بلمسة شعبية". قام على الفور بحجز ديكل للتحدث في العديد من المناسبات، وقبل دعوة لإحضار

قيادة الحزب النازي إلى أوغسبورغ لمناقشة تعاونٍ محتمل. اتصل الصحفي هيرمان إيسر (Hermann Esser) بهتلر في برلين، وأبلغه بظهور ديكل في ميونيخ وخطط اندماج دريكسلر. كان هتلر غاضباً. لقد قرأ انبعاث الغرب في وقت سابق من ذلك العام، وأخبر دريكسلر أنه "هراء". كان دريكسلر قد مضى قدُماً، ودعا ديكل للتحدث على أي حال، وفي مكان ليس أقل من Hofbräuhaus، قاعة انتصارات هتلر. والأمر الأكثر إزعاجاً هو أنه لم تتم استشارة هتلر أو حتى إبلاغه بمحادثات الاندماج. غاضباً، غادر برلين متوجهاً إلى أوغسبورغ.

وصل هتلر ليجد ديكل يلقي خطاباً أمام قيادة الحزب النازي المجتمعة. بدقة أكاديمية، قام ديكل بتشريح منهجي لبرنامج هتلر الحزبي المكون من خمس وعشرين نقطة، مؤكداً نقاط ضعفه وتناقضاته الداخلية نقطة تلو الأخرى. وجد اسم الحزب مرهقاً وغير عملي، والأسوأ من ذلك كله مضلل. قاطع هتلر ديكل مراراً وتكراراً باحتجاجات وانفجارات عاطفية، وفي النهاية اندفع خارجاً في حالة من الغضب. "عندما حاولت، بعد ثلاث ساعات مملة، الاقتراب سريعاً من هذه الإجراءات عن طريق الخروج من القاعة، لم يدعمني الممثلون الرسميون للحزب الذين كانوا حاضرين"، اشتكى هتلر في وقت لاحق. "بل على العكس تماماً، استمروا في المفاوضات". حتى إيكهارت بقي.

عندما وقف هتلر على قدميه وهرب من غرفة الاجتماعات في أوغسبورغ، أخبره حدسه بشكل شبه مؤكد أنه لا يمتلك خياراً آخر قابلاً للتطبيق. كانت مسيرته السياسية القصيرة مبنية على التنمر والتملق والخداع. لقد كان أستاذاً في السخرية الرافضة أو الملاحظة القاطعة التي تُسكِت النقد أو تشتت الانتباه. عندما فشل ذلك، أغرق المعارضة في موجة من الغضب والتشدق، أو اعتمد على جنود قوات الصدمة الألمانية، بقبضاتهم الحديدية ورؤوس أحذيتهم.

نجحت هذه التقنية بشكل جيد في الصخب المحموم للحانات، ولكنها

كانت أقل فاعلية في البيئة الأكثر تنظيماً لغرف الاجتماعات، خاصةً ضد الحجج العقلانية والمدروسة، التي قدمها خصم واضح يتمتع بقدرة خطابية متماسكة. على عكس الأستاذ الذي طرده هتلر من الغرفة في أول خطبة علنية له في سبتمبر 1919، كان بإمكان ديكل أن يضاهي هتلر في الكلام والذكاء، وكان هتلر يعرف ذلك. شارك هتلر المنصة معه في أوغسبورغ في يناير الماضي، وكان على دراية بنقاط قوة ديكل بقدر ما كان مدركاً لمحدوديته هو، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتعليم الرسمي.

على عكس الشهادات الأكاديمية المتميزة لديكل، كان التعليم الرسمي الوحيد لهتلر منذ تركه المدرسة الثانوية قبل سبعة عشر عاماً هو دورة مكثفة في الأيديولوجية السياسية، أوصى بها كارل ماير، في جامعة ميونيخ في ربيع عام 1919. لمدة أسبوع كامل، بدأ يوم الخميس في الخامس من يونيو، جلس هتلر في قاعة المحاضرات الرئيسية في الجامعة، مستمعاً إلى محاضرات صباحية حول مواضيع تتراوح من "التاريخ الألماني منذ الإصلاح"، إلى "التاريخ السياسي" للحرب العظمى، إلى "الشروط الاقتصادية" لمعاهدة فرساي. كُرِّست فترات ما بعد الظهيرة والأمسيات لورشات عمل حول تقنيات المناقشة التي دربت الطلاب على "المفاهيم الموحَّدة" للهوية الألمانية، و"الاختيار الرصين" للحقائق في تأطير الحجج. "الجزء الرئيسي من الدورة يتكون مع ذلك من تمارين شفهية، ومناقشة وتحليل للعبارات المشهورة، وتسلسل الأفكار في العروض التقديمية الفردية"، كما جاء في التعليمات.

على الرغم من أوجه القصور في التعليم الرسمي، كان هتلر مسكوناً بشهية للقراءة. تتعلق بعض ذكريات هتلر المبكرة في كفاحي بـ "البحث" في مكتبة والده، وهوسه بمؤلفين معينين. لدينا شهادات مماثلة من قبل معارف هتلر من السنوات التي قضاها في لينز وفيينا وميونيخ. يتذكر هيرمان إيسر أن أول قطعة أثاث لشقة هتلر في شارع تيرتش كانت عبارة عن خزانة كتب خشبية

ملأها بسرعة بالكتب من الأصدقاء والمكتبات الأثرية بالقرب من نهر إيزار. عندما امتلأت خزانة الكتب الأولى هذه، اشترى ثانية، وسرعان ما ملأها أيضاً.

يتذكر إرنست "بوتزي" هانفستاينغل (Ernst "Putzi" Hanfstaengl)، زميل هتلر الذي تلقى تعليمه في جامعة هارفارد، مسحه لخزائن كتب هتلر في تلك السنوات والعثور على الرفوف مليئة بالروايات البوليسية الرخيصة، موسوعة سبامر المصورة، مذكرات بقلم سفين هيدين، سرد للحرب العالمية الأولى للجنرال إيريخ لوديندورف (Erich Ludendorff)، نسخة من الكتاب الكلاسيكي لـ كارل فون كلاوزفيتز (Karl von Clausewitz) حول الحرب، السير الذاتية لفريدريك العظيم وريتشارد فاغنر، والأطروحات التاريخية التي تراوحت من تاريخ عالمي قياسي بقلم ماكسيميليان يورك فون فارتنبرغ (Maximilian Yorck von Wartenburg) إلى أطروحة كتبها مؤرخ القرن التاسع عشر هاينريش فون تريتشك (Heinrich von Treitschke)، الذي صاغ عبارة "اليهود هم مصيبتنا"، ونسخة من "التاريخ الألماني" بقلم هاينريش كلاس (Heinrich Class)، وهو قومي متطرف كتب تحت الاسم المستعار آينهارت (Einhardt).

قام فريدريك كرون (Friedrich Krohn)، الذي أسس مكتبة إعارة للأدب اليميني في المعهد الاشتراكي القومي في ميونيخ، بتجميع قائمة بالعناوين التي استعارها هتلر بين عامي 1919 و1921 والتي تشير إلى انتقائية مماثلة. تحوي القائمة المكونة من أربع صفحات على أكثر من مائة إدخال حول مواضيع تتراوح من تاريخ الكنيسة المبكر "الخرافات البابوية في العصور الوسطى"* إلى كتابات المؤرخ المشهور ليوبولد فون رانك (Leopold von Ranke)، إلى الروايات الحية عن الثورة الروسية، والعديد من الأعمال عن السيادة الإقليمية

* Papal Fables of the Middle Ages، من تأليف إيغناز فون دولينجر Ignaz von Döllinger.

للنمسا. هناك أيضاً أعمال لمونتسكيو وروسو، وأطروحة كانط "العناصر الميتافيزيقية للأخلاق"، و"انحدار الغرب" لـ شبنجلر.

ليس من المستغرب أن يلتهم هتلر مقتنيات المعهد الواسعة المعادية للسامية، بما في ذلك الكلاسيكيات حول هذا الموضوع: أسس القرن التاسع عشر / *Foundations of the Nineteenth Centur* لهيوستن ستيوارت تشامبرلين، الترجمة الألمانية لكتاب هنري فورد اليهودي الدولي: المشكلة الأولى في العالم / *The International Jew: The World's Foremost Problem*. مختصر لعناوين مثل لوثر واليهود، غوته واليهود، شوبنهاور واليهود، فاغنر واليهودي، والمختارات من التصريحات المعادية للسامية من مارتن لوثر إلى إميل زولا. يتضمن مخزون كرون أيضاً صحوتي السياسية لأنتون دريكسلر، وكتاب جوتفريد فيدر بيانٌ للتغلب على عبودية الفائدة لرأس المال / *Manifesto for Overcoming the Interest Slavery of Capital*، والأعداد السابقة من كتابات ديتريش إيكهارت في Auf gut deutsch "باللغة الألمانية البسيطة"، ودراسة نشرها كرون نفسه، هل الصليب المعقوف مناسب كرمز للحزب الاشتراكي القومي؟ / *Is the Swastika Appropriate as the Symbol of the National Socialist Party?*، "في ذلك الوقت، أصبحت على معرفة بهتلر بسبب اختياره للقراءات السطحية والعشوائية إلى حد ما"، لاحظ كرون لاحقاً. "لذلك كان لدي انطباع بأنه لا يمكن أن "يستوعب" كل ما يقرؤه".

على الرغم من أن ذكريات كرون عن هتلر، مثل ذكريات كوبيزك وإيسر وهانفستاينغل، تحتوي على تأكيدات مشكوك فيها، إلا أننا نمتلك أدلة تجريبية تدعم رواياتهم عن اهتمامات هتلر المكتبية. تُظهر صورة داخلية نادرة لشقته في شارع تيرتش، التقطها هاينريش هوفمان، هتلر وهو يرتدي بدلة داكنة أمام إحدى خزانتيه - مع كتب مكدسة فوقها - مقاطعاً ذراعيه في لفتة حازمة.

الأهم، بالطبع، أن الكتب نفسها بحوزتنا. من أصل 1300 أو ما يقرب

من ذلك من مجلدات هتلر المتبقية في واشنطن وأماكن أخرى، وجدتُ ما لا يقل عن أربعين يعود تاريخها إلى أوائل العشرينيات من القرن الماضي، والتي تقدم لمحة سريعة عن العالم الفكري الذي يكمن خلف كتف هتلر في صورة شارع تيرتش: سير ذاتية عن يوليوس قيصر وفريدريك العظيم وإيمانويل كانط؛ طبعة عام 1919 من كتاب "التاريخ الألماني" لكتاب هاينريش كلاس، وهو على الأرجح المجلد الذي سجله هانفستاينغل على رف هتلر؛ أطروحة مؤلفة من 483 صفحة عن "الدولة المستقبلية كملكية اشتراكية"، عرضٌ لتورط بريطانيا في بدء الحرب العالمية الأولى؛ دراسة عن دور القدر في أوبرا بارسيفال لـ فاغنر؛ حفنة من الكتب عن السحر والتنجيم، بما في ذلك تفسير لنبوءات نوستراداموس؛ ترجمة عام 1918 لكتاب القومية، بقلم طاغور، الشاعر البنغالي الحائز على جائزة نوبل للآداب في عام 1915، مع إهداء من عضو مبكر في الحزب النازي يشير إلى أن الكتاب قد أهدي لهتلر في عيد ميلاده الثاني والثلاثين. وبالطبع نُسخ هتلر في الخطوط الأمامية لأوزبورن وهايمان.

هذه هي القطع المتبقية من عالم هتلر الفكري في شارع تيرتش 41، الزاوية الهادئة في ميونيخ التي انسحب إليها بعد انتصاراته الصاخبة في الحانات ومعارك الشوارع. هذه هي الكتب التي غذت خطاباته العنصرية، وأشبعت جوعه الفكري المزعج، ودعمته في مواجهاته مع أمثال أوتو ديكل. في عام 1921، كانت لا تزال معركة غير متكافئة. على الضفة الأخرى من دراسة هتلر لمدة أسبوع واحد في جامعة ميونيخ، ودورة مكثفة لمدة عامين في الأدب اليميني المرصوف ضمن مجموعة المعهد الاشتراكي القومي، ومكتبته المنزلية المكونة من كتابين، كان هناك ديكل، البروفسور. مقابل حفنة من مقالات هتلر في Völkischer Beobachter، قدم ديكل أطروحة كثيفة من ثلاثمائة صفحة مليئة بالجمل التي تتفاخر باتساع نطاقه الفلسفي. كتب ديكل بسيادة فكرية: "من جانبه، شعر شيلينغ، مدفوعاً بنفس عدم الرضا الذي

كان يشعر به تجاه كانط، بأنه مخطط لتجاوز حتى فيخته". عند هذا الحد، كان لا يزال هتلر يخطئ بكتابة اسم شوبنهاور، كما هو مبين في الملاحظات الناجية من خطبه المكتوبة بخط اليد.

لم تكن محدودية هتلر غائبة عن أعضاء الحزب المجتمعين في أوغسبورغ ولا حتى عن ديتريش إيكهارت - في مذكرة مكتوبة بخط اليد إلى إيكهارت في ديسمبر الماضي، كتب هتلر، "Liber Herr Eckart"،[26] الذي على الرغم من ولائه لـ "صديقه"، من الواضح أنه كنّ ولاء أكبر لقضايا الاشتراكية القومية والمعادية للسامية، كما ثبت من خلال تخليه عن ألفريد كاب قبل عام.

بعد رحيل هتلر المفاجئ، واصل ديكل عرضه، وحدد رؤيته لمستقبل حركة اشتراكية قومية يمكن أن تتجاوز بافاريا وتسيطر على ألمانيا بأكملها. عاد قادة الحزب إلى ميونيخ في ذلك المساء مقتنعين بأمرين: أن ديكل كان لديه بالفعل القدرة على تقديم الرؤية والقيادة اللذين يحتاجهما الحزب النازي في ذلك الوقت. والأهم من ذلك، أن هتلر "كرجل بسيط، على الرغم من اجتهاده، لم يكن على مستوى يتناسب مع مهمة قيادة الحركة".

"كان هتلر بالتأكيد المحرض الذي عرف كيف يجذب الجماهير، ولكن ليس المهندس المعماري الذي يتصور خطة وشكلاً لمبنى جديد، ويتولى العمل الفعلي لوضع حجر فوق الآخر بعزم هادئ". قال ماكس مورينبرتشر (Max Maurenbrecher)، القس والزعيم السياسي المحافظ. "كان يحتاج شخصاً أكثر أهمية من ورائه يعطي الأوامر لينفذها هو".

أعاد هتلر قراءة انبعاث الغرب لـ ديكل بنيّة الانتقام، فقد دقق في كل صفحة بحثاً عن تضارب وتناقض، مؤشراً على فقرات محددة، وقام بتسجيل قائمة من تجاوزات ديكل الأيديولوجية والعرقية والسياسية، ثم قام بعد ذلك بتفنيدها حرفياً. فقد أشار ديكل إلى وصف كارل ماركس بأنه "مثالي" وأثنى

26 الصحيح هو: Lieber Herr Eckert.

على فالتر راتينو (Walther Rathenau)، وزير الخارجية اليهودي الألماني، بسبب ميوله الوطنية. ولاحظ أن ديكل دافع عن جمهورية فايمار وندد بـ "حماقة ودناءة" أولئك الذين سعوا إلى تقويض هياكلها الديمقراطية.

وجد هتلر دليله الأكثر إدانة في فقرة في الفصل 3، حيث دعا ديكل إلى شكل معتدل من معاداة السامية، مقترحاً ترك الاقتصاد الألماني في أيدي اليهود. اقتبس هتلر من ديكل قوله: "بصفتهم رجال أعمال، فإن أبناءهم يُخصبون التجارة الداخلية الراكدة. لذلك لهم أهمية لا تقدر بثمن بالنسبة لصحة اقتصادنا". أشاد ديكل بـ لويد جورج (Lloyd George) لتعاونه مع المصالح التجارية اليهودية في لندن. وتساءل هتلر كيف يمكن لقيادة الحزب أن "تجرؤ على الوثوق" برجل يمكنه كتابة مثل هذه الأشياء؟ غضب هتلر، واستقال من الحزب بعد ذلك بوقت قصير: "إنني أتهم الحزب بعدم تحمل عناء القراءة، ناهيك عن دراسة أعمال رجل تفكر في منحه مثل هذا التأثير الكبير على الحركة"، وأضاف. "لا يمكنني ولن أكون بعد الآن عضواً في مثل هذه الحركة".

كما هو متوقع، عجلت استقالة هتلر بنشوء أزمة. وجدت القيادة نفسها ممزقة بين هتلر، بقدرته المثبتة على تحريك الجماهير، وديكل بقدرته على تحقيق قيادة ذات رؤية. كما اصطدموا بحتمية تمكن هتلر من تقسيم الحزب وتشكيل حركته الخاصة، وهي ضربة قاتلة قد تضيف الحزب النازي إلى القائمة الطويلة من المبادرات السياسية الفاشلة الأخرى في تلك السنوات. كان الاختيار صعباً بقدر ما كان بسيطاً: هتلر أو ديكل.

يوم الأربعاء، 13 يوليو 1921، أرسل دريكسلر بطلب إيكهارت لمناقشة عودة هتلر إلى الحزب. التفاصيل الدقيقة للمناقشة بين المعلم والتلميذ غير معروفة، لكن في اليوم التالي وافق هتلر على الانضمام إلى الحزب، ولكن وفقاً للشروط التالية: "الاستدعاء الفوري لاجتماع العضوية في غضون ثمانية أيام، اعتباراً من اليوم، مع الأجندة التالية: سوف تستقيل القيادة الحالية للحزب

ومع الانتخابات الجديدة سأطالب بمنصب الرئيس الذي يتمتع بسلطات ديكتاتورية لإنشاء لجنة عمل على الفور لتطهير الحزب بلا رحمة من العناصر الأجنبية التي اخترقته".

شعر جوتفريد غراندل بالفزع عند علمه بانقلاب هتلر. "أحب هتلر وأقدّره، لكن سعيه للحصول على القوة الكاملة يثير قلقي". كتب غراندل إلى إيكهارت مستاء. "ستؤول الأمور إلى نهاية سيئة إذا لم يغيّر طرقه ويسمح للآخرين بتقاسم السلطة. علينا أن نضع في اعتبارنا أن العنف والمحسوبية يخيفان أفضل الرفاق ويشلّون أفضل القوى، وبذلك يُمكّن العناصر غير المرغوب فيها ويمدها بالقوة". جادل غراندل بأن وجود ديكل أساسي جداً في الحركة النازية إذا كانت تأمل يوماً في أن تمتد إلى ما وراء حدود بافاريا، وأن تصبح قوة وطنية. كما أعرب عن قلقه من أن الحزب النازي سوف "يتحلل إلى دمار"، وأن ضيق أفق هتلر وعداءه المتعصب للسامية من شأنه أن يشتت الانتباه عن القضايا الأكثر إلحاحاً. كتب غراندل: "معاداة السامية ضرورية، لكن التحضير للرايخ الألماني القادم مهم أيضاً". وحثّ إيكهارت على ممارسة "نفوذه الكبير والحاسم" في ميونيخ، لإعادة هتلر إلى الخط وإعادة توازن الحزب.

لم يكن موقف إيكهارت ليتزحزح. في افتتاحية الصفحة الأولى في *Völkischer Beobachter*، ألقى بثقله الأيديولوجي دعماً لـ هتلر. كتب إيكهارت: "لا يمكن لأي إنسان أن يكون أكثر نكراناً للذات، وأكثر استعداداً للتضحية بنفسه، وأكثر تكريساً، وأكثر تفانياً، وأكثر استقامة من هتلر في خدمة قضيتنا". وأثنى على هتلر لاعتراضاته الشديدة على تغيير اسم الحزب وتعديل برنامج الحزب ونقل مركز الحركة النازية بعيداً عن ميونيخ. "هل نحتاج إلى أي دليل آخر على من يستحق ثقتنا، وإلى أي درجة استحقها؟" اختتم إيكهارت. "لا أعتقد ذلك".

في شهر أغسطس من ذلك العام، خلال اجتماع العضوية، مُنح هتلر سلطات ديكتاتورية. في اجتماع لقيادة الحزب في 10 سبتمبر، مارَس هتلر ولايته الجديدة. استبدل دريكسلر كرئيس للحزب، وعيّن ماكس آمان مسؤولاً عن الشؤون المالية للحزب، وطرد أوتو ديكل من الحزب. ويحفظ محضر الاجتماع هذا الإجراء الأخير بتفصيل واضح: "السيد أوتو ديكل من أوغسبورغ، مؤلف كتاب "انبعاث الغرب"، طُرد من حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني، بإجماع أعضاء مجلس الإدارة".

بعد خمسة أسابيع، في 22 أكتوبر 1921، مارس هتلر السلطة الكاملة على الحركة من خلال إصدار مذكرة واسعة النطاق نصت على إصلاح الحركة الوليدة. كان من المقرر نقل الحزب النازي من مقره المؤقت في غرفة خلفية في حانة ستيرنيكر إلى أول مكتب مستقل لها، في شارع كورنيلوس 12. كان من المقرر إنشاء أرشيف حزبي يحفظ تاريخ الحركة النازية.* نصَّت (المذكرة) أيضاً على إنشاء "خدمة سرية"، سابقة للجستابو، تهدف إلى تزويد هتلر بمعلومات استخبارية عن التهديدات المحتملة داخل وخارج حركته. بإصدار المذكرة العاشرة، جاء الشاب السياسي البالغ من العمر 32 عاماً بمفرده، حيث مارس سلطته الكاملة لتشكيل الحزب النازي كما يشاء، وأضفى الطابع المؤسسي على حالة جنون العظمة التي ستصبح سمة مميزة لحركته. في يوم السبت نفسه، قام معلمه البالغ من العمر ستين عاماً بإهداء طبعة ثانية بغلاف مقوى من بير غينت إلى "صديقه العزيز".

على الرغم من أن هتلر همَّش ديكل فعلياً باعتباره تهديداً سياسياً، إلا أنه

* تحتوي مجموعة الرايخ الثالث بمكتبة الكونغرس على نسخ من أكثر من مائتي وثيقة مصدر أولية أعدت لمعرض لتاريخ الحزب النازي المبكر. تشمل المواد مراسلات داخلية للحزب النازي، ملصقات لتجمعات الحانة، مقتطف من دفتر محاسبة، ومواد متنوعة تسجل مواجهات الحزب النازي المبكرة مع الشرطة، من بينها بصمات ديتريش إيكهارت من ملف الشرطة.

أدرك أيضاً الحاجة إلى معالجة ما يمكن أن نطلق عليه "عجز ديكل" في الحزب النازي، وهو غياب الشريعة الفلسفية أو الأيديولوجية. على بطاقات عضوية الحزب، جنباً إلى جنب مع البيانات الشخصية ذات الصلة - تاريخ الميلاد وتاريخ العضوية ورقم الحزب والصورة الشخصية - تم الآن تضمين قائمة بالقراءات الموصى بها. يبدو أن العناوين مجمعة معاً من البحث الفكري لهتلر في المعهد الاشتراكي القومي والكتابات التي انتُزعت من دائرة زملائه المباشرة: ثلاثة كتب لجوتفريد فيدر حول "عبودية الفوائد" والإصلاح الضريبي؛ ستة أعمال لـ ألفريد روزنبرغ، بما في ذلك آثار اليهود في مجرى الزمن، اللاأخلاقية في التلمود، والصهيونية باعتبارها عدو للدولة؛ شرح مفصل لنقاط الحزب النازي الخمس والعشرون، جوهر ومبادئ وأهداف حزب العمال الاشتراكي القومي؛ ومجموعة قصائد لديتريش إيكهارت. كما تضمنت كتاب "اليهودي الدولي" لهنري فورد. ويوجد عنوان بارز بخط عريض في رأس القائمة يقول: "الكتب التي يجب على كل اشتراكي قومي قراءتها". دوّن أسفلها عنوان المكتبة القومية الألمانية، شارع تيرتش 15، أسفل الشارع مباشرة من مكتب إيكهارت، ومكتبة بجوار هوفبراهوس في وسط ميونيخ.

ظلت صدمة هتلر الشخصية بشأن قضية ديكل تتردد في خطاباته لشهور وسنوات قادمة. في ملاحظات مكتوبة بخط اليد لخطاب ألقاه في أغسطس 1921، كتب "د. ديكل" بأحرف غامقة، ورسم خطين تحت الاسم، ثم كتب "نزعات سيئة". في شهر ديسمبر من ذلك العام، ندد هتلر بـ انبعاث الغرب باعتباره "كتاب أحلام مصرياً"، وبمؤلفه باعتباره "أستاذاً يعانق انفصاله عن العالم الواقعي الغيوم". في الشهر التالي، هدد هتلر بأن "أي ديكل" "يدَّعي أنه اشتراكي قومي، سواء في العقل أو الروح، هو عدونا ويجب هزيمته". بعد أربع سنوات، كان هتلر لا يزال مستاءً من ديكل. خلال خطاب حول الولاء لتجمع لقادة الحزب النازي في يونيو 1925، سرد تحديه الشخصي مع ديكل.

"أين كانت الطاعة الموعودة؟" سأل هتلر. أصر على أنه لن يتم التسامح مع أي شيء أقل من الطاعة العمياء، حتى في وجه الحماقة. قال هتلر: "يمكن لأي زعيم أن يرتكب أخطاء، ولا شك في ذلك. لكن اتباع القرار السيئ سيحقق الهدف النهائي بشكل أفضل من الحرية الشخصية". لقد كانت، بالطبع، مقولة التزمت بها أمة بأكملها وأدَّت في النهاية إلى عواقب وخيمة.

يطارد ظل ديكل أيضاً صفحات كفاحي، وهو حضور غير مرئي لم يُذكر بالاسم أبداً ولكنه ظل يلقي بظلاله على المؤلف وهو ينتقد "المثقف" الذي "يؤمن بكل جدية أنه "مثقف"، ليفهم شيئاً من الحياة" بينما في الحقيقة "يزداد أكثر فأكثر بُعداً عن العالم". يقول هتلر إن هؤلاء الأشخاص ينتمون إما إلى "مصحَّة أو إلى البرلمان". يبدو أن ديكل أيضاً حاضر في ذهن هتلر عندما يطرح قضيته في قدرته الفريدة على احتواء حشد من خلال حصر أوجه القصور لدى الآخرين: جوتفريد فيدر "منظِّر وليس سياسياً" كارل هارر "بالتأكيد مثقف متمكّن" ولكن "يفتقد موهبة مخاطبة الجماهير" وأنطون دريكسلر "ليس مهماً أيضاً كمتحدث".

مثل بانكو[27] في قاعة البيرة، يطارد ديكل المشهد الختامي لـ كفاحي بينما يعبّر هتلر عن تماسك برنامج الحزب النازي وإمكانية فهمه. كتب هتلر: "عندما فنّدت أخيراً الأطروحات الخمس والعشرين، نقطة بنقطة، وقدمتها إلى الجماهير وطلبت منهم شخصياً إصدار الأحكام عليها، تم قبول واحدة تلو الأخرى بفرح متزايد، بالإجماع ومرة أخرى بالإجماع. وعندما وجدَت الأطروحة الأخيرة طريقها إلى قلب الجماهير، وقفت أمامي قاعة مليئة بالناس توحدهم قناعة جديدة، وإيمان جديد، وإرادة جديدة".

وسط هذا الانتصار لا يسع المرء إلا أن يشعر بردٍ متأخر على تحدي

27 إشارة إلى بانكو، الشخصية الرئيسة في مسرحية مكبث لوليم شكسبير، وهو أحد فرسان لوخابر وقائد جيش الملك الإسكتلندي دنكان الأول.

ديكل في أوغسبورغ، وفي الإصرار الشديد، انعدام الثقة لدى رجل، كما يتذكر هانفستاينغل، استجاب ذات مرة للنصيحة التي قدمها أستاذ متميز في ميونيخ، "Ach Herr Professor، هذا جيد جداً ولكن يجب ألا تنسى أبداً مدى الصعوبة الفادحة التي يواجهها شخص بدون اسم أو منصب أو مؤهل أكاديمي للوصول إلى المنصب الذي يتم فيه تحديد اسمه في برنامج سياسي. أنت تستخف بكل العمل الشاق المرير الذي ينطوي عليه الأمر".

الكتاب الثالث

ثلاثية هتلر

المشكلة بالنسبة لي هي أنه بعد إطلاق سراحي في الأول من أكتوبر، لا أتوقع مردوداً مادياً كبيراً من كتابي حتى منتصف ديسمبر. .

أدولف هتلر، في رسالة من سجن لاندسبيرغ، 13 سبتمبر 1924

من الكتب التي بقيت على قيد الحياة من بين 1200 كتاب من كتب هتلر في مكتبة الكونغرس، أكثر من اثنتي عشرة نسخة من كتاب هتلر الأسطوري ذي المجلدين المزدوج، كفاحي. الأقدم من هذين المجلدين هو إصدار ثان خاص من كلا المجلدين، مجلدين بشكل فردي بجلد العجل باللون الكريمي، مع نقش ذهبي، ومؤرخ عام 1926. يحمل كل كتاب الرمز المطبوع: "كان هناك 500 نسخة من هذا العمل تم إنتاجها كنسخة فاخرة بالتصميم التالي، ووُقعت شخصياً من قبل المؤلف. هذه النسخة تحمل الرقم 155". المساحة الخاصة بتوقيع هتلر لا تزال فارغة.

توجد أيضاً طبعة خاصة مرقمة للمجلد الثاني من عام 1927، مُجلدة بالجلد الأحمر وتحمل الرقم 178، ومجموعة مجلدات مُجلدة بشكل خاص من المجلد الأول والثاني المطبوعة على رق في علبة جلدية أنيقة، ولكن بدون تاريخ نشر. بالإضافة إلى ذلك، هناك ثلاث نسخ غير مجلدة من المجلد الثاني مرقمة 70 و110 و122؛ حزمتان من التوقيعات غير المفروزة من عام 1940؛ مخطوطة مكتوبة على الآلة الكاتبة من سبع وعشرين صفحة لفهرس الأسماء

والموضوعات؛ وعدة مجموعات من ستة مجلدات من كفاحي في إصدار خاص بطريقة برايل. هذه الكتب الأخيرة بحجم شواهد قبور صغيرة - يجب رفعها بكلتا اليدين - مع صلبان معقوفة كبيرة مختومة على أغلفة الكرتون السميكة. تشير الطبيعة الانتقائية لهذه الكتب وغياب فواصل كتب هتلر، إلى أنه ربما تم أخذها من المخزن المنهوب لدار النشر المركزية للحزب النازي، مكتب ديتريش إيكهارت القديم، في 11 شارع تيرتش، في صيف عام 1945. وقد أدرجت بالخطأ ضمن الكتب المتبقية لهتلر.

من المعروف على وجه اليقين أن نسختين فقط من كفاحي كانتا ضمن مجموعة هتلر الشخصية. إحداهما نسخة مغلفة بالجلد من عام 1930، أخذها إدغار بريتينباخ (Edgar Breitenbach) من قبو البرغهوف، عضو "بعثة" مكتبة الكونغرس في مايو 1945، والتي تبرعت بها أرملته في عام 1991 لمجموعة الكتب النادرة.* عندما نظرت إلى المجلد، وجدت الكثير من الهوامش، من الواضح أنها لم تكتب بخط يد هتلر، مع العديد من علامات الاستفهام، وفي مكان واحد، خربشة، "im Gegenteil"، أو "العكس تماماً". لقد وجدت نسخة ثانية من بين الثمانين كتاباً أخرجهم ألبرت آرونسون (Albert Aronson) من قبو الفوهرر (Führerbunker) بعد وقت قصير من انتحاره في ربيع عام 1945، والآن هم في جامعة براون. هذه النسخة الثانية، التي تم الحصول عليها بشكل شبه مؤكد من أجل مجموعة هتلر في مستشارية الرايخ، هي "طبعة عامة" لعام 1938، حيث تم تجميع كلا المجلدين معاً في غطاء من الكتان الأزرق الداكن؛ كُتب اسم هتلر على الغلاف الداخلي.

* أعادت أرملة بريتينباخ الكتاب في 4 أكتوبر 1991 مع كتاب ثان لهتلر أخذه زوجها، وهو طبعة 1933 من تأملات في تاريخ العالم للمؤرخ السويسري في القرن التاسع عشر جاكوب بوركهارت. هذا المجلد الأخير يحمل إهداء من إلسا بروكمان إلى "صديقي وقائدي" بتاريخ 24 ديسمبر 1934.

من بين جميع الوسائل الممكنة لجمع الكتب، لاحظ والتر بنجامين (Walter Benjamin) أن "كتابتها بنفسه تُعتبر الطريقة الأكثر جدارة بالثناء". كما يتذكر المعلم ووتز، البطل المحبب لرواية شهيرة في القرن الثامن عشر، والذي يتقاضى راتباً متدنياً للغاية ويقاوم هذه الوسائل المالية المحدودة لدرجة أنه لا يستطيع شراء الكتب ويلجأ لزيارة تجار الكتب، حيث يلاحظ عناوين مثيرة للاهتمام بشكل خاص، ثم يعود إلى المنزل لتأليف كتبه الخاصة باستخدام العناوين المسروقة.

بهذه الطريقة، يكدّس معلم المدرسة المُقتصد مكتبة شخصية كبيرة. ومع ذلك، يلاحظ بنجامين أن معظم المؤلفين الحقيقيين يشعرون بأنهم مجبرون على كتابة الكتب بسبب الفقر الوجودي وليس المادي. "الكُتّاب هم حقاً أناس يكتبون الكتب ليس لأنهم فقراء، ولكن لأنهم غير راضين عن الكتب التي يمكنهم شراؤها ولكنهم لا يحبونها"، كما يقول بوقاحة تتناقض مع عمق هذه الملاحظة العابرة: يشعر معظم الكُتّاب أنهم مضطرون لوضع الكلمات في العالم للتعبير عن الأفكار أو القصص التي لم يتم التعبير عنها بعد، أو التي يشعرون أنه لم يتم التعبير عنها بشكل كافٍ أو، على الأقل، يبدو أنها تتطلب أو تستحق التكرار في مصطلحاتهم الخاصة. في حالة أدولف هتلر، كان الدافع الأولي هو الانتقام.

في مساء يوم الخميس، 8 نوفمبر 1923، في حوالي الساعة الثامنة والنصف، اقتحم هتلر حانة بورغابروي (Bürgerbräu) في ميونيخ مع سرب من جنود العاصفة المسلحين، وقام بإسكات الغرفة بإطلاق رصاصة في السقف، وانتزع، تحت تهديد السلاح، ولاء قسم من القيادة السياسية المجتمعة في ميونيخ - جوستاف فون كار (Gustav von Kahr)، هانز ريتر فون سيزر (Hans Ritter von Seisser) وأوتو فون لوسو (Otto von Lussow) - وأعلن "ثورة وطنية". في صباح اليوم التالي، جمع هتلر ألفي متطرف يميني في وسط

ميونيخ، بهدف تكرار مسيرة موسوليني في روما، التي أسست حكومة فاشية في إيطاليا في الخريف السابق. خطط هتلر للاستيلاء على السلطة في بافاريا ثم الانتقال إلى برلين، حيث كان ينوي الإطاحة بالحكومة الديمقراطية بانتفاضة شعبية. في صباح يوم الجمعة الكئيب هذا، سار هتلر برفقة بطل الحرب إريك لودندورف (Erich Ludendorff) برجاله في شوارع ميونيخ إلى ساحة أوديون، حيث قوبلوا بوابل من إطلاق النار من طوق عسكري. في الفوضى التي تلت ذلك، مات ستة عشر من الانقلابيين. انبطح هتلر على الرصيف عندما قُتل الرجال على جانبيه. ثم نُقل بسرعة إلى سيارة مركونة ونُقل إلى بر الأمان، ليتم القبض عليه بعد ثلاثة أيام في فيلا إرنست هانفستاينغل الواقعة على ضفاف البحيرة، حيث كان يتلقى علاجاً لإصابة في كتفه.

على الفور تقريباً، نأى كار وسيزر ولوسو بأنفسهم عن المشروع الفاشل. زعموا أنهم نصحوا هتلر ضد محاولة الانقلاب، وهو ما قاموا به فعلاً، وأن هتلر قد أكرههم على التعاون تحت تهديد السلاح، وهو ما فعله. كان هتلر مضطرباً وغاضباً بسبب "خيانتهم". فكر في البداية في الانتحار، ثم بدأ إضراباً قصيراً عن الطعام، وقرر أخيراً "تصفية الحسابات". لقد استعار آلة كاتبة من إدارة السجن وطبع "محاسبة" من ستين صفحة - Abrechnung - عن الكارثة التي استمرت يومين، وكان الكثير منها أساساً للدفاع عنه في محاكمته التي استمرت شهراً بتهمة الخيانة، والتي انتهت بإعلان هتلر "حتى إذا أعلنت أننا "مذنبون" ألف مرة، فإن الآلهة الأبدية ليوم الحساب - وهنا كان يقصد التاريخ - سوف تبتسم وتنفي اتهام الادعاء، وستبتسم على حكم المحكمة، لأنها ستقدم لنا صكوك البراءة!" على الرغم من العدوانية، كان حكم سجن هتلر خفيفاً بشكل فاضح: خمس سنوات مع إمكانية الإفراج المشروط المبكر وحسن سلوك على الوقت الذي قضاه. وفقاً لحسابات هتلر، يمكن أن يكون حراً بحلول أكتوبر.

كان سجن هتلر إطراء مناسباً لعقوبته الخفيفة. يشبه مركز الاحتجاز في بلدة لاندسبيرغ إم لش، غرب ميونيخ مباشرة، قلعة زائفة من العصور الوسطى مكتملة ببرجين مزدوجين وفناء داخلي للمشي اليومي ولعب مباريات كرة القدم. تضمن السجن غرف اجتماعات ومكتبة للإعارة. حتى وصول هتلر، كان النزيل الأكثر شهرة هو أنطون فون أركو فالي (Anton von Arco-Valley)، وهو كونت بافاري حُكم عليه بالإعدام لقتله زعيماً سياسياً اشتراكياً؛ تم تخفيف الحكم، وأطلق سراحه بعد أقل من أربع سنوات.

بصفته راديكالياً سياسياً يمينياً، كان لهتلر مكانة مميزة في لاندسبيرغ. تم تكليفه بمجموعة من الغرف في الطابق الثاني - الصالون 6 - والتي تتكون من منطقة جلوس مركزية وغرف نوم خاصة مجاورة، والتي تم تخصيصها لزملائه الانقلابيين المدانين. من غرفة نومه، نظر عبر التلال المنحدرة والحقول وسط بافاريا. سُمح له بالاحتفاظ بكلبه، وتم توسيع امتيازات الزوار لاستيعاب الحج المتواصل للشركاء والرعاة والمهنئين. يعجّ سجل لاندسبيرغ بأسماء العشرات منهم.

ذكر هانز كالينباخ (Hans Kallenbach) أن حظر إشعال الكهرباء (Stromsperre) رُفع للسماح لهتلر بمتابعة قراءته الليلية المعتادة. كتب كالينباخ في مذكراته: "أنيرَ ضوءٌ واحد، عادة في وقت متأخر من الليل، وكان هذا هو المصباح في غرفة الفوهرر. في هذه الساعات الليلية الموحشة، جلس أدولف هتلر منكباً على كتبه وأوراقه وعمل على إحياء ألمانيا". وقيل إن حراس السجن استقبلوه بـ "Sieg Heil!" في هذا الجو من الحبس الرحب واللطيف، أعد النزيل المشهور نفسه لكتابة كتاب.

في يوم الاثنين، 5 مايو 1924، أرسل هتلر رسالة إلى سيغفريد نجل ريتشارد فاغنر، في مدينة بايرويت، يصف فيها نيّته بكتابة "تسوية شاملة للحسابات مع هؤلاء السادة الذين صرخوا في التاسع من نوفمبر بحماس "مرحى" وبعد

ذلك حاولوا إظهار "عفوية المهمة المجنونة"". مع تقدم الشهر، نمت طموحات هتلر في التأليف. ما بدأ على أنه مجرد "تصفية حسابات" اتخذ أبعاداً أكبر عندما وسع الكتاب ليشمل قصة حياته السياسية في ميونيخ، والتي أطلق عليها في البداية عنوان معركة أربع سنوات ونصف ضد الأكاذيب والغباء والجبن.

في حين أن الانتقام كان بالتأكيد القوة الدافعة الأولية وراء قرار هتلر بكتابة كتاب، لعبت الاعتبارات المالية دوراً أيضاً. عمل المستشار القانوني لهتلر، لورينز رودر (Lorenz Roder)، من لينز، عن كثب معه لإعداد خطة الدفاع، حتى أنه حصل على شهادة من مدرس التاريخ في المدرسة الثانوية لهتلر، لكن جهوده لم تكن بخسة الثمن. في إحدى الرسائل، كتب هتلر أن الرسوم القانونية لرودر "تجعل شعري يقف". يبدو أن مخاوف هتلر المالية كانت معروفة للجميع، كما أشارت مذكرة السجن: "إنه يتوقع طباعة مثرية، ويأمل أن يكون قادراً على الوفاء بالتزاماته المالية،" أشار أوتو ليبولد (Otto Leybold)، مدير السجن.

افترض هتلر أن دراما الانقلاب الفاشل، إلى جانب الدعاية اللاحقة التي ولّدتها محاكمته، ستمكنه من ترتيب اتفاق ما مع ناشر. كان على خطأ. لم يتمكن إرنست هانفستاينغل، الذي زار هتلر خمس مرات في أبريل من ذلك العام، من إقناع شقيقه بالنظر في كتاب هتلر وإصداره في دار النشر العائلية. ورد أن ناشراً بارزاً آخر، إرنست بوبل (Ernst Boepple)، عرض على هتلر مبلغاً "مثيراً للشفقة". زار والتر ستانغ (Walter Stang)، رئيس Ring Publishers في ميونيخ، هتلر في لاندسبيرغ في 25 أبريل وعاد بعد ثلاثة أسابيع مع اثنين من ممثلي الدار. كان من المقرر أن يقوم ستانغ بزيارتين متتاليتين في الأسابيع المقبلة. في الوقت نفسه، بدأ ماكس آمان بتقييم إمكانات نشر كتاب هتلر لدى دار فرانز إيار (Franz Eher)، مطبعة الحزب النازي. في

أوائل مايو، بدأ آمان بدراسة إمكانات السوق لإصدار طبعة خاصة من كتاب هتلر. حدد التقييم، الذي اكتمل في نهاية الشهر، أنه إذا ظهرت نسخة جامعة لأعمال هتلر في غلاف خاص وبطبع 500 كتاب فقط، مرقمة وموقعة من قبل هير أدولف هتلر، فيجب أن تساوي على الأقل 500 مارك".

على ما يبدو، كان هذا كافياً لإقناع آمان. في أوائل شهر يونيو، أصدرت إيار كتيباً دعائياً أعلنت فيه عن نشر كتاب معركة أربع سنوات ونصف ضد الأكاذيب والغباء والجبن في شهر يوليو. كانت مصحوبة بصورة للمؤلف، ليس بصفته الخطيب الشيطاني في الحانات، أو حتى كجندي العاصفة الذي وصل صباح الانقلاب مرتدياً خوذة خندق فولاذية ومندساً في سترة عسكرية سميكة، ولكن بدلاً من ذلك كان يرتدي بدلة وربطة عنق وشعره ممشط للخلف وشاربه المميز مشذب بعناية. تم وضع دبوس الصليب المعقوف برصانة في جيب السترة الأيسر. ولكن كما كان الحال في كثير من الأحيان مع هتلر، فاق الطموح قدرته على الوفاء بوعوده. جاء يوليو وذهب بدون كتاب.

يعود جزء كبير من تأخر هتلر عن الموعد النهائي في شهر يوليو لانشغاله بالزوار ومحاولته إدارة الحركة النازية المحظورة، بإصدار مراسيم سرية تحت الاسم الرمزي "رولف آيدهايت / Rolf Eidhalt"، وهو عبارة عن مزيج من الأحرف من اسمه، ويعني "حفظ اليمين". مع تزايد الاقتتال السياسي وبدء الحركة في الانقسام، انسحب هتلر من السياسة ووجه انتباهه الكامل إلى كتابه.

ذكرت صحيفة "رسول الشعب" (Völkischer Kurier) في أوائل يوليو: "أعلن السيد هتلر من لاندسبيرغ أنه تخلى عن قيادة الحركة الاشتراكية الوطنية، وسيتجنب أي شكل من أشكال النشاط السياسي طوال فترة سجنه. يكمن سبب هذا القرار في استحالة تحمل أي مسؤولية عملية في الوقت الحالي، فضلاً عن العبء العام للعمل". وأشارت الصحيفة على وجه الخصوص

أن هتلر كان منكباً على "كتاب مفصّل" وأراد أن يضمن تكريس "وقت كاف" لإنهائه.

قلص هتلر عدد الزوار مستثنياً أقرب زملائه - أنطون دريكسلر وجوتفريد فيدر وماكس آمان - وعدد قليل من الأصدقاء وأفراد الأسرة، من بينهم هيلين بخشتاين (Helene Bechstein) وإلسا بروكمان (Elsa Bruckmann) وابنة أخته وابن أخيه غيلي (Geli) وليو روبال (Leo Raubal). تخلى عن قراءاته المسائية لمخطوطته، وهي حقيقة ذكرها رودولف هيس (Rudolf Hess) في رسالة إلى زوجته. أكد ليبولد، مدير السجن، على تغير عادات هتلر، مشيراً إلى أنه "انسحب من النقاش السياسي" ويقضي الآن معظم وقته في العمل على كتابه.

مع تغير عادات هتلر في العمل، تغيرت أيضاً رؤيته لكتابه. ما بدأ كـ "تصفية حسابات" في ديسمبر 1923، وامتد إلى معركة أربع سنوات ونصف ضد الأكاذيب والغباء والجبن في ربيع عام 1924، ازدهر الآن في حرارة الصيف إلى ملحمة ديكنزية، حيث قال هتلر لهيس: "انقطع الاتصال بالفصول السابقة". لقد برز هتلر الآن كبطل في حياته الخاصة.

مرة أخرى، كان ليبولد موجوداً لتسجيل اللحظة. وأشار إلى أن كتاب هتلر "يتكون من سيرته الذاتية جنباً إلى جنب مع أفكاره حول البرجوازية واليهود والماركسية والثورة الألمانية والبلشفية والحركة الاشتراكية الوطنية، مع الأحداث التي سبقت 8 نوفمبر 1923". بتوسيع "تصفية الحساب" الأصلي وإعادة صياغته كسيرة ذاتية، لم يوسع هتلر طموحاته الخاصة بالتأليف فحسب، بل توصل أيضاً لخاتمة محكمة لوجهة نظر بنجامين: صان المؤلف نفسه في كتاب محفوظ بدوره ضمن مجموعته.

اشتهر وصف هتلر لوقته في سجن لاندسبيرغ بأنه "تعليمه العالي الذي تلقاه على نفقة الدولة"، ورحب بسجنه كفرصة لتعويض القراءة المتراكمة.

"أنا شخصياً أملك المزيد من الوقت والراحة إلى حد ما بعد انتهاء المحاكمة"، كتب هتلر في رسالته إلى سيغفريد فاغنر. "أخيراً يمكنني العودة إلى القراءة والتعلم. بالكاد كان لدي الوقت للتعرف على الكتب القومية الجديدة التي تظهر في السوق".

أرجع إرنست هانفستاينغل إلى الزعيم النازي العاطل سلوكاً فكرياً أكثر طموحاً، يُزعم أنه اشتمل على أفكار الفلاسفة آرثر شوبنهاور وكارل ماركس وفريدريك نيتشه والمؤرخ اليميني هاينريش فون تريتشكي والزعيم السياسي أوتو فون بسمارك. على الرغم من انعدام أي أثر لهؤلاء الأفراد بين الكتب الباقية من سنوات سجن هتلر، فقد وجدت سيرة ذاتية غير مقروءة لمفكر القرن الثامن عشر إيمانويل كانط بقلم هيوستن ستيوارت تشامبرلين، بالإضافة إلى سيرة ذاتية لغاندي كتبها مؤيد السلام الفرنسي والحائز على جائزة نوبل رومان رولاند (Romain Rolland)، مع الإهداء، "محظوظ هو الرجل الذي يمثل أمة - أمته، الراقدة في قبرها لتنبعث مرة أخرى".

يكاد يكون من المؤكد أن هتلر شعر بالقلق من الارتباط بالزعيم الهندوسي. قال هتلر ذات مرة: "إن الإعجاب بغاندي هو في نظري انحراف عرقي". وأشار إلى أن الطبيعة العسكرية المتأصلة للألمان لا تتوافق مع العصيان المدني السلمي عند غاندي. قال هتلر: "إن ما يسمى بـ "النضال من أجل الحرية" للشعب الهندي لا يثير اهتمامي بقدر ما كانت المعارك التي خاضها الشعب الألماني قبل خمسة عشر عاماً تهم الهنود". لا يُوحي الكتاب بأنه قرأ، كما هو حال الستمائة صفحة من أنطولوجيا كتابات غاندي في السجن التي قُدمت لـ هتلر.

الكتاب الوحيد الذي رأيت فيه هوامش موسعة هو مجموعة من المقالات القصيرة للجرّاح الألماني الذي أصبح مؤلفاً حقق مبيعات هائلة في قسم المساعدة الذاتية، كارل لودفيج شلايش (Carl Ludwig Schleich). هذا

المجلد الرقيق، الذي نُشر في عام 1924، مع كلمة "من أجل السعادة" (Zur Freude) مكتوبة على الغلاف الداخلي المقابل للصفحة التي تحمل اسم هتلر. يحتوي على مجموعة منتقاة من المقالات حول السعادة والجمال والإبداع والعبقرية والخلود.

على الرغم من عدم وجود دليل قاطع على أن الهوامش كتبت بيد هتلر، إلا أن الخطوط المرسومة بالقلم الرصاص تؤكد مراراً وتكراراً المقاطع المتعلقة بالسياسة والعلاقة العامة بين الجمهور والفرد، كما في الصفحة 26، حيث تم تسليط الضوء على المقطع التالي بتظليل غامق في الهامش:

من المشكوك فيه ما إذا كان يمكن أن يكون هناك عباقرة في السياسة. الزعيم السياسي ينتمي إلى الأمة. يجب أن يكون لديه شخصية. العبقري ينتمي إلى البشرية جمعاء. إنه شخصية يحتذى بها. هناك سياسيون عباقرة لكن لا يوجد عباقرة سياسيون.

توجد في أحد الأماكن علامة بالقلم الرصاص بجانب المقطع "لا يتم التعرف على العباقرة إلا بعد وفاتهم، خاصة في ألمانيا".

كان هناك الكثير من التكهنات حول مصادر هتلر لـ كفاحي، لكن القليل من التفاصيل. أرجع أوتو ستراسر، أحد شركاء هتلر الأوائل، المفاهيم الأساسية في الكتاب إلى محادثات بدلاً من القراءة. "في هذا الكتاب، تصادف هيوستن ستيوارت تشامبرلين و[بول] لاغارد، وهما مؤلفان تم نقل أفكارهما إلى هتلر من قبل ديتريش إيكهارت"، لاحظ ستراسر، وحدد أيضاً جوتفريد فيدر، وألفريد روزنبرغ، وجوليوس شترايشر كمصادر.

الكتاب الوحيد من بين قراءات هتلر الموجودة في السجن والذي ترك بصمة فكرية ملحوظة في كفاحي، هو نسخة مهترئة من تصنيف عرقي للشعب الألماني من تأليف هانز غونثر (Hans F. K. Günther)، المعروف

باسم "غونثر العنصري" لآرائه المتعصبة حول النقاء العرقي. أدرج هتلر غونثر في قائمته للقراءة الموصى بها للاشتراكيين القوميين. نُشر هذا الإصدار الثالث من أطروحة غونثر المكونة من خمسمائة صفحة عام 1923، وقد أهداها ناشر الكتاب، يوليوس فريدريش ليمان (Julius Friedrich Lehmann)، إلى هتلر، الذي وصفه بأنه "الحارس الطليعي للتفكير العنصري الألماني".

جنباً إلى جنب مع تصنيف عرقي للشعب الألماني لغونثر، كان هناك تأثير آخر على المحتوى الفكري لـ كفاحي وهو الترجمة الألمانية لـ اليهودي العالمي لمؤلفه هنري فورد. على الرغم من أننا لم نعد نملك نسخة شخصية لهتلر من الترجمة المكونة من مجلدين للأطروحة العنصرية سيئة السمعة، فإننا نعلم أن هتلر كان يمتلك واحدة، بالإضافة إلى صورة لمؤلفها، قبل عام على الأقل من بدء عمله على كتاب كفاحي. ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في ديسمبر 1922: "الجدار بجانب الطاولة في مكتب هتلر الخاص مزين بصورة كبيرة لهنري فورد. ويوجد في غرفة الانتظار طاولة كبيرة مغطاة بالكتب، وكلها تقريباً ترجمة من كتاب كتبه ونشره هنري فورد".

نُشر كتاب فورد في وقت سابق من ذلك العام باللغة الألمانية تحت عنوان *Der Internationale Jude: Ein Weltproblem*، وأحدث ضجة كبيرة على الفور. "قرأته وأصبحت معادياً للسامية،" يتذكر بلدور فون شيراك (Baldur von Schirach)، الزعيم المستقبلي لمنظمة شباب هتلر (Hitlerjugend)، الذي كان مراهقاً عندما ظهر كتاب فورد. "في تلك الأيام، ترك هذا الكتاب انطباعاً عميقاً على أصدقائي وعلى نفسي، لأننا رأينا في هنري فورد ممثل النجاح، وكذلك المؤسس لسياسة اجتماعية تقدمية".

يبدو أن هتلر لم يكن أقل تأثراً؛ هذا لا يُشار إليه فقط من خلال الصورة الموجودة على حائطه، ولكن أيضاً من خلال ترديده المتكرر لاسم فورد. في أحد خطاباته، أشاد هتلر بعبقرية فورد الإبداعية كصناعي، ووصفه بأنه "الأعظم"،

مشيراً إلى أن فورد كان نقياً عرقياً، "شمالياً صافياً". في هجوم على رجل الدولة الألماني البارز جوستاف شتريزمان (Gustav Stresemann)، قدم هتلر فورد كمثال مضاد. "يقولون إن السيد شتريزمان يعمل على تشكيل نظام تماماً كما عمل فورد لفترة طويلة على نظامه،" يلاحظ هتلر. "مرة أخرى يجب أن أقول: لا تقارنوا السيد شتريزمان بـ فورد. بغض النظر عما يمكن للمرء أن يقوله عن السيارة من شركة فورد، فقد تم تشغيلها على الأقل بينما كانت سياسات السيد شتريزمان عالقة وساكنة لا تذهب إلى أي مكان".

والجدير بالذكر أن هتلر رأى في فورد حصناً ضد التهديد اليهودي البلشفي المزعوم في أمريكا، حيث زعم هتلر أن اليهود هم "الأوصياء". "كل عام يبرزون كحكام لقوى عاملة يبلغ تعدادها 120 مليون نسمة"، قال هتلر. "رجل عظيم واحد، فورد، لا يزال يقف هناك اليوم مستقلاً، مما يثير حنقهم".

بالنسبة لهتلر، مثّل فورد المثل الأعلى للرجل العصامي برؤيته المستنيرة للعامل العادي. ومن المعروف أن فورد ضاعف أجور عماله مع زيادة أرباحه. من الشهرة ذاتها تفتحت معاداة فورد الشريرة والعلنية للسامية، والتي عبر عنها في سلسلة من اثنين وتسعين مقالاً نُشرت في ديربورن إندبندنت (Dearborn Independent) بين عامي 1920 و1922. كتبها اثنان من مساعدي فورد ولكن نُشرت في مجلدات تحت اسم فورد، تعرض المقالات بالتفصيل مؤامرة يهودية مزعومة تم الكشف عنها في بروتوكولات حكماء صهيون، وهي نسخة مزيفة من أصل روسي تحدد الخطط اليهودية للسيطرة على العالم.

تأثر هتلر بملاحظة فورد بأن ألمانيا، بجانب الولايات المتحدة، كانت الأكثر تهديداً للوقوع في شباك هذه المؤامرة العالمية. "ألمانيا اليوم، ربما باستثناء الولايات المتحدة، أكثر دولة يسيطر عليها اليهود في العالم - يسيطرون عليها من الداخل ومن الخارج - ويمكن تقديم مجموعة من الحقائق أقوى بكثير مما تم تقديمه في المقالة الأصلية"، يؤكد فورد، ويشير إلى أنه على الرغم من

الجهود المبذولة لتقليل الوجود اليهودي في الحكومة الألمانية، إلا أن اليهود يظلون جزءاً لا يتجزأ من الجوانب الرئيسية للحياة والاقتصاد الألماني. كتب فورد: "لأن ترسيخهم امتد إلى أبعد وأعمق من مجرد إظهار للقوة الرسمية. سيطرتهم على الصناعات الأساسية، والتمويل، ومستقبل ألمانيا لم يتم تخفيفها على الإطلاق. إنها هناك، لا تتزعزع".

عندما اصطدم فورد مع الأدلة الدامغة بأن البروتوكولات وثيقة مزورة، رفض الواقع، مشيراً إلى أن ذلك لا يفقدها شيئاً من مصداقيتها لأنها مع ذلك وصف دقيق للحقائق، وهو منطق ضيق الأفق يحاكي هتلر في كفاحي: "من غير المهم من أي دماغ يهودي خرجت هذه المكاشفات"، كتب هتلر عن البروتوكولات. "الشيء المهم هو أنه من خلال يقين ثابت ومرعب، يكشفون عن طبيعة ونشاط الشعب اليهودي ويكشفون سياقاتهم الداخلية بالإضافة إلى أهدافهم النهائية".

من الواضح أنه كان هناك العديد من التأثيرات على أفكار هتلر في كفاحي، ولن نعرف أبداً المزيج الدقيق للأشياء المختلفة التي قرأها أو سمعها، ولكن ليس هناك شك في أن كتاب فورد دخل حياته المهنية في مرحلة مبكرة وتكوينية وأثار إعجابه، ودمغ كلاً من أفكاره وكتاباته، كما ذكر هتلر نفسه بعبارات لا لبس فيها. عندما سأله أحد المراسلين عن الصورة المعروضة بشكل بارز على الحائط في مكتبه، أجاب هتلر بعبارات واضحة وبسيطة، "أنا أعتبر فورد مصدر إلهامي".

عندما تباهى هتلر بتعليمه على نفقة الدولة، لم يتباه فقط بازدرائه نظام العقوبات البافاري، بل كشف أيضاً عن فهمه الضئيل للتعليم الجاد، وهي حقيقة تم الكشف عنها في كفاحي من حيث محتواه الفكري الفارغ والأخطاء القواعدية المعيبة. في الأجزاء المتبقية من نص هتلر غير المنشور التي وجدتها في الأرشيفات في جميع أنحاء أوروبا وأمريكا، يظهر جامع الكتب

والمؤلف كرجل نصف متعلم لم يتقن التهجئة الأساسية ولا القواعد النحوية
نصوصه الأولية مليئة بالأخطاء المعجمية والنحوية. علامات الترقيم، مثل
الكتابة بالأحرف الكبيرة، خاطئة بقدر ما هي غير متسقة.

في سن الخامسة والثلاثين لم يكن هتلر قد أتقن التهجئة الأساسية. يكتب "es gibt" - "هناك" - صوتياً وليس نحوياً مثل "es giebt"، والكلمة الألمانية للسجن، Gefängnis، بحرفيّ s، وهو ما يعادل كتابة "سيجن" بدل "سجن". لكن القطع المتبقية التي درستها، بما في ذلك مسودة هتلر الأصلية للفصل الأول من كتاب كفاحي، بالإضافة إلى مخطط من ثماني عشرة صفحة لخمسة فصول لاحقة، تُظهر أنه أخذ كتاباته على محمل الجد.

لطالما كان يُفترض أن هتلر أملى كفاحي على زملائه السجناء، ولا سيما سكرتيره الشخصي، رودولف هيس، وسائقه، إميل موريس (Emil Maurice). في الواقع، بدأ هتلر العمل على مخطوطته قبل وصول أي منهما إلى لاندسبيرغ. تُظهر المسودة الأولى، المكتوبة بخط بيكا بشريط أزرق باهت، بداية متقطعة للكتاب المكون من أربعمائة صفحة الذي كان سيتبعها. تتم كتابة سطر واحد في الجزء العلوي من الصفحة غير المعنونة، "ليس من قبيل المصادفة أن مَهدي"، ثم ينقطع، يضع فراغين على الآلة الكاتبة، ويبدأ من جديد. "يجب أن يُرى في رأيي فألاً إيجابياً أن مهدي كان في براونو، لأن هذه البلدة الصغيرة تقع مباشرة على حدود ولايتين ألمانيتين نعتبر، نحن الشباب، إعادة توحيدهما هدفاً أسمى في الحياة"، كتب هتلر بإيقاع مُقاس على ما يبدو. على الرغم من أنه أخطأ في تهجئة أسمى - hohre بدلاً من höhere - قبل أن يضع فراغين إضافيين وينغمس في ادعاء مؤكد بأن إعادة التوحيد هذه ليست مدفوعة باعتبارات اقتصادية - "لا! لا!" يضرب على الآلة الكاتبة - بل مدفوعة برباط الدم المشترك. "Gemeinsames Blut gehört in ein gemeinsames Reich!"، يكتب، "الدم المشترك ينتمي إلى إمبراطورية مشتركة!".

في مرحلة ما من هذه الفقرات الافتتاحية، توقف هتلر مؤقتاً، وأخذ قلما أزرق، وعاد لإجراء تعديلات، وشطب أول جملة فاشلة له، وأجرى تصحيحاً نحوياً واحداً، لكنه أغفل عدة أخطاء أخرى. مثل أي مؤلف، كان يدرك بوضوح أن السطور الافتتاحية لكتابه كانت من بين الأسطر الأكثر أهمية، حيث يحدد الأسلوب والصياغة إيقاع كل الصفحات اللاحقة. ومن الواضح أنه عاد إلى تلك السطور الافتتاحية لمزيد من المداولات والتعديل، كما يتضح من النسخة النهائية التي وجدت طريقها إلى المطبعة، مما يعكس محاولة هتلر المستمرة ليبعث في مقدمته جواً أكثر اتساعاً للأدلة المضمنة والتنبؤ.

لقد كان من حسن حظي اليوم أن القدر عيَّن براونو لتكون مسقط رأسي. لأن تلك المدينة الصغيرة تقع على الحدود بين هاتين الدولتين، ويبدو أن لم شملها، على الأقل بالنسبة لنا من جيل الشباب، مهمة يجب أن نكرس حياتنا لها، وفي السعي وراءها يجب استخدام كل الوسائل الممكنة.

عند هذه النقطة، تتقاطع المخطوطة الأصلية والنسخة المطبوعة مع بعضهما بشكل جيد، على الرغم من أن المرء يرى مرة أخرى اهتمام هتلر بنبرة ودقة الكلمات الفردية. في وصف جده، كتب في البداية أنه كان "فقيراً، متجولاً بسيطاً وعاملاً نهارياً" (Häusler) و(Taglöhner) لكنه في النهاية حذف الكلمة الأخيرة من النسخة المنشورة. يشير اهتمام هتلر بخلفيَّة عائلته أيضاً إلى حقيقة أنه يكتب على نطاق واسع عن والدته وأبيه، لكنه لا يذكر أخاه الأكبر غير الشقيق وأخته غير الشقيقة، ألويس وأنجيلا، أو أخته الصغرى باولا. يمكن العثور على الإشارة الوحيدة لإخوته في إشارة إلى الحزن الذي شعروا به عند "موت أبينا". لم تغفر باولا لأخيها هذه الإهانة؛ بعد عقود، كانت لا تزال تشكو من أن وجودها لا يتعدى كونها ضمير ملكية.

يبدو أن هتلر قد عمل بشكل مكثف على المخطوطة خلال شهري يوليو وأغسطس وسبتمبر، وهو الوقت الذي كان يقترب فيه من نهاية الكتاب - كما كان يأمل في ذلك الوقت الذي قضاه في السجن. كانت توقعات هتلر لعمله عالية. من نافذة سجنه شاهد السيارات وهي تمر على الطريق وأصبح مفتوناً بفكرة امتلاك سيارة مرسيدس كومبريسور. "رأيت واحدة في كتيب وأدركت على الفور رغبتي بامتلاكها!"، تذكر هتلر في وقت لاحق نقله للسعر بدقة. "ستة وعشرون ألف مارك!"

في منتصف سبتمبر، كتب هتلر إلى جاكوب ڤيرلين (Jakob Werlin) في مرآب بنز، الذي كان يشترك في نفس المبنى مع مقر الحزب النازي في شارع شيلينغ، وطلب سيارة أحلامه، ويفضل، كما قال هتلر، "باللون الرمادي مع عجلات مصنوعة من الأسلاك"، مع خصم إذا أمكن. أوضح هتلر لـ ڤيرلين: "المشكلة بالنسبة لي هي أنه إذا تم إطلاق سراحي في الأول من أكتوبر، فلن أتمكن من توقع دخل كبير من كتابي قبل منتصف ديسمبر، وبالتالي سأضطر إلى الحصول على سلفة أو اقتراض المال من شخص ما". بناءً على تاريخ المقدمة، أكمل هتلر المخطوطة بالكامل بحلول 16 أكتوبر 1924، لكنه كان لا يزال في لاندسبيرغ.

أخطأ هتلر في تقدير تاريخ إطلاق سراحه من السجن، ومرة أخرى، تاريخ نشر كتابه. غادر لاندسبيرغ في 20 ديسمبر، وقرر نشر كتابه في مارس 1925 وفي حوزته سيارته المرسيدس الجديدة، بفضل كرم أوتو وإلسا بروكمان. أما كتابه فلن يظهر حتى يوليو.

يعود سبب التأخير المتكرر في النشر جزئياً إلى قلق ماكس آمان بشأن ضعف سوق الكتب والعدد المحدود لأماكن البيع. خارج المكتبات، كانت تجمعات الحانات تمثل مصدراً رئيسياً لبيع الكتب. مع منع هتلر من التحدث في الأماكن العامة، فقد آمان إمكانية الوصول إلى الكثير من جمهوره المستهدف. لكن

السبب الرئيسي للتأخير كان عملية التحرير. يدَّعي ما يصل إلى سبعة من زملاء هتلر المختلفين أنهم عملوا جاهدين على الكتاب قبل ظهوره، بما في ذلك برنارد شتيمفل (Bernhard Stempfle)، وهو كاهن بافاري قام بتحرير صحيفة ميسباخر أنزيغر (Miesbacher Anzeiger)، وهي صحيفة محلية معادية للسامية؛ جوزيف ستولزينج-سيرني (Josef Stolzing-Cerny)، الناقد المسرحي في صحيفة Völkischer Beobachter؛ وأدولف مولر (Adolf Müller)، صاحب مطبعة فرانز إيار.

يتذكر هانفستاينغل مقارعة هتلر بشأن أول سبعين صفحة من المخطوطة، مدَّعياً أنه قد أزال "أسوأ الصفات" التي استعملها و"استخدامه المفرط لصيغ التفضيل"، واشتبك معه حول نقاط مختلفة من الفروق الدقيقة. عندما كتب هتلر عن "موهبته" كرسام، يزعم هانفستاينغل أنه أخبره، "لا يمكنك قول هذا. قد يقولها أشخاص آخرون، لكن لا يمكنك قول ذلك عن نفسك". وأشار هانفستاينغل أيضاً إلى "بعض الأكاذيب الصغيرة"، مثل استخدام هتلر لمصطلح "كبير موظفي الخدمة المدنية" بالإشارة إلى والده. اشتكى هانفستاينغل أيضاً من الطبيعة الضيقة لعقل هتلر التي دفعته إلى تطبيق مصطلح مثل تاريخ العالم (Weltgeschichte) على "خلافات أوروبية صغيرة جداً". بعد جلسة التحرير الأولية هذه، حسب زعم هانفستاينغل، لم يُرِه هتلر أي مخطوطة أبداً.

كما تذكر رودولف هيس وزوجته إيلز، اللذان كانا يعملان في دار نشر، الاختلاف مع هتلر بشأن مخطوطته، وإن تمخض هذا الاختلاف عن نتائج أفضل من هانفستاينغل. تتذكر إيلز "لقد ناضلنا لأسابيع وشهور مع هذه المخطوطة، وكذلك مع أدولف هتلر، الذي وافق ببطء على أننا كنا على حق". سيعمل آل هيس على المخطوطة معاً، ثم يقوم رودولف بمراجعة التعديلات مع هتلر سطراً بسطر. وصفت إيلز أسلوب كتابة هتلر بأنه شكل من أشكال

النثر المحمول جواً (Sprech-Deutsch) الذي يحتوي على أدوات خطابية تعمل جيداً في الدخان والضجيج للحانات، ولكن بالكاد تلقى صدى عند نقلها إلى الورق: وبالتالي، بالطبع، ولكن، فالآن. ويمكننا أن نضيف بين الحين والآخر: "لا! لا!" / (Nein! Nein!).

لن نعرف أبداً على وجه اليقين درجة صحة هذه الادعاءات التحريرية المختلفة، نظراً لأن الغالبية العظمى من مسودات العمل قد اختفت.* ما يبرز في هذه الروايات المختلفة، مع ذلك، هو الشعور بالملكية الذي شعر به هتلر تجاه نصه، والاهتمام الذي أولاه بنبرة كتابه ومضمونه، والعناد الذي أبداه في سعيه للاحتفاظ بصوت المؤلف المتميز.

أحد التغييرات التحريرية التي يمكن أن تُنسب إلى فرد معين، والتي تمثل بالتأكيد الفعل الأكثر أهمية في عملية التحرير التي استمرت عاماً، هو ذلك التغيير الذي أجراه ماكس آمان عندما قام بتقطير عنوان هتلر الأصلي إلى عنوان أصغر حجماً وأكثر ثراءً كفاحي *Mein Kampf*.

عندما ظهر كتاب هتلر في يوليو 1925، قوبل، بالإجماع تقريباً، بمراجعات لاذعة. وصف صحيفة Frankfurter Zeitung الكتاب بفعل انتحار سياسي، وعنونت المقال "نهاية هتلر". أعربت صحيفة في برلين عن "شكوك جزئية حول الاستقرار العقلي للكاتب". لاحظ أحد النقاد أن هتلر "صفى الحسابات" مع الجميع باستثناء نفسه.

حتى اليمين المتطرف كان من الصعب عليه أن يقول شيئاً إيجابياً. شعر الجنرال إريك لودندورف بالإهانة من معاداة هتلر الغاضبة للسامية، ونأى بنفسه عن الكتاب والمؤلف. قدم ألفريد روزنبرغ، مؤلِّف كتابٍ لا يمكن اختراقه

---

* تحتوي الملفات الموجودة في مكتبة الكونغرس على سرد لمحاولة هانز بيلهاك (Hans Beil-hack) العبثية لتحديد مكان المخطوطة الأصلية.

تقريباً، والذي قضى ما يقرب من عقد من الزمن في كتابة ونشر "أسطورة القرن العشرين"، ملاحظة سريعة مفادها أن الكتاب بدا أنه "مكتوب بسرعة". أما صحيفة "الوطن البافاري" Bayerische Vaterland فقالت عن الكتاب (Sein Krampf) "إنه تشنج". في بعض الدوائر، أصبح الكتاب موضع نكات.

ادَّعى أحد زعماء الحزب النازي، أوتو ستراسر، أنه عندما اقتبس مقاطع كاملة حرفياً من كفاحي خلال اجتماع غير رسمي لقادة الحزب النازي في مسيرة نورمبرغ عام 1927، أثار تعابير الدهشة من أتباعه. فقط بعد أن اعترف بأنه لم يقرأ الكتاب فعلياً ولكنه حفظ فقرات مختارة فقط، تلا ذلك جولة من الاعترافات المماثلة. يتذكر ستراسر: " اندلع ضحك عام، وتقرَّر أن الشخص الأول الذي جاء وادَّعى أنه قرأ كتاب كفاحي كاملاً يجب أن يدفع فاتورة الجميع". كان أول من ظهر هو الأخ الأكبر لستراسر، غريغور، الذي "أجاب بـ "لا". هز غوبلز رأسه. أطلق غورينغ ضحكة صاخبة".* على الرغم من أن الحكاية تنتمي إلى الموروث الذي تولّد عن زملائه الساخطين - فرّ أوتو ستراسر إلى كندا في عام 1933؛ قُتل غريغور في العام التالي - إلا إنه ينقل حقيقة ثابتة ومعترفاً بها بشكل عام: عدم مقروئية كتاب هتلر بشكل عام.

على الرغم من المراجعات غير المبهجة، وأوجه القصور الواضحة في الكتاب، فإن فخر هتلر بالتأليف مؤكد في النسخ العديدة من كفاحي المهداة إلى العائلة والأصدقاء والمقربين. تذكر ألويس هتلر تلقيه نسخة، وكذلك باولا ومالك شقة هتلر السابق، جوزيف بوب (Josef Popp)، الذي أهداه نسخة كُتب عليها "من أجل الأيام الخوالي". تلقى إميل موريس النسخة رقم 10 من كفاحي مع إهداء موقع من هتلر، "إلى حامل درعي المخلص والشجاع".

* في مذكراته يوم 14 أكتوبر 1925، لم يكن لدى غوبلز في الواقع أي شيء سوى الثناء على كفاحي، "سأنتهي من قراءة كتاب هتلر الليلة"، كتب. "رائع بالفعل! من هو هذا الرجل؟ نصف عاميّ ونصف إله!"

بمناسبة عيد الميلاد في ذلك العام، أرسل هتلر إلى غوبلز واحدة من خمسمائة طبعة مرقمة كتعبير عن التقدير، "لطريقتك المحتذى بها على أرض المعركة". استمر هتلر بتوقيع نسخ من كفاحي لسنوات قادمة. لقد صادفت العديد من الطبعات المهداة من كفاحي في مجموعات خاصة، بما في ذلك ثلاث طبعات مختلفة في مكتبة الكتب النادرة بجامعة هارفارد، مع إهداءات من هتلر، بما في ذلك أحد إصدارات الجامع الأصلية - رقم 144 - التي وقعها هتلر في أواخر نوفمبر 1942.

يتجلى رضا هتلر عن كتابه الأول بشكل مقنع في قراره بكتابة جزء ثان. بحلول الوقت الذي ظهر فيه كفاحي في يوليو 1925، كان يعمل بجدٍّ على المجلد الثاني. في ذلك الربيع، استأجر هتلر سكناً في أوبرسلازبيرغ / Obersalzberg، وهي في قمة جبال الألب تطل على بيرشتيزغادن / Berchtesgaden، حيث التقى مع إيكهارت في الأشهر التي سبقت انقلاب بير هول، وشرع في العمل في كوخ صغير أصبح يُعرف باسم Kampfhäusl، أو "كوخ المعركة"، ويمكن العثور على آثاره في غابة كثيفة من الأشجار. عاد هتلر في صيف عام 1926 لإكمال المخطوطة، ولكن هذه المرة أخذ غرفة في فندق دوتشه هاوس / Deutsches Haus في بيرشتيزغادن.

"هنا كنت مدللاً حقاً"، يتذكر. "كل يوم كنت أسير من أوبرسلازبيرغ، إلى شاتزكيل / Schatzkehl، ثم أعود مرة أخرى، كنت أمشي لمدة ساعتين ونصف. هناك كتبت المجلد الثاني". كان كتابه الأول في الأساس سيرته الذاتية. أما الثاني فكان سياسياً بحتاً، مؤلفاً من أربعمائة صفحة حدد فيها هتلر رؤيته لألمانيا، وكتب عن الحاجة إلى المجال الحيوي "مساحة المعيشة" للشعب الألماني، وحول الرابطة القوية لـ (Blut und Boden) "الدم والتربة"، وبالطبع ركز على خطر اليهود. "إذا كان في بداية الحرب وأثناء الحرب اثني عشر أو خمسة عشر ألفاً من هؤلاء العبريين المفسدين للشعب قد احتجزوا تحت الغاز السام،

كما حدث لمئات الآلاف من أفضل جنودنا الألمان في الميدان، فإن تضحيات الملايين في الجبهة لن تذهب سدى. على العكس من ذلك: القضاء على اثني عشر ألفاً من الأوغاد في الوقت المناسب كان سينقذ حياة مليون ألماني حقيقي، لهم قيمة حقيقية في المستقبل".

أنهى هتلر المخطوطة في أغسطس 1926 بتكريسها لديتريش إيكهارت، "للذي كرس حياته لإيقاظ نفسه وشعبه بكتاباته وأفكاره وأخيراً في أفعاله". ثم التفت إلى مشروعٍ كتابي كان قد بدأ في التفكير فيه في الربيع السابق: مذكرات بحجم كتاب عن الحرب العالمية الأولى.

إن قرار هتلر بتكريس مغامرته الأدبية التالية لخدمته في زمن الحرب رائع، ليس فقط لأنه يبدو أنه قد تم تجاهله من قبل معظم كُتَّاب السيرة الذاتية لهتلر، ولكن أيضاً لأنه يمثل بالنسبة لهتلر تحولاً واعياً ليس فقط عن الكتابة السياسية ولكن أيضاً عن الحزب النازي، وبعيداً عن فرانز إيار كناشر له. كما قال أوتو بروكمان، فعل هتلر هذا "على أمل الوصول إلى ما هو أبعد من الحزب بهذا الكتاب غير السياسي". لقد كان التعبير الأكثر وضوحاً لهتلر عن اهتمامه بأن يكون كاتباً حقيقياً.

يكاد يكون من المؤكد أن هتلر كان مدفوعاً بعدد من العوامل. على الرغم من كل تطلعاته في كفاحي، ناهيك عن استثماره للوقت والطاقة في عملية الكتابة والتحرير، إلا أن الكتاب حقق أداءً متوسطاً، وبالكاد بيعت طبعته الأولى بعد عام على صدورها - مع النظر طبعاً لظروف السوق، ولكن بالكاد ناسبت المبيعات طموحاته المتضخمة. كانت توقعاته للمجلد الثاني أكثر واقعية بالتأكيد. في الواقع، بينما قوبل المجلد الأول بالسخرية والازدراء من قبل المراجعين، تم تجاهل المجلد الثاني ببساطة - ليس فقط من قبل النقاد، ولكن من قبل القراء أيضاً. بِيعَت أقل من سبعمائة نسخة بعد عام على طرحها في السوق.

ولكن كانت هناك دروس يمكن تعلّمها من تجربته الأولية كمؤلف. [illegible] الصحف التي نشرت مقتطفات من المجلد الأول اختارت على الدوام، رواياته عن الوقت الذي قضاه في الجبهة، والتي لاقت صدى. أما بالنسبة لفرانز إيهر، فقد كان واضحاً لهتلر أنه ناشر إقليمي، بقدرة توزيعيّة محدودة إلى السوق خارج بافاريا. لذلك في ربيع عام 1926، بينما كان منكباً على المجلد الثاني من كتاب كفاحي، بدأ يتحدث مع أوتو وإلسا بروكمان حول مشروع كتابه التالي بصفته ناشراً لكتاب تشامبرلين أسس القرن التاسع عشر، والذي كان في ذلك الوقت في طبعته السابعة عشرة، كان لدى بروكمان أوراق اعتماد محافظة، وإمكانية الوصول إلى جمهور واسع من القراء.

في الوقت نفسه، كان هتلر منغمساً في أدب الحرب العالمية الأولى، وقد ألهمه جزئياً كتاب الدم والحديد لإرنست يونجر (Ernst Jünger)، الذي أرسله إليه المؤلف في وقت سابق من العام، مع إهداء شخصي: "إلى القائد الوطني أدولف هتلر". أما كتب يونجر الثلاثة السابقة - *Storm of Steel*، و*War as Inner Experience*، و*Copse 125*، حيث تم القضاء على وحدة ألمانية في محاولة بطولية للاحتفاظ بمكانتها في حرش صغير من الأشجار - فقد أثبتت أن المحارب المخضرم هو الصوت الأكثر بروزاً لجندي في الخطوط الأمامية. على عكس طوفان الأدب السلمي، الذي سيجد تعبيره الكامل بعد بضع سنوات في كتاب إريك ماريا ريمارك (Erich Maria Remarque) كل شيء هادئ على الجبهة الغربية، كانت كتب يونجر تمجِّد الجندي الألماني وتضحياته من أجل الوطن، ووجدت التسامي والنبل وسط المذبحة. يبدو أن هتلر تشعَّب في كتابات يونجر بقوة في ذلك الربيع. كتب المؤلف في شهر مايو "لقد قرأت كل كتاباتك. وجدت فيها قيمة كبيرة من بين كل ما نُقل عن تجارب الجبهة".

طوال صيف عام 1926، يبدو أن هتلر كان يفكر في مذكراته الحربية،

ففي غضون شهر من استكمال المجلد الثاني من كتاب كفاحي في أغسطس 1927، تحدث مع إلسا بروكمان حول رؤيته لكتابه التالي: "إنه يفكر بالفعل في شكل كتابه الحربي، ويقول إنه أصبح أكثر وضوحاً وحيوية في مخيلته"، كتبت بروكمان لزوجها في 26 سبتمبر. "الصور تتوضح حول قلب الفكرة التي شكّلها ويجب إنهاؤها". بحلول شهر ديسمبر، كانت مذكرات هتلر الحربية قد تقدمت إلى النقطة التي حدد فيها بروكمان بالفعل موعداً للنشر. عندما اقترب منه ألفريد روزنبرغ بشأن نشر مخطوطة أنهاها مؤخراً، رفض بروكمان العرض موضحاً أنه "في الربيع سأقوم بنشر مذكرات هتلر الحربية". لكن هتلر لم يسلم الكتاب أبداً. مثل معظم المخطوطات الخاصة بـ كفاحي، لم يتم العثور على أي مخطوطة على الإطلاق.

ومع ذلك، يمكننا تقديم بعض التخمينات المستنيرة حول شكلها ومحتواها، ليس فقط من الأوصاف الواردة في كفاحي للمعارك، ولكن أيضاً من صور البطاقات والرسائل التي أرسلها هتلر إلى صديقه في ميونيخ، إرنست هيب، والتي تحافظ، في ضيق ولكن بثبات، على عواطف معموديته بالنار عندما كان يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً: مسيرة منتصف الليل تحت سماء مليئة بالنجوم، والاستماع إلى رعد المدفعية البعيد، والتوتر المتصاعد مع سقوط القذائف القادمة بشكل متزايد، وعدم اليقين المتزايد من الضجيج المطبق، متبوعاً بإطلاق نار مفاجئ ومثير للهجوم على موقع للعدو حيث "يزحف الجنود البريطانيون مثل النمل" من مخابئهم. يقول الشاب هتلر: "إننا نركض إلى الأمام مثل البرق فوق الحقول، وبعد اشتباكات دامية متكررة بين شخص وآخر، نلقي بالشبان من خندق إلى آخر. الكثير يرفعون أيديهم. من لا يستسلم يُقتل بالرصاص. ولذا قمنا بتنظيف الخنادق الواحد تلو الآخر".

في ربيع عام 1926، تم تذكير هتلر بهذه اللحظات في صفحات مذكرات يونجر عن جبهة القتال، مع أوصافها شبه المتطابقة للمسيرات الليلية، وقذائف

المدفعية البعيدة، والاندفاعات العاطفية التي رافقت الاندفاع إلى المعركة. لم يوقظ يونجر ذكريات زمن الحرب والعواطف المألوفة فحسب، بل ألهم أيضاً المحاكاة، كما تشير إلى ذلك مفاوضات كتاب هتلر مع آل بروكمان في ذلك الربيع وفي المقاطع التي ظللها المؤلف في كتاب النار والدم.

في الغلاف المقوّى المكون من 190 صفحة، هناك إقحامات متكررة بقلم الرصاص، وأسطر ممتدة بجانب الجمل الفردية، وفقرات تطول في كثير من الأحيان في سلسلة من الوقفات المتقطعة، التي يبدو أنها تكمل الضجة المتقطعة لنيران الرشاشات الموضحة في هذه الصفحات. في هذه الإشارات بقلم الرصاص يمكننا أن نرى هتلر يتابع تأملات يونجر وتعليقاته حول التأثيرات التحويلية للحرب. مثل يونجر، اختبر هتلر المذبحة كشيء نبيل وتحويلي. "لكن هذه واحدة من الألغاز التي لا يمكن تفسيرها والتي تطرحها علينا ساحة المعركة باستمرار والتي سنستمر في شغل أنفسنا بها لبعض الوقت، إذا ما بقينا على قيد الحياة". يتأمل يونجر في الصفحة 86، بينما يتابعه هتلر باهتمام بقلم رصاص. "وهذا هو الهدوء الجليل الذي لا يتزعزع والذي يكشفه الرجل عندما يواجَه بإبادة نفسه، وأننا في وجودنا اليومي التافه لا يمكننا حتى أن نتخيله".

أثناء تصفح هذا المجلد النحيف، لاحظتُ أن هتلر ركز اهتمامه على استكشافات يونجر للجوانب العاطفية والروحية للحرب، متجاهلاً أوصاف المعركة، إلا في مكانين، أعلى الصفحة 106 وأسفل الصفحة 107، محدداً المقاطع التي تذكر وابل المدفعية حيث يصبح "الارتجاج المخنق للانفجارات" شديداً لدرجة أن كل شيء يبدأ في "الارتعاش والرقص مثل الصور في فيلم وامض". يصاب يونجر بالشلل بسبب الحمل الحسي الزائد. "لم أعد أسمع القصف، لقد تجاوز النقطة التي يمكنني حتى سماعه". بجانب هذه الفقرات رسم هتلر خطوطاً كثيفة ومظلمة.

في الغالب، على الرغم من ذلك، يتتبع قلمه خطوط المواجهة الأمامية

لـ يونجر حول التأثيرات التحويلية للذبح، حول تصلب القلب والروح، من تشكيل الروح البشرية إلى شيء "قاسٍ لا يرحم"، حول تجربة الترابط بين الرجال الذين يندفعون إلى المعركة، حول اندماج الحياة البشرية وجهاز الدولة في التعبير عن الإرادة الجماعية للشعب، حول عالم يتجاوز كل "حدود القيم الإنسانية" المعروفة، حيث "الشجاعة، والخوف، والتعاطف - كل ما لم يعد موجوداً" - يختلط لدرجة أن الإرادة البشرية أولاً "تتكلم من خلال النار، ثم تتكلم بالدم".

يتتبع قلم هتلر بخط مستقيم هذه التعبيرات في تآلف، مع استثناء واحد: في الصفحة 26، بجانب مقطع يتكهن فيه يونجر بقوة الإرادة البشرية في مواجهة "القوة الحركية" لـ "الإنتاج الضخم الوحشي". يكتب يونجر: "المعركة قياس مروّع للإنتاج المتنافس، والنصر هو حليف الخصم الذي يعرف أفضل السبل للإنتاج بأقل تكلفة وأكثر كفاءة وسرعة". إلى جانب هذا المقطع، وضع هتلر علامة استفهام واحدة، وتحدياً واضحاً لـ يونجر، وتلميحاً بالحسابات المشينة التي يجب إجراؤها في ساحات القتال المستقبلية في أوروبا.

بالنظر إلى ما نعرفه من كل هذا، يمكننا فقط التكهن بأبعاد ونبرة واتجاه مذكرات هتلر الحربية المفقودة. ربما لم تكتمل أبداً لأنها، على الأرجح، وقعت ضحية مهنة هتلر السياسية. بحلول عام 1927، تم رفع حظر التحدث الذي منع هتلر من الظهور العلني في معظم الولايات الألمانية، مما سمح له بتجديد نشاطه السياسي. كما كتب في رسالته إلى سيغفريد فاغنر، وأكد في مقدمته في كفاحي، أنه كان رجل فعل سياسي وليس رجل كلمة مكتوبة.

على الأغلب، تم حرق كل ما كان موجوداً من المخطوطة جنباً إلى جنب مع معظم أوراق هتلر الشخصية في ربيع عام 1945، عندما أُرسل مساعده، يوليوس شاوب (Julius Schaub)، أولاً إلى شقته في ميونيخ لجمع أوراقه الخاصة، ثم إلى مقر إقامته في أوبرسلازبيرغ ليجمع ما تبقى ويحرقه. كانت

كريستا شرودر (Christa Schröder)، إحدى سكرتيرات هتلر، شاهدة على الحدث، وتتذكر أن شاوب قام أولاً بتنظيف الخزينة في مكتبة هتلر بالطابق الثاني، ثم قام بتجميع الرسائل والملفات والمخطوطات والكتب المتنوعة بجانب سارية العلم و"بمساعدة عدد قليل من عبوات البترول" أشعل النيران في كومة الأوراق، مما أدى إلى محو الكثير من الحياة الخاصة لهتلر - ولكن ليس كل شيء. ما نسيه هتلر، ولم يكن شاوب يعرفه، هو أنه قبل خمسة عشر عاماً، وضع هتلر نسخة كربونية من مشروعه الكتابي الرابع في خزينة في مكاتب دار إيار في وسط مدينة ميونيخ.

الكومة ذات البوصتين من الورق المصفرّ هي نسخة كربونية من مخطوطة مكتوبة بالآلة الكاتبة مؤلفة من 324 صفحة. لقد قضم الوقت هوامش الصفحات الفردية. في بعض الأماكن، سقطت كلمات كاملة. في مرحلة ما، تغلغل الماء في المخطوطة من الصفحات 18 إلى 22، مما أدى إلى ظهور العفن الفطري، الذي ابتلع مساحات كاملة من الأفكار.

تنص المذكرة المرفقة، التي تحدد الموقع الأصلي للمخطوطة في شارع تيرتش 11، على ما يلي:

جوزيف بيرج (Joseph Berg)، الذي يعيش في شوبنر ريختر شتراس 35، ميونيخ، وكان المدير الفني لدار النشر هذه، قدم لنا مخطوطة غير منشورة لـ أدولف هتلر. كُتبت منذ أكثر من 15 عاماً وحُبست في خزنة. كان لدى السيد بيرج أوامر صارمة بعدم إمكانية طباعة المخطوطة أو عرضها على أي شخص.

وقَّع المذكرةَ النقيب في الجيش بول أم ليك (Paul M. Leake) من فيلق الإشارة، وحدد المخطوطة على أنها "الهدف رقم 589". مع الهدف رقم 589، ليس لدينا فقط مسودة العمل الكاملة لمخطوطة كتاب من تأليف أدولف هتلر، بل نمتلك أيضاً وثيقة تحافظ على تطوره كمؤلف. بحلول صيف عام 1928، كان للكاتب البالغ من العمر 39 عاماً أربع سنوات من الخبرة في

الكتابة والتحرير والنشر. هناك ثقة في الأسلوب والشكل، مع عدم وجود أي من الهراء والتردد الذي نجده في مسودته الأولى من كفاحي. عندما يتم إجراء تغييرات تحريرية، فمن الواضح أنها تهدف إلى تكثيف النثر، وضخ مزيد من الضغط أو السلطة، بعينٍ حادة للفوارق الدقيقة. في إحدى الحالات، تم استبدال الشرط الكئيب "أود" (ich möchte) بعبارة "أريد" (Iich will) الأكثر تعمّداً. وفي حالة أخرى، تم استبدال "مقدار القوة" (Machtgehalt) بـ "استخدام القوة" (Machteinsatz). تغييرات أخرى تعلقت بالأسلوب. تم تصحيح الخطأ النحوي في الصفحة 5، حيث استُبدل "الجوع الأبدي"، بـ "الإشباع" ثم بـ "التخمة". في الصفحة 19، "امتلاك الشجاعة" استُبدلت بـ "حمل الشجاعة في قلب المرء" التي تحمل قوة عاطفية أكبر. في الصفحة 20، تم إعطاء مقطع واحد معنى جديداً تماماً عندما أعيدت صياغة "التحول البيولوجي" على أنه "تحول جيولوجي". الإشارة إلى "إعادة الهيكلة المصطنعة" تصبح "إعادة هيكلة مفاجئة"، وفي فقرة أخرى، يتم "تحديد" الظروف بدلاً من "تأثر الظروف".

في صفحات المخطوطة الأولية هذه، نرى عقل المؤلف في العمل، يعالج المعلومات، يتصارع مع أفكاره، يشاهد كلماته تظهر على الصفحة، يقيس الأسلوب والفوارق الدقيقة، أحياناً يتعثر في القواعد اللغوية والنحو، ويقوم بتصحيح كتابي سريع، ثم يندفع في سيل نثري لا هوادة فيه. كتب في جملته الافتتاحية: "في أغسطس 1925، أثناء كتابة المجلد الثاني [من كفاحي]، عرضتُ الأفكار الأساسية لسياسة خارجية اشتراكية قومية ألمانيّة، وإن كانت في شكل مختصر إلى حد ما". يقول هتلر إنه ينوي في هذا الكتاب تقديم رؤية أكثر تفصيلاً لدور ألمانيا في العالم، في الواقع، تحويل كفاحي إلى ثلاثية متكاملة: المجلد الأول يركز على هتلر والحركة النازية، المجلد الثاني الذي يستكشف الحزب النازي وألمانيا، والمجلد الثالث يتناول وضعَ ألمانيا في سياقها في العالم.*

* نشر هتلر أيضاً دراسة عن السياسة الخارجية مستخرجة من المجلد الثاني من كفاحي، تخص جنوب تيرول، وهو جزء من شمال إيطاليا يسكنه عدد كبير من الألمان.

كان هذا بمثابة عودة إلى الكتابة السياسية وإلى فرانز إيار كناشر له.

كما هو الحال مع المجلدين الأولين من كفاحي، لجأ هتلر إلى صوته كمؤلف فقط عندما حُرم من صوته العام. مثلما كُتب المجلد الأول خلف جدران السجن، والمجلد الثاني أثناء حظر التحدث أمام الجمهور، ظهر المجلد الثالث في لحظة صمت مفروض. على مدى العامين الماضيين، عمل هتلر بلا هوادة على تأسيس الحزب النازي كقوة سياسية على مستوى البلاد. سافر بلا توقف، مؤكداً سلطته الشخصية عبر الحركة الواسعة النطاق والمتعثرة في بعض الأحيان، وبحلول مايو 1928 كان قد جهز الحزب للمشاركة في أول انتخابات وطنية له. لكنه وجد نفسه في مواجهة موجة سياسية متراجعة.

خلال أكثر من أربع سنوات منذ انقلاب ميونيخ، استقرت جمهورية فايمار بفضل الفطنة الدبلوماسية لوزير خارجيتها، غوستاف شتريزمان (Gustav Stresemann). في عام 1924، تفاوض شتريزمان على خطة دوز (Dawes Plan)،[28] ورفع مدفوعات التعويضات الساحقة التي أدت إلى التضخم الكارثي في عام 1923. وفي العام التالي، وُقعت معاهدة لوكارنو (Locarno Pact)،[29] واعتُرف رسمياً بالحدود الغربية لما بعد الحرب، وتصالح ألمانيا مع جيرانها، على وجه الخصوص فرنسا. أكسبه هذا الجهد جائزة نوبل للسلام. كان شتريزمان

28 كانت خطة في عام 1924 لحل قضية تعويضات الحرب العالمية الأولى التي كانت مطلوبة من ألمانيا، وقد أنهت أزمة في الدبلوماسية الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى ومعاهدة فرساي.

29 معاهدة سياسية من سبع اتفاقيات، تم التفاوض عليها في مدينة لوكارنو الواقعة في سويسرا، حيث بدأت مراحل التفاوض من 5 إلى 16 أكتوبر في عام 1925، ووُقعت رسمياً في لندن بتاريخ 1 ديسمبر، وسعت من خلالها القوى الأوروبية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى تأمين وتسوية الوضع الإقليمي بعد الحرب وكذلك تثبيت وتأكيد معاهدة فرساي، بالإضافة إلى إعادة تطبيع العلاقات رسمياً مع ألمانيا، التي خسرت الحرب آنذاك. كما أن المعاهدة نصّت على عدم دخول ألمانيا الحروب مرة أخرى.

قد أزال الكثير من الاشتعال الذي غذى اليمين المتطرف في ألمانيا بحلول ربيع عام 1928، عندما ذهب الناخبون الألمان إلى صناديق الاقتراع وألحقوا بهتلر هزيمة مروعة. حصل حزب شتريزمان على 30 في المائة من الأصوات في مشهد مليء بالحركات السياسية. فاز اليمين بنسبة 26 في المائة فقط من الأصوات. في تلك الليلة، في شقته في برلين، وصف غوبلز نتائج الانتخابات بأنها "ميؤوس منها".

في ذلك المساء نفسه، تجاهل هتلر الكارثة، ملاحظاً أن الحزب النازي هو الآن الحركة اليمينية الوحيدة في ألمانيا. لكن مع أقل من 3 في المائة من الأصوات الوطنية، ترنح الحزب على حافة الانقراض. قال هتلر: "سنواصل العمل وهدفنا هو أنه في غضون سنوات قليلة سنقف هناك حيث تقف الماركسية الآن، وستكون الماركسية حيث نحن اليوم". في يوم الأربعاء التالي، كرر هذه الإدانة في خطاب دام ثلاث ساعات ونصف الساعة. ووفقاً لتقرير الشرطة كان الإقبال "متوسطاً". في اليوم التالي، تراجع إلى أوبرسلازبيرغ لكتابة كتابه.

على عكس المجلدين السابقين لـ كفاحي، افتتح هتلر هذا الكتاب الجديد - بعد مقدمة موجزة يعترف فيها بتهميش الحزب النازي ("وحده ومعزول") في السياسة الألمانية - بملاحظة فلسفية قاطعة. بدأ "Politik ist werdende Geschichte"، أو "السياسة هي تاريخ في طور التكوين". "التاريخ بحد ذاته هو عرض لمسار النضال من أجل بقاء شعب ما"، تابع. "أنا أستخدم عبارة "النضال من أجل البقاء" عن قصد، لأنه في الحقيقة كل جهد لتأمين الخبز اليومي للفرد سواء في السلم أو الحرب، هو صراع أبدي ضد آلاف وعشرات الآلاف من العقبات، تماماً كما أن الحياة نفسها هي معركة أبدية ضد الموت". الصوت السردي حازم ومباشر، والسيناريو واضح وثابت، مع تصحيحات عرضية فقط. الأخطاء الإملائية بسيطة.

"لا يفهم البشر سوى القليل عن سبب بقائهم على قيد الحياة مثل أي وحش آخر في هذا العالم، لكن الحياة مليئة بالرغبة في الحفاظ عليها. الوحش الأكثر بدائية لم يستطع ..." توقف هتلر مؤقتاً للمرة الأولى، يرسم حرف X فوق كلمة "لم يستطع"، ويبدأ من جديد. "الوحش الأكثر بدائية لا يقلقه سوى بقائه الشخصي، في حين أن الأكثر تقدماً ينقل هذا القلق إلى الزوجة والطفل، والأكثر تقدماً إلى الجنس بأكمله". على سبيل المثال، يستشهد هتلر بالشجاعة التي ستظهرها الأم في الدفاع عن أطفالها، وبطولة الرجل في حماية شعبه. ويشير إلى أنه فقط من خلال هذا "التخلي عن ما هو شخصي" يصبح استمرار وجود المجتمع ممكناً. من أجل تحقيق هذه الحالة الأعلى، يجب على الفرد تجاوز الغرائز الحيوانية الأساسية: "الجوع" و"الحب". يكتب: "ما يتألف من لحم ودم، لا يمكن أن يفلت من هذه القوانين التي تحدد كيانه. وإذا اعتقدت الروح البشرية أنها متفوقة على ذلك، فإنها تقضي على المادة الأساسية التي تحمل تلك الروح". يتطلب بقاء الروح استمرار الأنواع. إنها في جوهرها الدعوى الداروينية.

ثم يوسع هتلر هذا النموذج لبقاء الفرد ليشمل المجتمع - "الجسد الجماعي ليس أكثر من تعدد كائنات فردية متطابقة إلى حد ما" - ويطور المفهوم إلى فلسفة للسياسة الخارجية. كتب: "هذه القوانين نفسها التي تحدد وتسيطر على حياة الأفراد هي بالتالي صالحة أيضاً للشعب. الحفاظ على الذات والإنجاب هما الدافع الأكبر لكل فعل، طالما أن الجسم يتمتع بصحة جيدة للقيام بذلك. وبالتالي، فإن مظهر هذه القواعد العامة للحياة سيكون متماثلاً بين الشعوب كما هو بين الأفراد". مدفوعاً بالحاجة إلى إشباع هذا "الجوع الأبدي" وهذه الرغبة التي لا تُقهر في التكاثر، تجد الأنواع التي لا تعد ولا تحصى من كوكبنا نفسها محاصرة في كفاح أبدي من أجل الحياة (Lebenskampf)، صراع من أجل البقاء.

من خلال التذرع بمفهوم تاريخ العالم (Weltgeschichte) بأكبر قدر ممكن من التوسع - مع عدم وجود أي من "الخلافات الأوروبية" المزعجة التي اشتكى منها هانفستاينغل - يتتبع هتلر "النضال من أجل الوجود" إلى أصول عالمنا. لقد تحدث عن تاريخ العالم الجيولوجي قبل البشرية، عندما اندلعت "معركة بين قوى الطبيعة" فصلت الأرض عن البحر وصنعت الجبال والسهول والمحيطات، وانبثقت عنها الأشكال الأولى للحياة العضوية "التي تميّز تطورها في معركة أبدية بين الإنسان والحيوان وحتى بين الإنسان والإنسان". من هذه المعركة داخل الجنس البشري انبثقت الأجناس والقبائل والشعوب والأمم في نهاية المطاف، وهي ملاحظة أعادت هتلر إلى أطروحته الافتتاحية. يكتب: "لكن إذا كانت السياسة هي التاريخ في طور التكوين، والتاريخ نفسه هو تصوير لكفاح الرجال والشعوب من أجل البقاء والإنجاب، فإن السياسة في الحقيقة هي بالتالي تنفيذ للنضال الحياتي للشعب". بالنسبة لهتلر، السياسة ليست أكثر من حرب في أكثر أشكالها دقة - إذا ما أردنا الانتقال إلى قانون كلاوزفيتز.[30] السياسة بالنسبة لهتلر هي "فن" النضال من أجل الحياة.

في هذه الصفحات الافتتاحية، لا يوجد أي من المشاعر والاعترافات الشخصية التي نجدها في المجلد الأول، أو التفاصيل الخاصة بالحزب في المجلد الثاني. هنا يتم قياس النغمة بشكل ملحوظ ومدروس وتحليلي. نجد هتلر يعبر عن آرائه حول الوجود بشكل شامل وكامل أكثر من أي مكان آخر في كتاباته أو خطاباته أو مونولوجاته المنشورة. نراه يسعى إلى تجميع معرفته الانتقائية المتراكمة معاً في إطار فلسفي، متوتراً للوصول إلى عمق

30 Carl Philipp Gottlieb von Clausewitz، جنرال ومؤرخ حربي بروسي. من أهم مؤلفاته كتاب (Vom Kriege) أي: من الحرب. تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والاستراتيجية أثراً عميقاً في المجال العسكري في البلدان الغربية. تُدرّس أفكاره في العديد من الأكاديميات العسكرية كما أنها تستعمل في عدة مجالات مثل قيادة المؤسسات والتسويق. ويعتبر من أكبر المفكرين العسكريين شهرة وتأثيراً على مر التاريخ.

عبر خليط غريب يبدو أنه أفكار مقتطعة من أمثال تشارلز داروين وماكس ويبر. كالعادة، يقدم هتلر أفكاره مع إشارة ضئيلة فقط إلى المصادر، تاركاً للعلماء التكهن بتفاوت التخمين بشأن أصول أفكاره، سواء كانت مستمدة من القراءة المكثفة والموسعة أو من البحث في المصادر الثانوية والصحف الشعبية. مع مجلدي كفاحي، اللذين تمت كتابتهما على مدى فترات زمنية طويلة وتعرضهما للتحرير المتكرر، يُترك لنا التكهن بالمصادر لكل من الشكل والمحتوى. بالنسبة لكتاب هتلر الثالث، نعرف بالضبط الأسابيع التي كُتب خلالها ولدينا أحد الكتب التي نعرفها كنموذج.

قبل ستة أسابيع من بدء هتلر العمل في مشروع كتابه الجديد، احتفل بعيد ميلاده التاسع والثلاثين. من بين الهدايا التي تلقاها كان كتاباً ذا غلاف فني من 105 صفحات هو عقيدة فيخته الألمانية، كتبته ماريا غرونوالد (Maria Grunewald)، وأهدِيَ إلى "القائد الموقر" من ثيودور لور (Theodor Lühr)، زوج ماريا لور (Maria Lühr)، وهو مجلِّد كتبٍ يمتلك استوديو في جادة كورفورستيندام (Kurfürstendamm) الأنيقة في برلين. يحتوي كتاب عقيدة فيخته الألمانية، المحاط ببياضات من الكتان الأخضر الغابوي، على عنوان الكتاب واسم المؤلفة منقوشين بخط قوطي ذهبي، على سلسلة من المطبوعات الحجرية للعذارى الآريات والمحاربين المناضلين بعناوين مثل "حول الجمال" و"آلهة النور تصارع قوى الظلام". يتعامل النص نفسه مع مقالات فيخته الروحية، وعلى الرغم من عدم وجود هامش أو آثار أخرى لتطفل هتلر، فإننا نجد بصمات ماريا غرونوالد الفكرية في صفحات مخطوطة هتلر.

في شرح فلسفة فيخته لدور الفرد في المجتمع، حددت غرونوالد تطوراً من ثلاث مراحل: "أدنى شكل من أشكال الشخصية" هو منغمس في ذاته تماماً، ولا يفكر إلا في نفسه؛ في المرحلة التالية من التطور، يوجه الفرد هذا الاهتمام إلى الأسرة – على سبيل المثال، الطريقة التي يحمي بها الرجل زوجته وأطفاله؛

الشخصية الأكثر سمواً تتجاوز الاهتمامات المباشرة وتمتد إلى "المجتمع". عندما صاغ هتلر أفكاره لكتابه، بدا أن كلمات غرونوالد قد ترددت في ذهنه ووجدت طريقها في النهاية إلى الصفحات. لكن بينما ترى غرونوالد، في تفسيرها لـ فيخته، أن هذا التطور يتجاوز العالم المادي إلى العالم الروحي وفي النهاية إلى الاتحاد مع الله، ينحرف هتلر إلى الأخلاق القاسية للداروينية الاجتماعية. حتى هذه اللحظة، تبددت وتيرة هتلر المحسوبة ومنطقه التقدمي إلى مائتي صفحة من أهداف السياسة الخارجية المتناثرة، مع التركيز بشكل خاص على الأقليات الألمانية في شمال إيطاليا، وصخب على غرار قاعة الحانات حول المؤامرات اليهودية والبلشفية قبل العودة إلى بديهية كلاوزفيتز مع تصحيف هتلري: "من مسؤولية السياسة أن تقاتل من أجل وجود شعب ومن أجل القيام بذلك يجب أن تستخدم أي أسلحة تبدو لها ملاءمة، حتى تتم خدمة الحياة على أفضل وجه"، يستنتج هتلر. "لا ينخرط المرء في السياسة من أجل الموت، بل يُسمح للناس بالموت في بعض الأحيان، حتى يتمكن الناس من العيش".

يجب أن يكون هتلر قد أنهى المخطوطة بحلول عطلة نهاية الأسبوع الثانية في يوليو - 234 صفحة في ستة أسابيع - لأنه سافر يوم الاثنين، 13 يوليو، إلى ميونيخ، حيث ألقى خطاباً، ثم تابع إلى برلين ليلقي هناك خطابين آخرين، ويناقش قضية الألمان في شمال إيطاليا مقتبساً بإسهاب من مخطوطته. في يوم الاثنين التالي، انضمت إليه أخته أنجيلا وابنة أخته غيلي، بصحبة غوبلز، الذي كان قد أكمل لتوه اللمسات الأخيرة على روايته، مايكل، وسافروا إلى هيلغولاند لقضاء إجازة لمدة أسبوع في بحر الشمال. عاد ماكس آمان إلى ميونيخ مع نسخة كربونية من مخطوطة هتلر وحفظها في الخزنة في شارع تيرتش 11، حيث بقيت سبعة عشر عاماً.

قد يكون النشاط السياسي المتجدد لـ هتلر قد دفعه إلى التخلي عن الكتاب

أو عزله. ولكن من الممكن أيضاً أن يكون هناك اعتبار تجاري. بعد موجة اهتمام أولية بعد إصدار كفاحي في صيف عام 1925، تراجعت المبيعات. في عام 1927، باع المجلد الأول أقل من خمسة آلاف نسخة، والمجلد الثاني بالكاد 1200 نسخة. في عام 1928، ربما كان آمان متردداً في دخول السوق الراكدة مع كتاب آخر لهتلر. قد يكون هتلر نفسه قد أدرك أيضاً العيوب المتأصلة في بنية الكتاب الانتقائية والعشوائية أو ربما محدوديته ككاتب. قال هتلر لمحاميه الشخصي، ولاحقاً هانز فرانك: "ما أجمل ما يقوله ويكتبه الإيطالي موسوليني... أنا لست قادراً على فعل ذلك باللغة الألمانية. لا يمكنني الاحتفاظ بسلسلة أفكاري عندما أكتب". وبالمقارنة مع عمل موسوليني، لاحظ هتلر أن كفاحي بدا وكأنه تمرين في تخيل "خلف القضبان"، أكثر بقليل من "سلسلة من المقالات المميزة في Völkischer Beobachter". "أنا لست كاتباً / Ich bin kein Schriftsteller"، قال هتلر لـ فرانك.

لكن بالنسبة لهتلر، لم يكن عيد الغطاس هذا يمثل أزمة إبداعية أو وجودية، أو اعترافاً بالفشل، أو إشارة إلى طموح مدمر. كان مجرد اعتراف بالحقيقة. لقد كان، في جوهره، كما قال مراراً وتكراراً، رجل أفعال لا أقوال. لم يدرك حدوده ككاتب فحسب، بل أدرك أيضاً المسؤوليات المتأصلة في الكلمة المكتوبة. كما قال لفرانك، "لو كان لدي أي فكرة في عام 1924 أنني كنت سأصبح مستشاراً للرايخ، لما كتبت الكتاب مطلقاً".

وأعرب عن نفس المشاعر تجاه مخطوطته غير المنشورة. قال هتلر لـ إرنست هانفستاينغل في منتصف الثلاثينيات: "أنا سعيد بالتأكيد أن هذا الكتاب لم يُنشر. كان سيسبب لي تعقيدات سياسية في الوقت الحالي". وأشار إلى أن آمان عرض عليه سلفة قدرها مليون مارك وأن ملايين آخرين سيتبعون في الإتاوات. بقدر ما كانت الاحتمالات مغرية، شعر هتلر أن الالتزامات السياسية كانت كبيرة للغاية. قال: "ربما لاحقاً، عندما أقطع شوطاً. الآن هذا

مستحيل". في غضون عام من إكمال ما كان سيصبح الهدف رقم 589، رأى هتلر أن آفاقه السياسية، القاتمة للغاية في صيف عام 1928، تتغير بشكل كبير. في 3 أكتوبر 1929، أصيب جوستاف شتريزمان بنوبة قلبية شديدة. بعد ثلاثة أسابيع، انهار سوق الأسهم في نيويورك، وانهار معه الاقتصاد الألماني. ارتفعت شعبية هتلر. تخلى هتلر عن تأليف الكتب بعد أن تعافى من التهميش السياسي. في غضون ثلاث سنوات وجيزة، سيكون مستشاراً لألمانيا.

الكتاب الرابع

الفيلسوف التائه

كل يهودي مزعج هو إهانة خطيرة لأصالة وصدق هويتنا الألمانية.

مقطع مظلل في نسخة هتلر من المقالات الألمانية التي كتبها بول لاغارد (Paul de Lagarde).

في مقالته حول جمع الكتب، يقترح والتر بنجامين أن معظم محبي الكتب قد قرؤوا في أفضل الأحوال 10 في المائة من مجموعاتهم، ويدّعي أنه بنى تقديراته على مرجع جيد. "يكفي أن أقتبس من الإجابة التي قدمها أناتول فرانس (Anatole France) لماديّ أُعجب بمكتبته وطرح السؤال المعتاد، "وهل قرأت كل هذه الكتب، سيد فرانس؟" ورد الحائز على جائزة نوبل ببراعة: "ليس عُشرهم. لا أفترض أنك تستخدمين أواني الخزف كل يوم؟""

يصر بنجامين على أن جمع الكتب فن ينضج بمرور الوقت. "لسنوات، على الأقل في الثلث الأول من وجودها، كانت مكتبتي تتألف مما لا يزيد عن رفين أو ثلاثة أرفف تزداد بمقدار بوصات فقط كل عام. كان هذا هو عصرها العسكري عندما لم يُسمح لأي كتاب بالدخول إليها دون الشهادة بأنني قرأتها". مع مرور الوقت، أصبح بنجامين يقدّر الكتب لأسباب أخرى: غلاف أنيق بشكل خاص، رسوم توضيحية ساحرة، مجلد أثري نادر معروض في المزاد، ذكرى كتاب معين في يوم معين في مكتبة معينة. يقول: "فجأة تحول التركيز. اكتسبت الكتب قيمة حقيقية". أصبحت الحيازة غاية في حد ذاتها. يلاحظ

بنجامين أنه بدون هذا "التضخم"، لم يكن ليحصل على ما يكفي من الكتب لتكريم ما يملكه بلقب المكتبة.

مع هتلر، نرى تسارعاً مماثلاً. خلال العقد الذي أقام فيه هتلر في شقته المتواضعة في شارع تيرتش نمت مكتبته بشكل تدريجي، حيث ملأ خزانة كتب في البداية، ثم أخرى، وعندما لم تعدا تتسعان، تراكمت الكتب في أكوام عشوائية وغير مستقرة فوق خزائن الكتب، كما يتضح في صورة التقطت أوائل عام 1925. في ذلك العام، كانت مجموعة كتبه من بين الممتلكات القليلة البارزة التي سجلها في إقراره الضريبي. من بين قائمة الجرد الضئيلة التي تضمنت مكتب الكتابة الخاص به وكرسياً، قام بإدراج "مكتبتين ممتلئتين".

خلال الثلاثينيات، توسعت مجموعة هتلر بشكل كبير. مرة أخرى، يشهد السجل الضريبي على شدة اهتمامات هتلر المتعلقة بالكتب. كان أكبر خصم ضريبي لهتلر بعد تكاليف الموظفين والسفر السياسي للكتب: 1,692 ماركاً في عام 1930، مع مبالغ مماثلة في العامين التاليين. عند تأمين محتويات مسكنه في ميونيخ في نوفمبر 1934 مع شركة Gladbacher Fire Insurance Company، قام هتلر بحساب قيمة ممتلكاته عند 300,000 مارك، مع تخصيص نصف المبلغ لمجموعته الفنية والباقي للكتب والأشياء الثمينة الأخرى. في ملحق مطبوع للسياسة المتعارف عليها، أضاف هتلر شرط "einschliesslich Bücher"، "تتضمن الكتب".

كانت مجموعة كتب هتلر كبيرة لدرجة أنه عندما كتبت جانيت فلانر (Janet Flanner) لمحة عن الزعيم النازي لصحيفة نيويوركر (The New Yorker) في عام 1935، ذكرت أنه يمتلك "مكتبة رائعة" تقدر بستة آلاف مجلد. بعد بضع سنوات، قام فريدريك أكسنر (Frederick Oechsner)، مراسل شركة يونايتد برس إنترناشونال في برلين، بحساب مجموعة هتلر التي تضمنت 16,300 مجلد. في الآونة الأخيرة، درس اثنان من الباحثين، فيليب

جاسرت (Philipp Gassert) ودانيال ماتيرن (Daniel Mattern)، كتب هتلر المتبقية بالإضافة إلى المواد الأرشيفية، بما في ذلك قوائم الاقتناء الخاصة بمكتبة مستشارية الرايخ، ووصلوا إلى نفس العدد الذي قدره أكسنر.

بعد يناير 1933، أصبح التدفق المستمر للكتب التي تدخل مكتبة هتلر أشبه بالطوفان. من بين كتب هتلر، وجدت العديد من مذكرات المحاربين القدامى، الذين أرسلوا، مثل أدولف ماير، روايات شخصية لهتلر عن خدمتهم، وعشرات المجلدات من قبل المسؤولين النازيين المحليين، ومئات أخرى من قبل المعجبين البعيدين الذين وصفوا هتلر بأنه "المسيح" و"المنقذ". كما وردت تقارير عن أنشطة رسمية متنوعة. أرسل رئيس جمعية محلية لمقابر قتلى الحرب إلى هتلر ألبوماً يحتوي على صور فوتوغرافية مكتوب عليها "إلى الجندي السابق في خط المواجهة، مؤسس الوحدة الألمانية ومعبد الطريق إلى صعود جديد من عار عميق". قدم رئيس مكتب صحة الرايخ تقريراً لهتلر عن اتفاقية طبية لعام 1938 مع إهداء مكتوب بخط اليد "من خلال صحة شعبنا نكافح نحن الأطباء من أجل توفير أداء عال في الثقافة والاقتصاد وبالتالي من أجل القوة السياسية للأمة". أرسل عضو محلي في الحزب النازي من لايبزيغ إلى هتلر نسخة من تقريره المعنون توصية لتحسين وتوحيد إجراءات المحاسبة لمصانع السيجار، أيضاً طريق إلى الأساليب الاقتصادية الاشتراكية القومية. في تكثيف لقاعدة 10 في المائة لـ بنجامين، يمكن للمرء أن يفترض أن هتلر لم ير قط، ناهيك عن قراءته، جزءاً كبيراً من هذه الكتب.

أما الكتب التي تلقاها هتلر من أتباعه فهي أمر مختلف. نجد هنا مجلدات وإهداءات تحافظ على طبيعة الديناميكيات الشخصية بين هتلر وبعض أقرب رفاقه. في الذكرى الرابعة لانقلاب ميونيخ عام 1927، قدم هيرمن غورينغ (Hermann Göring)، نائب هتلر المنغمس في ذاته، نسخة من سيرة ذاتية شخصية موجزة، غورينغ، بماذا كنت تفكر! اسكتش من حياة، ونقشه بعبارة

"الولاء والاحترام". أعطى قائد قوات الأمن الخاصة هاينريش هيملر (Heinrich Himmler) لهتلر مجلدين مملوءين بالأيديولوجيا، أصوات أسلافنا في عام 1934، والموت والخلود في العالم من منظور المفكرين الهندو جرمانيين في عام 1938. في هذا الكتاب الأخير، وهو هدية عيد الميلاد، يستخدم هيملر كتاب الإغلاق الوثني Julfest،[31] لتجنّب الارتباطات المسيحية بموسم الأعياد.

بمناسبة عيد ميلاد هتلر الرابع والأربعين، قدم بلدور وهنرييت فون شيراك (Baldur and Henriette von Schirach) لهتلر تاريخاً أثرياً عن مجلدين عن مدينة براوناو، المدينة النمساوية التي ولد فيها هتلر. يقول النقش "احتفالاً بقائدنا العزيز. عائلة شيراك، أبريل 1933". تحافظ الطبيعة الشخصية لتاريخ براوناو والألفة الواثقة للإهداء على العلاقة الخاصة بين هتلر وآل شيراك. كما يشير أيضاً إلى هشاشة مثل هذه العلاقات. دخل زعيم الشباب النازي الدائرة المقربة من زملاء هتلر عندما تزوج هنرييت هوفمان، ابنة المصور الشخصي لهتلر. استضاف هتلر، الذي كان يعرف هنرييت منذ أن كانت في التاسعة من عمرها وكان يصفها بـ "شمس حياتي"، حفل زفافهما في شقته في ساحة برينس ريجنت.

خلال الحرب، استخدمت هنرييت تجمعاً في وقت متأخر من الليل

31 مهرجان تحتفل به تاريخياً الشعوب الجرمانية. ربط العلماء الاحتفالات الأصلية له بـ أسطورة الصيد البري [هي أسطورة شعبية قديمة سائدة في شمال وغرب ووسط أوروبا، وهي مجموعة طيفية وهمية من الصيادين يمتطون الأحصنة ويستخدمون كلاب الصيد في مطاردة أهدافهم عبر السماء أو على الأرض. الصيادون من الممكن أن يكونوا موتى أو جن [في كثير من الأحيان في الفولكلور يكون لهم اتصال مع الموتى]. من الممكن أن يكون الصياد روح ضائعة غير معروفة أو قد يكون شخصية تاريخية أو أسطورية مثل ثيودوريك العظيم أو فلاديمير الرابع ملك الدنمارك] والإله أودين [كبير الآلهة في الميثولوجيا النوردية، وزعيم آلهة الأسر. يُدعى بأبي الآلهة ويشتق اسمه من كلمة تعني الحماسة، الغضب، والشعر] وليلة الأمهات (Mōdraniht) الوثنية الأنجلو-ساكسونية.

في البرغهوف التعبير عن حزنها بعد أن شاهدت المعاملة الوحشية للنساء اليهوديات في أمستردام. "لا أصدق أنك تعرف بالأمر!"، قالت لهتلر. "تم جمع النساء العاجزات واقتيادهن سوياً ليتم إرسالهن إلى معسكر اعتقال وأعتقد أنهن لن يعدن أبداً". تجمد وجه هتلر. وقف على قدميه بصمت. ثم صرخ، "أنت عاطفية سيدة فون شيراك! عليك تعلم الكره. ما علاقة النساء اليهوديات في هولندا بك؟" هربت هنرييت من الغرفة ونُصحت بمغادرة البرغهوف على الفور. لم تر هتلر مرة أخرى.

من بين المجلدات الأكثر كشفاً التي أهداها المقربون من هتلر هي تلك التي تحتوي على نقوش من المخرجة السينمائية ليني ريفنستال (Leni Riefenstahl)، التي أخرجت فيلم عام 1934 تكريماً للحزب النازي، انتصار الإرادة / *Triumph of the Will*، والملحمة المكونة من جزأين، أولمبيا، الفيلم الوثائقي التاريخي لدورة الألعاب الأولمبية في برلين عام 1936. أعطت ريفنستال هتلر كتابين كبيرين مع صورتين بالأبيض والأسود من أولمبيا، أحدهما لعيد الميلاد عام 1936 والآخر لعيد الميلاد عام 1937. المجلد الأخير رائع بشكل خاص.

يسلط "الجمال في الألعاب الأولمبية"، المغلّف بالكتان الأحمر، الضوء على أكثر اللحظات دراماتيكية في الألعاب الصيفية - هانس وولك (Hans Woellke) مغمض العينين بينما يستعد ليقذف الطلقة التي كان من المفترض أن تمنحه ميدالية ذهبية أولمبية؛ جيزيلا مورماير (Gisela Mauermeyer) تلقي برأسها في نشوة وانتصار بينما يحلق القرص الطائر؛ الحائز على الميدالية الذهبية الوسيم اللافت للنظر غلين موريس (Glenn Morris) - الذي اتخذته ريفنستال لفترة وجيزة عاشقاً - يمسك برمحه في السباق العشري؛ جيس أوينز (Jesse Owens) بوضعية الاستعداد للعدو، وأطراف أصابعه مثبتة بقوة على الأرض، وعيناه مثبتتان باهتمام إلى الأمام. يقول الوصف التوضيحي لهذه

الصورة الأخيرة "أسرع رجل في العالم".

هناك أيضاً لقطتان مقرّبتان لهتلر - إحداهما تصوره وذراعه ممدودة في تحية نازية، والأخرى تصوره في نظرة تأمل - وأكثر من اثنتي عشرة صورة لـ ريفنستال المشهورة بنرجسيتها "في العمل"، تدرس الملعب الأولمبي، تتشاور مع فريق أفلامها ومدير التصوير، يجلسون في غرفة القطع وسط أميال من الأشرطة السينمائية غير المحررة. المجلد مُهدىً "إلى قائدي مع الامتنان والولاء"، كما هو الحال مع الكتاب الأولمبي الآخر، أولمبيا، الذي يعرض سبعة وستين صورة ثابتة من اللقطات ويعبر عن "ولاء لا ينضب" و"امتنان عميق".

كان امتنان ريفنستال مستحقاً بشكل خاص. لم يكتفِ هتلر بمنح المخرجة البالغة من العمر أربعة وثلاثين عاماً مجالاً حصرياً وموارد غير محدودة على ما يبدو لتصوير الألعاب الأولمبية في صيف عام 1936، ولكنه أيضاً أنقذها شخصياً من الخراب المالي في ذلك الخريف. على الرغم من الميزانية غير المسبوقة البالغة 1.5 مليون مارك، كانت ريفنستال على وشك الإفلاس بحلول نوفمبر. عندما رفض أحد البنوك دفع 500,000 مارك إضافية لها، لجأت ريفنستال إلى وزير الدعاية النازي. "جاءتني السيدة ريفنستال في حالة هستيرية"، كتب جوزيف غوبلز في مذكراته. "من المستحيل العمل مع هؤلاء النساء المتوحشات. الآن تريد نصف مليون أخرى لفيلمها و[تريد] أن تصنع فيلمين منه. على الرغم من حقيقة أن رائحة حسابها تعانق السماء العالية. ما زلت باردة القلب. تبكي. هذا هو السلاح النهائي للمرأة. لكن هذا الأسلوب لم يعد ينفع". لكن هذا الأسلوب كان ذا نفع مع هتلر. عندما تجنبت ريفنستال غوبلز واستأنفت قضيتها أمام هتلر، تمت الموافقة على القرض. يعتبر الكتابان الأولمبيان شاهدين على تقديرها بالإضافة إلى دهائها.

مجلد ثالث من اللقطات السينمائية، أُهدي إلى هتلر مع "الولاء والاحترام" بمناسبة عيد ميلاده في أبريل 1944، مؤكداً على امتنان ريفنستال لمشروع

باهظ بنفس القدر ولكنه أكثر شراً، فيلم ريفنستال غير المكتمل الأراضي المنخفضة / *Tiefland*، والذي تضمن هذه المرة استخدام عمال عبيد بدلاً من الرياضيين الأولمبيين.

من المؤكد أن أكثر مساهمة ريفنستال قيمة لمكتبة هتلر كانت الطبعة الأولى من الأعمال المجمعة للفيلسوف الألماني يوهان جوتليب فيخته. نُشرت هذه المجموعة الرائعة المكونة من ثمانية مجلدات عام 1848، وهي مُجلدة برقٍ بلون الكريم مع أوراق ذهبية تحيط بالصفحات. يحمل كل كعبي نصف قوس مزين يدوياً باللون الباستيل الأحمر مع العنوان باللون الذهبي ونصف قوسٍ ثان، أسفله ببوصة واحدة، باللون الأخضر الباستيلي. يتم الإشارة إلى كل مجلد بالأرقام الرومانية. على الغلاف الداخلي للمجلد الأول، بخط أنيق متصل، تعبر ريفنستال عن "أعمق تقديس لها" لـ "فاندي الغالي". الإهداء مؤرخ في 20 يونيو 1933.

لقد حيرني، ليس فقط اختيار ريفنستال لفيلسوف من أواخر القرن التاسع عشر ولكن أيضاً تاريخ الإهداء، الذي لا يتوافق مع أي مناسبة واضحة مثل عيد ميلاد أو عطلة. عندما عثرت على مجلدات فيخته هذه في ربيع عام 2001، كانت ريفنستال على بعد عام واحد من عيد ميلادها المائة. لقد تواصلت معها قبل بضع سنوات، أثناء إجرائي بحثاً عن شركة Daimler-Benz، - كان هتلر قد أعطى ريفنستال سيارة رياضية من نوع Mercedes-Benz - والآن كتبت إليها مرة أخرى، سألتها عما إذا ما كانت تتذكر أي شيء عن مجموعة فيخته. تذكرت الظروف الدقيقة التي سجلتها بالتفصيل الممل في مذكراتها: أمسية جميلة في ربيع عام 1933 على شرفة مستشارية الرايخ في برلين.

قابلت ريفنستال هتلر في العام السابق عندما كانت منتشية بسبب نجاح فيلمها الضوء الأزرق / *The Blue Light*، الذي لعبت فيه دور حسناء قروية - عيناها مشحونتان بإيروتيكية صوفية - تمتلك قدرات متبصرة. عندما

رافقت ريفنستال صديقاً لسماع هتلر يتحدث، كانت مفتونة جداً لدرجة أنها كتبت له رسالة إعجاب. كان هتلر مفتوناً بنفس القدر. بعد أن رأى مؤخراً جمال العيون الداكنة في الضوء الأزرق، دعاها لحضور اجتماع في قرية هورمورسيل / Horumersiel الواقعة عند بحر الشمال. أمضى الاثنان عدة ساعات يمشيان معاً على طول الشاطئ الذي تجتاحه الرياح، وكانت حاشية هتلر تمشي خلفهم.

في الأشهر التي تلت ذلك، رأى هتلر وريفنستال بعضهما البعض بشكل متكرر، مما أدى إلى انتشار شائعات عن كونهما عاشقين. كان لدى هتلر قضايا أكثر إلحاحاً. تقلبت حظوظه السياسية بشكل كبير. لقد هُزم بشدة في محاولته للرئاسة في مارس، وشاهد حزبه يتصاعد في الانتخابات البرلمانية في يوليو فقط ليتآكل مرة أخرى في نوفمبر. في ذلك الخريف واجه النازيون خياراً صارخاً: اغتنام الفرصة واللجوء إلى التفاوض للوصول إلى السلطة من خلال التنازلات، أو البقاء في المعارضة والمخاطرة بالخراب السياسي والمالي.

عندما رفض هتلر التنازل، استقال غريغور شتراسر من الحزب وسط شائعات بأنه عُرض عليه منصب نائب المستشار. بالنسبة لهتلر، كانت الخيانة مريرة بشكل خاص. جنباً إلى جنب مع شقيقه أوتو، كان غريغور العقل المدبر لانتصارات الحركة النازية في شمال ألمانيا. حتى بعد مغادرة أوتو، ظل غريغور مخلصاً لهتلر، وفي الأيام القاتمة التي أعقبت الانتكاسة الانتخابية عام 1927، قام بإهداء كتاب له "بولاء مخلص". إنها نسخة مجلدة بشكل رائع من تكريم ألفريد روزنبرغ المكون من 374 صفحة للشخصيات البارزة في انقلاب بير هول عام 1923، صور ليوم الثلاثين من نوفمبر، مُهدى إلى هتلر في 18 نوفمبر 1927. الآن، بعد خمس سنوات من التزامه بالولاء على الورق، عقد شتراسر صفقة لنفسه.

"هؤلاء الخونة، هؤلاء الجبناء - وقبل النصر النهائي - هؤلاء الحمقى"

تتذكر ريفنستال قول هتلر بغضب في اليوم الذي قدم فيه شتراسر خطاب استقالته. "لمدة ثلاثة عشر عاماً، ناضلنا وحاربنا وقدمنا كل شيء - تغلبنا على أسوأ الأزمات، والآن قبل الهدف مباشرة تأتي هذه الخيانة!" استمعت ريفنستال بتعاطف، وقدمت كلمات المواساة، ثم غادرت لمدة ثلاثة أشهر إلى سويسرا، حيث كانت تلعب دور البطولة كطيارة متهورة في فيلم النجدة، جبل جليدي / *SOS Iceberg*، والذي يدور حول زوجة تخوض مغامرة في القطب الشمالي بحثاً عن زوجها المفقود.

في غضون شهرين، بعد سلسلة من الصفقات الخلفية، شغل هتلر منصب المستشار. في أواخر مايو 1933، بعد فترة وجيزة من عودة ريفنستال إلى برلين، تلقت مكالمة نيابة عن هتلر تدعوها لتناول الشاي بعد ظهر اليوم التالي. في يوم ربيعي لطيف تحت سماء زرقاء صافية، وصلت الممثلة الفاتنة، التي كانت ترتدي زياً أبيض أنيقاً مع ما يكفي من الماكياج "لتبدو طبيعية"، إلى مستشارية الرايخ في سيارتها الحمراء. تم اصطحابها إلى حديقة المستشارية، حيث وجدت هتلر على الشرفة الغارقة تحت أشعة الشمس بجانب طاولة معدة لشخصين.

وبينما كانا يحتسيان الشاي، تحدثا عن الانقلاب الدراماتيكي في حظوظ هتلر، وتذكرت ريفنستال أنها، مثل هنرييت فون شيراك، أعربت عن قلقها بشأن معاملة اليهود بعد عقد من الزمن. عندما ذكرت ريفنستال عدداً من الأصدقاء اليهود الذين واجهوا صعوبات في ظل النظام الجديد، رفع هتلر يده احتجاجاً. "سيدة ريفنستال، أنا أعلم رأيك الذي شاركته معي في هورميرزيل"، قال. "أنا أحترمك. لكنني أطلب منك ألّا تتحدثي معي عن موضوع لا يريحني. أنا أحترمك كثيراً كفنانة، لديك موهبة نادرة، ولا أريد التأثير عليك. لكن لا يمكنني إجراء مناقشة معك حول المشكلة اليهودية". على الرغم من توبيخ هتلر اللطيف، قالت ريفنستال إنها شعرت بالضعف.

حوّل هتلر الحديث بسرعة إلى موضوع الفيلم. تدّعي ريفنستال أن هتلر

عرض عليها منصب رئيس الإخراج الفني لصناعة السينما الألمانية. ريفنستال، التي شعرت بالإطراء، رفضت. كانت "فنانة" وليست "مديرة". في الحقيقة، لقد احتقرت غوبلز، وزير الدعاية، وفضلت البقاء بعيداً عن مملكته قدر الإمكان. ثم اقترح هتلر عليها إخراج فيلم عن هورست ويزيل (Horst Wessel)، جندي العاصفة الذي خُلد موته في شجار حانة في نشيد النازيين، "ارفعوا الراية!" (Die Fahne hoch!). "لا أستطيع. لا أستطيع"، تتذكر ريفنستال وهي تئن من اليأس.

تبع ذلك صمت كئيب. وقف هتلر على قدميه. قال باقتضاب "أنا آسف لأنني لا أستطيع ضمك إلى صفي من أجل أفلامي، لكنني أتمنى لك الكثير من التوفيق والنجاح". أشار للنادل. "الرجاء مرافقة السيدة ريفنستال إلى سيارتها".

غادرت ريفنستال مستشارية الرايخ في حالة من التوتر الشديد. عندما سردت الفشل الذريع لأرنولد فانك (Arnold Fanck)، وهو صديق مقرب أخرج الفيلم الذي مثلت فيه نشوة بيضاء / *White Ecstasy*، والذي قام بتحرير فيلم الضوء الأزرق، قدم اقتراحاً: أرسلي لهتلر "النسخة الأولى القيمة من أعمال فيخته الكاملة" والتي غلفتها أخته "بأناقة" بالجلد الأبيض، وقدمها فانك لـ ريفنستال قبل بضع سنوات عندما كان مفتوناً بها لأول مرة. "ماذا لو تخليت عنها، وكتبت بضعة أسطر وأعطيتها لهتلر كهدية؟"، قال فانك.* كان اقتراح فانك حكيماً من جهتين: فقد غذى طموحات هتلر المُحبّة للكتب، كما أثنى على ادعاءاته الفلسفية.

بالرغم من كل الحديث عن استغلال هتلر لمفاهيم فريدريك نيتشه عن

* ينصح ستيفن باخ، مؤلف سيرة ذاتية حديثة عن ليني ريفنستال، بالحذر فيما يتعلق بتفاصيل هذه الحادثة. يلاحظ باخ أن ريفنستال كانت راوية عُرف عنها تحريف الحقائق. ومع ذلك فإن مجلدات فيخته تضفي بعض المصداقية على أقوالها.

"العرق الرئيسي" أو فكرة آرثر شوبنهاور عن "إرادة السلطة" التي استخدمها هتلر لتصدر رالي الحزب عام 1934، واستخدمته ريفنستال عنواناً لتاريخها السينمائي لهذا الحدث، إلا أننا لا نمتلك سوى القليل من الأدلة الموثوقة على انخراط هتلر الشخصي في الفلسفة الجادة. معظم ما نعرفه ضعيف وفي أحسن الأحوال عرضي.

ادَّعى هانز فرانك المقرب من هتلر، أن هتلر أخبره أنه حمل العمل الأهم لشوبنهاور، العالم كإرادة وتمثيل، معه خلال الحرب العالمية الأولى، على الرغم من أنه من الصعب تخيل العريف الشاب الذي ترك بقعاً من الطين والشمع على صفحات برلين لأوزبورن ينقل، ناهيك عن قراءة، أعظم عمل لـ شوبنهاور في خنادق شمال فرنسا. يصبح هذا الادعاء أقل مصداقية عندما يلاحظ المرء أن هتلر، كما لوحظ سابقاً، لم يكن يعرف حتى كيفية تهجئة اسم الفيلسوف. في ملاحظات مكتوبة في خطاب ألقاه عام 1921، كتب هتلر "شوبناهور".

ومع ذلك، فإن شوبنهاور مُدرج ضمن مؤلفي الكتب التي استعارها هتلر من مكتبة كرون في المعهد الاشتراكي القومي بين عامي 1919 و1921، ويلمح له بشكل بسيط في كتاب كفاحي، عندما أشار هتلر إلى وصف شوبنهاور المعادي للسامية واصفاً اليهودي بأنه "سيد" الأكاذيب. يجد شوبنهاور طريقه أيضاً إلى خطابات هتلر، لكنه يجد نفسه عموماً في رفقة عشوائية.

في إحدى المناسبات، تحدث هتلر عن "كانط، وغوته، وشوبنهاور" في مناسبة أخرى "غوته، وشيلر، وشوبنهاور"، في مناسبة أخرى، زج شوبنهاور بين مجموعة من القوميين الألمان الآخرين في القرن التاسع عشر بمن فيهم ريتشارد فاغنر، وبول لاغارد، وفريدريك لودفيج جان، الرائد البروسي في الجمباز الحديث. تم عمل هذه المراجع بدون أي تأثير أو عمق فكري: فهي مجرد عبارات شائعة، ويمكن بسهولة انتزاعها من محادثة عابرة أو قراءة غير رسمية.

على الرغم من عدم وجود سبب للشك في أن هتلر كان يمتلك نسخاً من

أعمال شوبنهاور، إلا أنني وجدت مجلداً واحداً فقط من كتب شوبنهاور بين الكتب المتبقية لهتلر، وهو نسخة معاد طبعها عام 1931 لترجمة شوبنهاور لكتاب نبوءة اليد وفن الحكمة الدنيوية، لصوفي القرن السابع عشر بالتزار جراسيان (Balthasar Gracián). هذا الغلاف الرخيص المكون من 92 صفحة متواضع الحجم لدرجة أن فاصلة كتب هتلر تملأ الغلاف الداخلي بالكامل. الدليل الأكثر صلابة على مركزية شوبنهاور في حياة هتلر هو تمثال نصفي للفيلسوف ذي الشعر الوحشي الذي عرضه هتلر على طاولة مكتبه في البرغهوف.

إن ارتباطات هتلر مع نيتشه انتقائية ومشبوهة على حد سواء. نعلم أنه زار أرشيف نيتشه في فايمار، حيث استقبلته أخت نيتشه - وهي معادية صلبة للسامية - والتقط صورة بجانب تمثال نصفي لنيتشه، وحصل على عصا المشي للفيلسوف الميت. يشير جرد مكتبة مستشارية الرايخ إلى أن هتلر كان يمتلك الطبعة الأولى من أعمال نيتشه المجمّعة، وهي مجموعة من ثمانية مجلدات نُشرت بين عامي 1903 و1909، لكن مجلد نيتشه الوحيد المتبقي هو كتاب مأخوذ من ملجأ هتلر في برلين، إرث نيتشه السياسي، حرره إيتلفريتز شينير (Eitelfritz Scheiner). إنه كتاب نحيف ذو غلاف صلب مع اقتباس من نيتشه كتبه المحرر على الغلاف الداخلي بتاريخ 15 ديسمبر 1933: "هم الذين خلقوا الأعراق وعلقوها بإيمان وحب: هم من كانوا في خدمة الحياة".

المصادر الأخرى التي تشهد على اهتمام هتلر بشوبنهاور ونيتشه معروفة بأنها غير موثوقة. ادَّعى إرنست هانفستاينغل أن شوبنهاور كان "الإله الفلسفي لهتلر في أيام ديتريش إيكهارت القديمة" - ينسب إيكهارت العديد من ملاحظات شوبنهاور إلى هتلر في "محادثته" - ولكن بعد الاجتماع مع أخت نيتشه، تبدل هتلر. "منذ ذلك اليوم في بوتسدام، بدأت عبارات نيتشه في الظهور بشكل متكرر - إرادة القوة، أخلاق العبيد، النضال من أجل

الحياة البطولية، ضد التعليم الرجعي، الفلسفة المسيحية والأخلاق القائمة على الرحمة"، يتذكر هانفستاينغل ذلك بثقة بالرغم من أنه أخطأ في تحديد اللقاء في بوتسدام بدلاً من فايمار. "شوبنهاور، بلطفه البوذي تقريباً، دُفن إلى الأبد، وبدأ آل غوليتر في شحذ إلهامهم من محاكاة ساخرة لنيتشه".

توفر ريفنستال رواية حية ولكنها متناقضة بنفس القدر. تتذكر ريفنستال أن هتلر قال لها في شقته المليئة بالكتب في ساحة برينس ريجنت: "لدي الكثير لأنجزه. لم يكن لدي في شبابي الوسائل أو الإمكانية لتزويد نفسي بالتعليم المناسب. كل ليلة أقرأ كتاباً أو كتابين، حتى عندما أنام في وقت متأخر". قال إن هذه القراءات كانت مصدر معرفته الأساسي، والخلاصة التي استمد منها خطاباته العامة. قال: "عندما" يعطي "شخص ما، عليه أن "يأخذ" وأنا آخذ ما أحتاجه من الكتب". عندما سألت ريفنستال هتلر عن تفضيلاته في القراءة، أجاب على ما يبدو، "شوبنهاور".

"ليس نيتشه؟" سألت ريفنستال.

"لا، لا". تتذكر ريفنستال أن هتلر أخبرها. "إنه فنان أكثر منه فيلسوف. ليس لديه فهم واضح تماماً لشوبنهاور. بالطبع، أنا أقدر نيتشه باعتباره عبقرياً. ربما يكتب أجمل لغة يقدمها لنا الأدب الألماني اليوم، لكنه ليس دليلي".

على الرغم من عدم ذكره، كان يوهان جوتليب فيخته في الواقع الفيلسوف الأقرب إلى هتلر وحركته الاشتراكية القومية من حيث اللهجة والروح والديناميكية. على عكس شوبنهاور، الرجل المثقل بالكتب، أو نيتشه الضعيف طريح الفراش، كان فيخته جريئاً ومتحدياً. في عام 1808، مع حامية القوات الفرنسية في برلين، دعا فيخته الألمان بتحدٍ إلى النهوض ضد الاضطهاد الأجنبي في كتابه خطبٌ للأمة الألمانية. عشية المعركة الحاسمة ضد نابليون في لايبزيغ، ظهر فيخته أمام طلابه المسلحين للمعركة. قيل إنه متحدث ساحر أسر جمهوره بكلماته. "للعمل! للعمل! للعمل!" أعلن ذات مرة. "هذا سبب وجودنا هنا".

مثل فيخته، دعا هتلر إلى "الإطاحة بالنخبة السياسية" من خلال انتفاضة شعبوية. تحدث فيخته عن Volkskrieg، حرب شعبية. مثل فيخته، أراد هتلر أن يرى الأمة الألمانية المنقسمة موحدة. عندما ندد هتلر بالحوار السياسي للديمقراطية البرلمانية ودعا إلى حوار مباشر مع الشعب الألماني، اتخذ موقفاً خطابياً واضحاً على نمط فيخته ودعا إلى إلقاء "خطابات للأمة الألمانية".

نتيجة لذلك، ساعد فيخته في ريادة فكرة الاستثنائية الألمانية. وزعم أن الألمان كانوا فريدين بين شعوب أوروبا. لغتهم لم تكن متجذرة في اللاتينية بل في لغة توتونية مميزة. لم يتحدث الألمان بشكل مختلف عن الأوروبيين الآخرين فحسب، بل كانوا يفكرون ويؤمنون ويتصرفون بشكل مختلف. جادل فيخته بأن اللغة الألمانية النقية، الخالية من فساد التأثيرات الفرنسية والأجنبية الأخرى، يمكن أن تعبر عن الفكر الألماني الخالص. ترتكز الجهود النازية لتطهير اللغة الألمانية من العناصر الأجنبية على هذا المبدأ الفيختي، الذي أوضحه هتلر عندما فكر في مفهوم كلمة القائد / Führer. "إن لقب الفوهرر هو بالتأكيد الأجمل، لأنه نشأ من لغتنا الخاصة"، كما لاحظ، ومضى ليقول بارتياح إن أعضاء الأمة الألمانية فقط هم الذين يمكنهم التحدث عن "قائدي".

كان فيخته أيضاً معادياً للسامية بشكل قاطع. كان يعتقد أن اليهود سيبقون دائماً "دولة داخل دولة" وبالتالي يشكلون تهديداً للأمة الألمانية الموحدة. واقترح تخليص أوروبا من وجودهم بإقامة دولة يهودية في فلسطين. حله الآخر: "قطع كل رؤوسهم في ليلة واحدة، ووضع رؤوس جديدة على أكتافهم، لا تحتوي على فكرة يهودية واحدة".

من بين جميع النجوم الفلسفية في كوكبة الأيديولوجية النازية، اشتعلت النيران بشدة خلال فترة الرايخ الثالث أو تلاشت بسرعة بعد هذا المدافع عن القومية الألمانية العدائية من أواخر القرن الثامن عشر. ربما أقرض شوبنهاور

ونيتشه نفسيهما بشكل ملائم لخطب الحقبة النازية، لكن فيخته هو الذي قدم الأسس الفلسفية للمزيج السام من التفرد التوتوني والقومية الشريرة. حدد ديتريش إيكهارت بنفسه فيخته وشوبنهاور ونيتشه على أنهم الثلاثي الفلسفي للاشتراكية القومية. أقر أرنولد فانك بهذه الحقيقة عندما أوصى ريفنستال بإهداء أعمال فيخته باعتبارها عرض سلام لهتلر.

اليوم، تمثل مجلدات فيخته الأعمال الجادة الوحيدة للفلسفة من بين كتب هتلر الباقية. على الرغم من وجود أكثر من مائة صفحة من الهوامش في مجلدات فيخته، إلا أن التدقيق المتفحص في العديد من الاقتحامات، وخاصة الكلمات "schr gut" المكتوبة في هامش الصفحة 594 من المجلد الرابع، يشير إلى وجود قارئ آخر غير هتلر. بالإضافة إلى ذلك، فإن المجلد الذي يحتمل أن يكون أكثر كشفاً، والذي يحتوي على فصول فيخته خطب إلى الأمة الألمانية بالإضافة إلى مقال عن التقنية البلاغية، مفقود.

على الرغم من عدم وجود هذه الأعمال الأساسية للفلسفة الألمانية، فإن مكتبة هتلر المتبقية تحتوي على مخبأ من الكتب يكاد يكون من المؤكد أنه أكثر مركزية في تشكيل الجوهر المظلم لنظرة هتلر للعالم من تأملات شوبنهاور وفيخته ونيتشه السامية: أكثر من خمسين مجلداً أهديت إلى هتلر بين عامي 1919 و1935 من قبل يوليوس فريدريش ليمان (Julius Friedrich Lehmann)، وهو فرد لديه ادّعاء مزدوج مشكوك فيه أنه المساهم الوحيد الأكثر سخاء في مجموعة الكتب الخاصة بهتلر والمهندس العام للعلم النازي الزائف للعنصرية البيولوجية.

إجمالاً، تحافظ كتب ليمان الخمسين، التي نشرتها جميعاً مطبعته التي تحمل اسمه، JF Lehmann Verlag، باستثناء كتاب واحد، على الإرث الاشتراكي القومي في النطاق الكامل من الفروق الدقيقة والكذب، وهي خلاصة وافية حقيقية للانتشار الأخلاقي والتجاوزات الاجتماعية والسياسية

والقانونية والاقتصادية والتاريخية العبثية التي أصبحنا نربطها بالعهد النازي.
لقد وجدتُ أيضاً أطروحة عام 1930، مهمة المحامي، مهداة إلى هتلر على أنها
"مساهمة في استعادة القانون الألماني"، وكتاب عن ديمقراطية فايمار بعنوان
العدالة مقيّدة، واقتراح بشأن التأمين الصحي حمل العنوان الفرعي "تحول
لعنةٍ إلى خلاص للشعب".

في إهداءاته المكتوبة بخط اليد لهتلر، أشار ليمان مراراً وتكراراً إلى هذه
الكتب على أنها "لبِنَات بناء" للحركة النازية، وفي بعض الحالات، باعتبارها
كتابات تمهيدية تعليمية لهتلر نفسه. في المجلد الأول من دراسة ضخمة من
جزأين، تعاليم الوراثة البشرية والصحة العرقية، كتب ليمان، "إلى السيد
أدولف هتلر، باعتباره لبِنَة مهمة لتعميق فهمه. مع المحبة، جاي إف ليمان".
دليل الطبيب أوتو كانكيليت (Otto Kankeleit) عام 1929 عن التعقيم،
إنهاء القدرة الإنجابية لأسباب تتعلق بالصحة والعنصرية والاجتماعية، والذي
يتضمن سبعة رسوم إيضاحية مفصلة بشكل مروّع، أهدي إلى هتلر "تعبيراً
عن صداقة عظيمة".

مثل ديتريش إيكهارت، كان ليمان من أوائل المؤيدين لقضايا اليمين واعترف
بإمكانات هتلر الوليدة. كان أول كتاب قدمه ليمان لهتلر هو طبعة 1919
من التاريخ الألماني لأينهاردت، والتي ذكر إرنست هانفستاينغل رؤيتها بين
مجموعة هتلر المبكرة، والتي تحمل إهداء "للسيد هتلر، بمثابة شكر لعمله
في تنوير الشعب الألماني". خلال الانقلاب العسكري عام 1923، تم استخدام
فيلا ليمان في ميونيخ لاحتجاز الحكومة البافارية الرهينة. في الغالب، على
الرغم من ذلك، يبدو أن ليمان قد زود هتلر بنسخ مهداة من منشوراته، كتاباً
بكتاب، عاماً بعد عام، لما يقرب من عقد ونصف، وبذلك ملأ تدريجياً خزائن
الكتب في شقة هتلر في شارع تيرتش، وفي النهاية زينت رفوف منزله في ساحة
برينس ريجينت. لقد وجدتُ ترجمة لكتاب ماديسون غرانت (Madison

Grant) الكلاسيكي العنصري لعام 1916، عبور العرق العظيم أو الأساس العنصري للتاريخ الأوروبي، نسخة هتلر طبعة رابعة نشرت عام 1925، وقعه ليمان بكلمات "مع المودة".

إلى جانب كتاب غرانت، فإن أكثر الكتب شهرة هي تلك التي كتبها هانز إف ك. غونثر (Hans F. K. Günther)، الذي أدرج هتلر أعماله ضمن قراءاته الموصى بها لأعضاء الحزب النازي. أنتج الباحث الأدبي السابق الذي تحول إلى عالم أنثروبولوجيا اجتماعية، سلسلة من الدراسات سيئة السمعة حول التصنيف العرقي، التي حددت حقاً الانضباط النازي للأنثروبولوجيا العرقية ووضعت الأساس لقوانينها العنصرية وبرامج تحسين النسل. اكتسب غونثر بسبب جهوده لقب غونثر العنصري (Rassengünther)، بالإضافة إلى الحضور الشخصي لأدولف هتلر في حفل تعيينه أستاذاً في جامعة يينا.

أربعة من مجلدات غونثر الستة لهتلر هي نسخ من التصنيف العنصري للشعب الألماني، وهو مجلد كثيف من خمسمائة صفحة يقدم خلاصة وافية للهوية الآرية. أهدى ليمان المجلد الأول، وهو الإصدار الثالث الذي نشر في عام 1923، وكتب "البطل الناجح للفكر العنصري الألماني". وتلاه إصدار عام 1928 تم إرساله باعتباره "تحية عيد الميلاد". ومن ثم الطبعة الرابعة عشرة في عام 1930، ونسخة من الطبعة السادسة عشرة في عام 1933 مع نقش مكتوب بخط اليد يشيد بهتلر باعتباره "رائد الفكر العنصري".

يُظهر هذا المجلد الأخير، المُغلف بكتان رمادي بسيط مع طباعة اسم المؤلف والعنوان بخط ألماني قديم على الغلاف مرفق مع ملحق موسع لليهود الأوروبيين، علامات على الدراسة المتكررة أو المستمرة. يُفتح الغلاف دون عناء ليكشف عن صفحات مهترئة وتمزق في الغلاف الداخلي حيث بدأ الكعب بالتفسخ.

بسبب مخبأ ليمان للكتب، أصبحنا نمتلك مجموعة أساسية داخل مكتبة

هتلر ولبِنَات البناء الأساسية ليس فقط لعالم هتلر الفكري، ولكن للأسس الأيديولوجية للرايخ الثالث.

في منشورات ليمان، وجد هتلر على وجه الخصوص المادة التجريبية المزعومة التي فاتته في الكتيبات العنصرية خلال سنواته في فيينا. بصفته ناشراً رائداً للكتب والكتيبات الطبية المعروفة بجودة الرسوم التوضيحية ودقتها، قدمت دار ليمان أوراق اعتماد علمية جادة لصالح العلوم الزائفة في العنصرية البيولوجية. حتى عندما زود ليمان المجتمع الطبي بكتيبات وأعمال مرجعية لا غنى عنها، كان يعمل كمزود رئيسٍ للعنصرية البيولوجية. يُقال إن دار ليمان قد أسست بشكل فردي تقريباً نظام العلوم العرقية في جمهورية فايمار. لمساهمته في دفع القضية النازية، كرم هتلر ليمان بدبوس الذهب، أحد أعلى المكرُمات في ألمانيا النازية.

أثناء بحثي في هذه المجلدات المتينة والغنية بالرسوم التوضيحية - طُبع العديد منها على ورق عالي الجودة احتفظ بمرونته وحيويته - حسبتُ أن مجموعة هتلر من ليمان ضاعفت بسهولة حاصل قراءة بنجامين بنسبة 10 في المائة. العديد من الكتب كانت بالية، حيث تم ثني الصفحات وطي الكعب جيداً، لذا فتحت على مهل، في كثير من الأحيان، على الصفحات التي تحتوي على رسوم توضيحية. مجلد واحد، وهو إعادة طبع لمجموعة بول لاغارد في أواخر القرن التاسع عشر للكتابات القومية والمعادية للسامية، يحمل ما يقرب من مائة صفحة من الهوامش المكتوبة بقلم الرصاص: خطوط سفلية، خربشات عمودية، وعلامات استفهام عرضية.

تنتمي مقالات ألمانية لـ لاغارد إلى حفنة من الأعمال "الكلاسيكية" للقومية الألمانية التي وجدت طريقها إلى مجموعة هتلر: عدة أعمال لهيوستن ستيوارت تشامبرلين، بما في ذلك عمل بعنوان ريتشارد فاغنر: الألماني كفنان، مفكر، سياسي؛ إعادة طبع لكتاب يوليوس لانغبين رامبرانت بصفته معلماً، وهو

انتحال محرج لمقال نيتشه عن شوبنهاور؛ وأبرز ما في المجموعة هو الرايخ الثالث لـ آرثر مولر فون دن بروك (Moeller von den Bruck)، الذي أعطى عنوانه الشعار الرمزي للحركة النازية.*

يبدو أن ليمان قد أعطى هتلر نسختين من كتاب مقالات ألمانية كل منهما بإهداء مختلف قليلاً. الأول: "لنبي الرايخ الثالث، لخالقه"، والثاني "من نبي الشعب الألماني القديم إلى خليفته". درس العالم الهنغاري أمبروس ميسكولزي (Ambrus Miskolczy) هوامش هتلر وتكهن بأن المجلد الثاني ربما كان مخصصاً لألفريد روزنبرغ وتم دمجه عن طريق الخطأ في مجموعة هتلر بعد الحرب، لكنه استنتج في النهاية أن كلا المجلدين كانا مخصصين لهتلر. يلاحظ ميسكولزي أن ليمان كان يمتلك "براعة" أكثر من "رفع" روزنبرغ فوق هتلر كنبي للرايخ الثالث. ويشير أيضاً إلى أن اختيار مقاطع معينة بالإضافة إلى "خطوط القلم الدقيقة المميزة" تشير إلى أن هتلر هو من كتب الهوامش.

على وجه الخصوص، يلاحظ ميسكولزي تسليط الضوء على مقطع يتوافق مع آراء هتلر المحددة للغاية حول نظرية الثورة والدولة. يلاحظ كذلك أنه في الصفحة 44 كتب لاغارد، "يجب التعبير عن كل قوة ألمانيا في تصرفات الدولة، والدولة التي يجب أن تكون خادمة للأمة فقط، يجب أن تصبح سيد بدائل الأمة". ويبدو من تتبع قلم رصاص هتلر توافق واضح. في الصفحة السابقة، توجد علامة استفهام بجانب مقطع حول إنشاء دين واحد لألمانيا يقود ميسكولزي إلى استنتاج مفاده أنه "سيكون من المتوقع من هتلر" أن يتحدى مثل هذا الاقتراح لأنه ظل متردداً أو على الأقل غير ملتزم بالمسائل الروحية، بينما دافع روزنبرغ بقوة عن اندماج الدولة والدين. كما يلاحظ

* التقى مولر فون دن بروك بهتلر في عام 1922 لكنه رفض "بدائيته البروليتارية". ومع ذلك، فإن الحركة النازية لم تتردد في استخدام أفكار مختارة من نظريات فون دن بروك وأشهرها سرقة عنوان كتابه لحركتها. عانى فون دن بروك من انهيار عصبي وانتحر في مايو 1925.

ميسكولزي أن تسليط الضوء على المقاطع المتعلقة بقائد قوي الإرادة، يشير أيضاً إلى خط يد هتلر.

في الصفحة 72 من كتاب لاغارد، على سبيل المثال، يوجد سطر بجانب مقطع يناقش الشعور بالغربة الذي يعاني منه "الرجال العظماء" الذين يشكلون مصير مجتمعاتهم، وهو شعور تردد صداه في المقاطع المميزة في كتب هتلر التي وجدتُها في جامعة براون.* يبدو أن طبيعة هذه الملاحظات تدعم أطروحة ميسكولزي، كما تفعل نظرية هتلر في القراءة وهو أمرٌ مفصل في كفاحي. يقارن عملية القراءة بجمع "الأحجار" لملء "فسيفساء" من المفاهيم المسبقة. يقوم بدراسة جدول المحتويات أو حتى فهرس الكتاب، ثم يقوم بجمع فصول مختارة للحصول على معلومات "قابلة للاستخدام". في بعض الأحيان، يقرأ الخاتمة أولاً، لتحديد ما يجب البحث عنه مسبقاً. ويوصي بأن يقوم القارئ بصقل مهارة التمييز "الفوري" للمعلومات التي تكون مفيدة لاحتياجاته الشخصية أو لمعرفته العامة.

"بمجرد أن يتم تنسيق المعرفة التي حققها بهذا الأسلوب بشكل صحيح، وضمن الصورة الموجودة بطريقة ما لهَذا الموضوع أو ذاك، والذي تم إنشاؤه بواسطة خياله، فسوف يعمل إما كمصلح أو مكمل، وبالتالي يعزز إما صحة الصورة أو وضوحها"، كتب هتلر. "ثم، إذا طرحت الحياة فجأة بعض الأسئلة أمامنا لفحصها أو إجابتها، فإن الذاكرة، إذا لوحظت طريقة القراءة هذه، ستأخذ على الفور الصورة الموجودة كقاعدة، وستستمد منها جميع العناصر الفردية المتعلقة بهذه الأسئلة، وتتجمع على مدى عقود، وتُعرض على الذهن لفحصها وإعادة النظر فيها، حتى يتم توضيح السؤال أو الإجابة عليه".

من خلال هذه التقنية، كان هتلر قادراً على تخصيص كميات هائلة من

* الكتابان هما حكمة السعادة لكارل لودفيج شلايش، الذي نُشر عام 1924، وكتاب إرنست شيرتيل: التاريخ والنظرية والممارسة، الذي نُشر عام 1923.

المعلومات في الذاكرة مع استدعاء فوري تقريباً لمجموعة لا نهاية لها من الموضوعات، من إنتاج الدبابات إلى الأعمال الدرامية. في إحدى الأمسيات بعد الاستماع إلى هتلر يقارن صفات كل من أعمال فريدريش شيلر وجورج برنارد شو، عاد غوبلز إلى المنزل وكتب في مذكراته، "الرجل عبقري!"

كما قال هتلر لـ ريفنستال، كان يقرأ ليلاً، وهي العادة التي يبدو أنها تعود إلى سنواته الأولى في لينز وفيينا، حيث لاحظ أوغست كوبيزك (August Kubizek) شغفه الشديد بالكتب. "الكتب، دائماً المزيد من الكتب!"، يتذكر كوبيزك "لا أستطيع أن أتذكر أدولف أبداً بدون كتب... الكتب كانت عالمه". يتذكر أحد مساعدي هتلر الأوائل، رودولف هوسلر (Rudolf Häusler)، الذي كان يعيش مع هتلر في فيينا ولاحقاً في ميونيخ، يتذكر زميله في الغرفة وهو يقرأ المجلدات الكثيفة حتى الثانية أو الثالثة صباحاً. وفقاً لـ كوبيزك، لا علاقة لهذا الشغف بالكتب بالترفيه أو المتعة. لقد كانت "عملاً جاداً للغاية".

من محادثاتي الخاصة مع شركاء هتلر الباقين على قيد الحياة، يبدو أن عادة القراءة الليلية لهتلر كانت لا تزال قائمة بعد عقود. سردت مارجريت ميتلستراسر (Margarete Mitlstrasser)، إحدى مدبرات منزل هتلر منذ فترة طويلة، نظاماً ليلياً اشتمل على نظارات القراءة وكتاباً وإبريقاً من الشاي. قرأ هتلر بشكل مكثف، حتى بشراسة. تذكر مدير العقارات في البرغهوف، هربرت دورينغ (Herbert Döring)، إحدى الأمسيات عندما اقتحمت إيفا براون إحدى جلسات القراءة في وقت متأخر من الليل وانفجر غاضباً فخرجت إلى البهو بوجه أحمر ورأس مطأطئ. توخى دورينغ نفسه الحذر الشديد. كل ليلة قبل إغلاق البرغهوف، كان يمشي في الخارج منتظراً انطفاء الضوء في غرفة هتلر. في أكثر من مناسبة، كان الفجر يلوح في الأفق. تذكرت آني بلايم (Anni Plaim)، الخادمة في البرغهوف، لافتة خارج مكتب هتلر في الطابق الثاني تقول: **صمت مطلق**.

في صيف عام 2001، عندما تحدثت مع تراودل يونج (Traudl Junge)، آخر سكرتيرة حيّة لدى هتلر، كانت تتسلى بوجبات الإفطار الصباحية عندما يعيد هتلر قراءته في الليلة السابقة بتفاصيل مكثفة ومملة في كثير من الأحيان، وهي العادة التي لاحظتها كريستا شرودر (Christa Schröder) بعمق، وهي واحدة من سكرتيرات هتلر كذلك، عندما أوضحت في مذكراتها أنه سيناقش "موضوعاً قرأ عنه مرات عديدة من أجل ترسيخه بشكل دائم في ذهنه". لاحظت شرودر الطبيعة "المجزأة" لعقل هتلر، والتي سمحت له بتذكر مقاطع كاملة من الكتب.

احتُفظ بالتماثل المقابل لعملية التقسيم هذه بين كتب هتلر في طبعة فاخرة مكونة من عشرين مجلداً ومغلفة بالجلد لموسوعة ***Great Brockhaus***، وهي عبارة عن مجموعة ضخمة من الحقائق والمعلومات المصممة ليتم استرجاعها بأقصى قدر من الكفاءة والفعالية، وهي المورد النهائي لـ الرجل المثقف ذاتياً، وفق كل الحكايات، والمصدر المفضل للمرجعية والتحقق لهتلر.

تذكر كريستا شرودر كيف كان هتلر يناقش طول النهر أو حجم المدينة ثم يلجأ إلى موسوعته. تتذكر شرودر أن "هتلر، الذي كان شديد الإصرار في كل شيء، كان يبحث عن ذلك في موسوعتين من أجل أن يكون على يقين تام". روت يونج عملية مماثلة، مستذكرة نقاشاً مسائياً حول الطول الدقيق لنابليون بونابرت، عندما غادر هتلر الغرفة وعاد بالمعلومة من موسوعته. تحدث كل من يونج وشرودر عن تفضيل هتلر لموسوعة ماير، والتي تظهر مجموعة منها في صورة خزانة كتب البرغهوف، ولكن مع وجود موسوعة بروكهاوس الكبرى، في طبعة نُشرت بين عامي 1928 و1934، مع مجلد إضافي من عام 1935، وبطاقة تحمل اسم هتلر ملصقة على الغلاف الداخلي لعدة مجلدات، تحافظ بشكل ملموس على الهياكل المادية الأقرب لتعكس الأبعاد الداخلية لعالم هتلر الفكري.

في مجلد لاغارد، يمكننا أن نلاحظ تطبيق أسلوب القراءة لهتلر بكل شدته الانتقائية، ونشعر بالقلم الرصاص وهو يحوم بجانب الكتاب بينما تمسح العين الصفحة بحثاً عن أي معلومات "مفيدة"، ثم يضرب الصفحة، ويظلل مقطعاً أو جملة كاملة، ثم يحدد الهامش بخطين لإبراز الأهمية. من حين لآخر، توجد علامات تعجب وأحياناً علامات استفهام، ولكن في الغالب توجد سلسلة من الخطوط المركزة والمتفرقة التي تشير إلى تمحيص المجلد بحثاً عن الحقائق التي يمكن أن تتناسب مع "فسيفساء" الأفكار المسبقة.

تتجلى هذه العملية بشكل خاص في المقاطع المتعلقة بالمسألة اليهودية، والتي تم تسليط الضوء عليها مراراً وتكراراً في جميع أنحاء الكتاب المكون من 520 صفحة، بدءاً من الصفحة 41، حيث يتبنى لاغارد الموقف الفيختي بأن اليهود، الذين يبلغ عددهم الآن مليوني شخص، لا يمكن دمجهم في المجتمع أبداً. يوجد خط قلم رصاص أسفل المقطع يوصي بـ "نقلهم" إلى فلسطين، مع وجود خطين عموديين غامقين في الهامش. يواصل قلم الرصاص تتبع إشارات لاغارد إلى اليهود، ويتوقف عند مقطع يؤكد فيه لاغارد أن الألمان غير قادرين على منافسة اليهود. يدَّعي لاغارد أن الألمان مصنوعون من "مواد رديئة" (zu weiches) مقارنة باليهود، "الذين استمدوا صلابتهم على شكل التدريب التلمودي". يتوصل لاغارد إلى الاستنتاج الطبيعي الوحيد، والذي تم التأكيد عليه بظل غامق بشكل خاص: "لأنني أعرف الألمان، لا يمكنني أن أتمنى السماح لليهود بالعيش معهم".

بعد مائتين وخمسين صفحة، في الصفحة 292، عندما يتناول لاغارد مرة أخرى عدم التوافق الأساسي بين الألمان واليهود، يسلط الضوء على المقطع بأكمله: "بالرغم من رغبتهم في أن يتم التعامل معهم على قدم المساواة مع الألمان، إلا أن اليهود يؤكدون باستمرار على غربتهم بأكثر الطرق وضوحاً من

خلال أشكال معابدهم. ماذا يعني ذلك، المطالبة بالاسم الألماني المشرّف أثناء بناء أقدس المواقع التي يمتلكها المرء بأسلوب بربري حتى لا ننسى أن المرء سامي، آسيوي، أجنبي؟"، يُشار إلى المقطع بخطوط سميكة بقلم الرصاص، يُظلّل مرتين في الهامش الأيمن. في الصفحة 370، تم تسليط الضوء على مقطع أكثر خطورة: "كل يهودي مزعج يمثل إهانة خطيرة لأصالة وصدق هويتنا الألمانية". تتبع خطوط القلم الرصاص كلمات لاغارد عبر الصفحة حيث يصر على أن "اليهود سيبقون يهوداً"، وأنه سيترك الأمر في النهاية للشعب الألماني لحل "المسألة اليهودية". هذه هي آخر فقرة مظلّلة في المجلد.

هذه الهوامش تجلب القليل مما هو جديد في فهمنا لهتلر بحد ذاته أو للحركة النازية بشكل عام. إن المشاعر والخطابات العدائية مألوفة لنا من خطابات وكتابات هتلر خلال السنوات الخمس عشرة الماضية. إنها قطع فسيفساء زائدة عن الحاجة تتناسب مع نمط زائد عن الحاجة. ما هو جديد ومميز هو السياق. نظراً لأن ليمان لم يؤرِّخ أبداً إهداءاته، نادراً ما نعرف التاريخ الدقيق الذي تلقى فيه هتلر مجلداً معيناً، باستثناء هدية الأعياد العرضية، على الرغم من أن النمط يشير إلى أن ليمان قام بإهداء وإرسال المجلدات الفردية في نفس العام الذي تم نشره فيه. مع لاغارد، يمكننا أن نضع قدراً أكبر من اليقين حول الإطار الزمني والسياق. نحن نعلم أنه تم نشر مقالات ألمانية في عام 1934 وتوفي ليمان في مارس 1935، مما يجعل هذا المجلد أحد الكتب القليلة التي أهداها ليمان لهتلر بعد تعيينه كمستشار.

عندما دخلت هذه النسخة من كتاب لاغارد في مجموعة كتب هتلر في عام 1934 أو أوائل عام 1935، لم يعد هتلر زعيماً لحزب يميني متطرف كان في كثير من الأحيان يعاني من أزمة أو على وشك الانهيار، بل أصبح الآن رئيس الدولة، الذي أعلن، بعد إحراق الرايخستاغ في مارس 1933، حالة الطوارئ ووقف العملية الديمقراطية وتولى السلطات الديكتاتورية التي كان سيحتفظ

بها لمدة اثني عشر عاماً. مسترشداً بيد مشبعة بالقوى الديكتاتورية، كان صدى قلم الرصاص مختلفاً عما كان عليه قبل عام 1933.

عندما يكتب لاغارد عن مسؤوليات أن تكون ألمانيّاً في الصفحة 164، ويؤطر هتلر الفقرة بثلاثة خطوط منظمة وكثيفة إلى اليسار وثلاثة خطوط شديدة الكثافة إلى اليمين، فإن العلامات يتردد صداها بشكل ينذر بالسوء مع كلمات: "ألمانيا هي كل الألمان الذين يشعرون أنهم ألمان، والذين يفكرون بألمانيّة، والذين يتوقون ليكونوا ألماناً: كل واحد منا هو خائن للأمة إذا لم ندرك ونحترم مسؤوليتنا الشخصية تجاه الوجود والسعادة ومستقبل الوطن في كل لحظة من حياتنا. كل واحد منا يصبح بطلاً ومحرراً عندما يفعل ذلك".

لم تعد هذه جزءاً هامشياً من الهوامش. يمكن أن تصبح الفقرة المظللة عقيدة دولة. أصبحت مجلدات ليمان اللبِنَات الأساسية التي لطالما سعى الناشر لأن تكونها.

الكتاب الخامس

حروب الكتب

أَلم تجلب الاشتراكية القومية أيضاً للشعب الألماني فكرة جيدة وجديرة بالاهتمام بحيث لا يكون دعم الحركة من قبل الأشخاص ذوي التوجه الديني الإيجابي أمراً مرغوباً فيه فحسب، بل هو ضروري للغاية؟

من مقدمة أسس الاشتراكية القومية للمطران ألويس هودال (ALOIS HUDAL)، 11 يوليو، 1936

كان اسم العنوان والمؤلف يهمسان بلون ذهبي هادئ على غلاف من الكتان، يبدو وكأنه لون في منتصف الطريق بين اللون البني الحاد لزي جندي العاصفة ولون الشوكولاتة لملابس الرهبان الفرنسيسكان، لذلك بالكاد كانت نسخة هتلر من أسس الاشتراكية القومية توحي بأنها جزء من مسار تآمري، تماماً مثل الصورة اللامعة التي تغطي صفحة كاملة لمؤلفها البالغ من العمر تسعة وأربعين عاماً، بمظهره اللطيف، والمكتبي، وحتى الصبياني، متسائلاً ومفكراً، والتي بالكاد تبدو مثل صورة مهندس معماري مقره الفاتيكان يسعى لتفكيك الحركة النازية من الداخل، وتخليصها من سمومها المعادية للسامية، وإشباعها بالإحسان المسيحي، وإيقاظ الكاثوليكية الرومانية الكامنة في قلب أدولف هتلر، التي كان المتآمرون متأكدين من نومها داخل روحه. كانت خطة ساذجة بقدر ما كانت طموحة، ولكن لبضع ساعات في نوفمبر 1936، عندما تلقى هتلر الكتاب، بدا أنه يترنح على شفا النجاح، حيث بدأت مؤامرة

من رجل واحد قبل عامين ونصف في ظهيرة يوم 7 فبراير 1934 على يد أحد علماء العهد القديم.

في عصر ذلك اليوم بالذات، استقبل هتلر الكاردينال كارل جوزيف شولت (Karl Joseph Schulte)، أسقف مدينة كولونيا، في مكتبه في مستشارية الرايخ. شولت، المسؤول عن الحياة الروحية لعدد كبير من الروم الكاثوليك في منطقة الراين الألمانية، جاء إلى برلين للتعبير عن قلقه بشأن التحريض المتزايد المعادي للمسيحية بين النازيين المحليين، وعلى وجه الخصوص، تعيين هتلر مؤخراً لألفريد روزنبرغ في منصب "المنظِّر الرئيسي" المسؤول عن الرفاهية "الروحية" للشعب الألماني.

كان روزنبرغ من بين النازيين الأكثر مقاومة للمسيحيين، وكتابه أسطورة القرن العشرين عبارة عن خلاصة وافية من البدع بما في ذلك الدعوة إلى تعدد الزوجات والتعقيم القسري، ونشر "إنجيل خامس" يُزعم أنه كشف الطبيعة الحقيقية ليسوع المسيح. وفقاً لهذا "الإنجيل المفقود"، لم يكن يسوع تجسيداً للمغفرة والإحسان اللذين تم تحديد هويتهما من خلال الألم والصلب. بدلاً من ذلك، كان نبياً غاضباً مصمماً على الدمار والانتقام. في الكتاب، ادَّعى روزنبرغ أن القديس بطرس، الذي عمل كوكيل يهودي، غير اسمه من Saulus إلى Paulus، وحُجب هذا الإنجيل الخامس كوسيلة لاستعباد شعوب أوروبا.

تحدث روزنبرغ عن أخلاق مسيحية "يهودية" وتصور ظهور دين جديد. وتوقع روزنبرغ أن "الصلبان المروعة لعصر الباروك والروكوكو، والتي تظهر أطرافاً ضامرة في كل زاوية من الشوارع، سيتم استبدالها تدريجياً بنصب تذكارية للقتلى من الجنود. سيحملون أسماء هؤلاء الرجال، كرمز لأسطورة الدم والإرادة الأبدية، ضحوا بحياتهم من أجل أنبل قضية: من أجل شرف الاسم الألماني".

في أكتوبر 1933، احتج الفاتيكان رسمياً على إدراج أسطورة روزنبرغ في

المناهج الدراسية، ولكن دون جدوى. في يناير، أدرجت وزارة التعليم البروسية الكتاب في قائمة العناوين "الموصى بها" للمكتبات المدرسية. دق الأساقفة ناقوس الخطر. اشتكى أحد الأساقفة: "سمعت مؤخراً أن الكتابين كفاحي وأسطورة القرن التاسع عشر كان من المفترض إدراجهما في المكتبات المدرسية للمدارس الإعدادية. لا يوجد اعتراض على الكتاب الأول، لكن كتاب روزنبرغ لا ينتمي إلى مثل هذه المكتبة؛ إن كان ولا بد، فهو ينتمي إلى الفهرس [فهرس مكتبة الفاتيكان، القائمة الأسطورية للكتب المحظورة]".

الآن كان شولت يثير القضية مع هتلر نفسه. كان شولت مسؤولاً عن الرفاه الروحي لسبعة ملايين كاثوليكي، كما ذكّر هتلر، وقد رحب في البداية بالاستيلاء النازي على السلطة والوفاق الذي تم تحقيقه مع الفاتيكان. قال شولت إنه لاحظ زيادة مقلقة في الخطاب المعادي للمسيحية والخطاب المناهض للإكليروس بين العديد من القادة النازيين، وهو اتجاهٌ تفاقم فقط من خلال تعيين روزنبرغ كـ "نائب" للتعليم "الإيديولوجي والروحي". لم تنتهك مراقبة التعليم الديني بنود اتفاقية الفاتيكان فحسب، بل كان روزنبرغ ناقداً عسكرياً معروفاً للكنيسة، وهي حقيقة كانت واضحة تماماً في أسطورته. عند ذكر كتاب روزنبرغ، أوقف هتلر شولت.

"لا أريد هذا الكتاب"، صاح هتلر. "روزنبرغ يعرف ذلك. قلت له ذلك بنفسي". قال هتلر إنه لا يريد أن تجمعه أي علاقة "بهذه الأشياء الوثنية".

رد شولت قائلاً: "لا يمكنك التحدث بهذا الشكل عن روزنبرغ وكتابه بعد الآن يا سيدي المستشار".

"وأخبرني لم لا؟"

ذكّره شولت قائلاً: "لأنك عينت رسمياً قبل أيام قليلة هذا السيد روزنبرغ نفسه كمدرب أيديولوجي للحزب النازي وبالتالي كمعلمٍ لجزء كبير من الشعب الألماني... من الآن فصاعداً، سواء أعجبك ذلك أم لا، تربطك علاقة

مع السيد روزنبرغ".

قال هتلر: "هذا صحيح، تربطني علاقة مع السيد روزنبرغ ولكن ليس مع مؤلف كتاب الأسطورة".

كيف إذن، ألح شولت، كان ينوي هتلر توضيح هذا التمييز للشعب الألماني؟ تجاهل هتلر السؤال. وأكد أن روزنبرغ كان بالفعل المنظر الرئيسي للحزب النازي. كرر قناعته بأن تعيين روزنبرغ لا علاقة له بالأسطورة. أصر هتلر مرة أخرى على أن الكتاب كان مسألة خاصة بحتة. ثم أضاف بسخرية أنه إذا كان أي شخص يتحمل مسؤولية هذا الكتاب، فهو الكنيسة الكاثوليكية. قال هتلر: "الأساقفة هم من جعلوا كتاب روزنبرغ ذائع الصيت. بدونهم لم يكن أحد ليعير الكتاب أي اهتمام".

تفاجأ شولت. "ماذا! يقع اللوم على الأساقفة؟"

"نعم الأساقفة"، كرر هتلر. "ألم يكن كاردينال ميونيخ هو من تحدث عن ذلك في خطبه وحاول تدمير المُثل الألمانية القديمة لدى شبابنا؟" عندما أخبر شولت هتلر أنه كان "يحرف" الأشياء، غير هتلر الموضوع. انتهى الاجتماع.

كان هتلر يُظهر نفسه كمستشار على أنه سيد المراوغة الخطابية، والتحويل الديالكتيكي، والأطروحة غير المتكافئة التي تحرف النقاش في اتجاه عرضي، ولا تعود أبداً إلى النقطة الأصلية. وقد فعل ذلك بسهولة وثقة رئيس دولة. لم يعد هتلر، الذي كان جالساً في المكتب الذي كان يشغله أوتو فون بسمارك، بحاجة إلى المراوغة أو التملص. تهرب بلطف وكذب بشهامة. لقد قطع شوطاً طويلاً خلال اثني عشر شهراً.

في فبراير 1933، عندما عيّنه بول فون هيندنبورغ (Paul von Hindenberg) المستشار السادس عشر لجمهورية فايمار، كان هتلر السياسي التالي الذي يحل محله في مقعد سيئ السمعة كان قد أطيح منه خمسة عشر سلفاً منذ عام 1919، بمعدل شخصية كل عام. يشير مخبأ للصحف اليمينية

من فبراير 1933، وُجدتْ في ملجأ هتلر في برلين في ربيع عام 1945، إلى "انعدام الثقة" لدى هتلر والذي شعر به فرانز فون بابن (Franz von Papen) في ذلك الوقت. في إحدى الصحف الصفراء، سلط هتلر الضوء على العديد من المقاطع في مقال بعنوان "السيد المستشار! أسئلة قليلة فقط" - تطالبه بشأن وعود حملته الانتخابية، وفي رسالة أخرى تؤكد أنه وقع في "الفخ اليهودي" الذي نصبه فون بابن. هنا شدد هتلر على جزء من جملة تقول إنه لم يتمكن من رؤية هيندنبورغ إلا عندما كان فون بابن حاضراً. لقد أحدث مرور عشرة أشهر تغييراً كاملاً.

كان مستشار جمهورية فايمار المضطربة والمرتبكة الآن هو فوهرر الرايخ ذي الألف عام. الكتب التي تلقاها في شهر ديسمبر لا تعكس ظروفه الجديدة فحسب، بل تعكس أيضاً ظروف ألمانيا. مجموعة من "الذكاء والحكمة" المستقاة من كتابات غوته مهداة "باحترام" لـ "القائد، مؤسس الرايخ الثالث والمستشار الأول". أهدى مؤلفه، والتر إنجلسمان (Walter Engelsmann)، نسخة من عالم فاغنر الصاخب إلى "الوكيل والمشكل لأحفاد سيغفريد على الأرض". في الصفحة التالية، كتب إنجلسمان منتصراً: "لقد تحقق حلم **وتان**[32] بالإنسان-الإله".

في يونيو 1934، أعطى هتلر الشكل النهائي لألمانيا الجديدة. بعد أن فكك الهياكل الديمقراطية لجمهورية فايمار، ومعها أي مقاومة سياسية فعالة، انقلب على رجاله. في ليلة 30 يونيو 1934، في عملية أطلق عليها اسم "الطائر الطنان" لكنها عُرفت باسم "ليلة السكاكين الطويلة"، قام هتلر باعتقال وإعدام ثمانين من قادة الحزب النازي، بمن فيهم مساعده المقرب إرنست روم (Ernst Röhm). أصبح هتلر الآن يتمتع بسلطة مطلقة، وكانت الطبيعة القاسية لنظامه واضحة للجميع.

32 الإله الأعلى في الميثولوجيا الجرمانية.

ولكن حتى مع قيام هتلر بإزالة المعارضة داخل بلاده وحزبه، كانت مؤامرة ألويس هودال (Alois Hudal) لتقويض الحركة النازية جارية بالفعل. في نفس فترة بعد الظهر التي تشاجر فيها هتلر مع شولت حول أسطورة روزنبرغ، اجتمع تجمع من الكرادلة المعروفين باسم **مجمع العقيدة والإيمان / Sanctum Officium** في روما لاتخاذ قرار وضع مخططات هودال الطموحة قيد التنفيذ.

في ظهر يوم 7 فبراير 1934، نشرت صحيفة الفاتيكان **المراقب الروماني / L'Osservatore Romano** خبراً يفيد بأن مكتب المجمع أوصى بوضع أسطورة روزنبرغ في فهرس الفاتيكان. كانت قائمة الكتب المحظورة كاثوليكية بالمعنى الحرفي للكلمة، وتضمنت الآلاف من عناوينها الرسالة الفلكية لـ غاليليو، ومدام بوفاري لـ فلوبير، وأصل الأنواع لـ تشارلز داروين. بشكل عام، تم وضع الكتب في الفهرس بدون تفسير أو تعليق، ولكن في هذه الحالة، شعر مكتب المجمع بأنه مجبر على إعلان منطقه علناً. ذكرت صحيفة المراقب الروماني:

يحتقر الكتاب كل عقائد الكنيسة الكاثوليكية، بل وأساسيات الدين المسيحي، ويرفضها تماماً. إنه يجادل بالحاجة إلى تأسيس دين جديد أو كنيسة جرمانية ويعلن المبدأ: "اليوم هناك إيقاظ لإيمان جديد، أسطورة الدم، الإيمان بالدفاع عن الكيان الإلهي للإنسان؛ الإيمان الذي يجسد المعرفة المطلقة بأن دم الشمال يمثل ذلك السر الذي حل محل الأسرار القديمة وتغلّب عليها".

أدى ظهور أسطورة روزنبرغ في الفهرس إلى تحويل هذا الكتاب الغريب، المنمّق، والذي لا يمكن اختراقه من ثمانمائة صفحة بالإجماع العام إلى ضجة كبيرة بين عشية وضحاها. الكتاب الذي استغرقت كتابته سبع سنوات، وست سنوات أخرى للعثور على ناشر - اتخذته دار هونئيشين، دار النشر السابقة لديتريش إيكهارت، بعد رفضه حتى من قبل هانفستاينغل وبروكمان - أصبح

فجأة أحد أكثر الكتب التي تم الحديث عنها في العالم. ظهر في عناوين الصحف في باريس ولندن ونيويورك. أدت فهرسته إلى نقاش عام في ألمانيا، وجعلت من روزنبرغ قضية مرموقة في الصحافة النازية.

بعد ستة أشهر من حظر الأسطورة من قبل الفاتيكان، نشر اللاهوتيون الألمان دراسة كبيرة تشرّح الكتاب سطراً سطراً، وتفضح ليس فقط انتهاكاته الدينية، ولكن أيضاً انتهاكاته التاريخية والجغرافية والإملائية، والتي نشروها دون الكشف عن هوية المؤلف - خوفاً من الانتقام النازي - في كتاب من مائتي صفحة بعنوان دراسات الأسطورة. وبعيداً عن القضايا الجوهرية، لاحظوا أن هادريان الرابع المذكور في الكتاب كان في الواقع هادريان السادس، وأن أحد مؤرخي الكنيسة كان اسمه "ميركس"، وليس "ميرك"، وأن آخر، يوسابيوس، لم يكن خصيّاً، كما ادعى روزنبرغ، وأن "الرهبان" المجتمعين الذين وصفهم روزنبرغ بأنهم تجمعوا في نيقية كانوا في الحقيقة أساقفة. عندما استفسر روزنبرغ من دار هونئيشين عن إزالة جميع الأخطاء من الطبعات المستقبلية، نصح محرره بعدم القيام بذلك. سيتطلب ذلك إزالة 60 بالمائة من محتوى الكتاب.

بدلاً من ذلك، قام روزنبرغ بالهجوم المضاد. رد بجداله المكون من مائتي صفحة، رجال في ظل الكنيسة *The Church's Shadowed Men /*، والذي دافع فيه عن كتاب الأسطورة من خلال الإصرار على أن الكتاب يدّعي حقيقة أعمق من الدقة التاريخية أو اللاهوتية. قال روزنبرغ: "ما أحافظ عليه في أسطورة القرن العشرين وأرى أنه ضروري للغاية لعصرنا، سيستمر حتى لو تناقضت جميع الأدلة التاريخية مع كل تفاصيله". تم وضع رجال في الظل على الفور ضمن الفهرس بجانب الأسطورة، ما بعث الفرح في قلب روزنبرغ.

بحلول نهاية عام 1934، باعت الأسطورة أكثر من 150,000 نسخة. باع

رجال في الظل ضعف هذا الرقم. في غضون عام، تضاعفت مبيعات الأسطورة نفسها. بحلول عام 1935، كان الكتاب في نسخته السبعين، بوجود 353,000 نسخة مطبوعة.

على الرغم من كل مكاسب وسعادة روزنبرغ، كان من المحتمل جداً أن يكون هتلر منزعجاً من الفضيحة. لم يعجبه الأسطورة، واعتبره غير مقروء، وقال إنه تمكن من قراءة جزء صغير منه فقط. كمؤلف، ربما يكون قد انزعج من أن الأسطورة قد تلقى الكثير من الاهتمام النقدي الجاد، على عكس كفاحي. لم يكن سعيداً لأن الاهتمام العام قد رفع الأسطورة إلى مكانة كان يُنظر إليه فيها على أنه رفيق أيديولوجي لـ كفاحي. كان روزنبرغ قد ضغط مراراً وتكراراً على هتلر لمنح الأسطورة وضعاً رسمياً، وهو ما رفض القيام به، لكن الكتاب ارتقى إلى الوضع الرسمي بحكم الأمر الواقع على مدار فترة حظره. بيعت في النهاية أكثر من مليوني نسخة، مما يجعله في المرتبة الثانية بعد كفاحي كأفضل كتاب مبيعاً للرايخ الثالث.

كانت التداعيات الدينية من أكثر العواقب خطورة بالنسبة لهتلر. وفقاً للفقرة 47 من القانون الكنسي المحدث لعام 1900، "يُفرض على الفور عقوبة الحرمان الكنسي من قبل جميع الذين، على الرغم من إدراكهم للقانون والعقوبة، يقرؤون أو يحتفظون أو يطبعون أو يدافعون عن كتب المعلمين الهراطقة أو المرتدين الذين يحافظون على الهرطقة". أصبحت الآن قراءة كتاب روزنبرغ خطيئة يعاقب عليها بالحرمان التلقائي لملايين الروم الكاثوليك، بما في ذلك الطلاب.* لم يقتصر الأمر على الملايين من الروم الكاثوليك الألمان الذين حاول هتلر استرضاءهم من خلال التوافق مع الفاتيكان فجأةً في

* تحتوي مكتبة هتلر على نسختين من أسطورة روزنبرغ، وكلاهما طبعتان متأخرتان نسبياً، تم نشرهما في عامي 1940 و1942، وعلى الأرجح أنهما مقتنيات روتينية لمكتبته في برلين. فبصفته كاثوليكياً رومانياً، كان هتلر نفسه سيخضع أيضاً للفقرة 47.

مواجهة الاختيار بين المطالبات المتنافسة للكنيسة والدولة، ولكن زملاء هتلر في الحزب اضطروا إلى الانحياز إلى أحد الجانبين في مناظرة روزنبرغ. وهو بالضبط ما قصده الأسقف النمساوي ألويس هودال.

في المفاوضات التي أدت إلى التوافق في ربيع وصيف عام 1933، حدد هودال معسكرَين مميزَين داخل الحركة النازية: "المحافظون" مثل غورينغ وغوبلز، الذين كانوا مهتمين بشكل أساسي بالسلطة السياسية، و"متطرفو" الحزب مثل روزنبرغ، الذي روّج لعقيدة عقلية آرية غريبة. كتكملة لفهرسة أسطورة روزنبرغ، أوصى هودال بحملة علاقات عامة لفضح هذه الانقسامات وإجبار هتلر على الانحياز.

اقترح هودال في مذكرة داخلية للفاتيكان: "في المراقب الروماني وجميع الصحف الأخرى المحتملة في الخارج، وكذلك في الخطب، نعم، حتى الخطب، يجب التأكيد على التوقع والأمل بأن أدولف هتلر وفرانز فون بابن يرغبان في المصالحة الدينية". وحث على أن "يتكرر هذا مراراً وتكراراً - بأشكال مختلفة". اعتقد هودال أن التوقعات العامة يمكن أن تجبر هتلر وبابن على الابتعاد عن الراديكاليين واحتضان شروط التوافق بشكل كامل كجزء من "واجبهم تجاه سعادة" الشعب الألماني. "وهكذا وبهذا المعنى، يجب أن يكون موقف الفاتيكان وجميع الصحف الكاثوليكية المحتملة في الخارج هو المطلب نفسه بنفس الروح: بابن وهتلر وهتلر وبابن!" أصر هودال. "بهذه الطريقة فقط يمكن خلق حالة مزاجية مفيدة".

من خلال التوصية بفهرسة الأسطورة وإطلاق حملة صحفية، لم يقصد هودال فقط فضح الانقسام العام داخل ألمانيا وتفاقمه، ولكن أيضاً لتعزيز مصداقيته داخل الفاتيكان ترقباً لمرحلة ثانية وأكثر أهمية لخطته. بمجرد أن تم استقطاب الحركة النازية، انفصل "الراديكاليون" في أقصى اليسار و"المحافظون" إلى المعسكر المسيحي، كان هودال يعتزم اقتراح مخطط

لاهوتي لدمج العقيدة الكاثوليكية الرومانية مع العقيدة الاشتراكية القومية. رأى هودال إمكانات كبيرة يمكن تحقيقها في هذا الميدان.

في دراسته للأيديولوجية الاشتراكية القومية، اعترف هودال بعدد من الاصطفافات الأساسية بين الكاثوليك والنازيين. كلاهما يشتركان في الإيمان السائد بالطاعة العمياء للسلطة. كانت الفكرة النازية عن مبدأ الفوهرر (Führerprinzip) أكثر بقليل من تصيير علماني لعصمة البابا. يتشارك النازيون والكاثوليك في كراهية عميقة تجاه اليهود. لاحظ هودال أنه في وقت مبكر من القرن الثالث عشر، حذر القديس توما الأكويني في أطروحته حول حكم اليهود *De regimine Judaeorum* / إذا كان من الممكن إقناع النازيين بالتخلي عن "معاداة السامية" لصالح "معاداة اليهودية"، أي كره اليهود كمجتمع ديني وليس كمجتمع عرقي، فإن هودال يعتقد أن الألمان يمكن أن يخلقوا شكلاً مسيئاً من الفاشية سيمثل أقوى قوة سياسية واجتماعية في القارة وستكون بمثابة حصن في وجه أكبر تهديد مشترك لأوروبا: انتشار البلشفية. تحدث هودال عن "فيرماخت الروح"،[33] وأشار إلى أن وزير الخارجية السوفيتي فياتشيسلاف مولوتوف (Vyacheslav Molotov)، أعلن بنفسه أن التهديد الأكبر للشيوعية هو اندماج الفاشية والكاثوليكية الرومانية.

في خريف عام 1934، سافر هودال من روما إلى ألمانيا لتجميع مكتبة شاملة من الكتب عن الأيديولوجية الاشتراكية القومية. ثم عاد إلى روما

---

33 Wehrmacht، "قوة الدفاع" هو اسم القوات المسلحة الموحدة لألمانيا من العام 1935 إلى 1945، وتشمل كلاً من الجيش (بالألمانية Heer) والبحرية (بالألمانية Kriegsma-rine) وسلاح الجو (بالألمانية Luftwaffe). وقد تحول ما كان يسمى بوحدات النخبة المسلحة (بالألمانية Waffen-SS) (وهي الجناح العسكري لوحدات النخبة النازية "س س") إلى فرع رابع للفيرماخت، بعد أن تضاعف عددها من 3 أفواج إلى 38 فرقة بحلول عام 1945.

ليبدأ العمل على هندسة لاهوتية لخطته. عندما أوضح هودال استراتيجيته خلال لقاء خاص مع بيوس الحادي عشر (Pius XI)، استمع البابا بصبر ثم أخبر الأسقف النمساوي أنه أخطأ في الحكم على هتلر وحركته بافتراض أن الاشتراكية القومية تمثل نظاماً عقائدياً. "هناك ارتكبت خطأك الأول"، قال البابا لـ هودال: "لا يمكنك الحديث عن أي شيء روحي في هذه الحركة. إنها مادية بحتة". في رأي بيوس، لم تكن هناك رغبة من جانب النازيين لتقديم التنازلات للمسيحية، ولن تكون هناك أبداً. كانت الحركة تدور حول التكتيكات والقوة، وليس الإيمان أو المعتقد. في نهاية الاجتماع، أخبر بيوس هودال أنه لا يؤمن "بإمكانية التفاهم" بين النازيين والكاثوليك، لكنه كان يتمنى لـ هودال "حظاً سعيداً" في مشروعه. تجاهل هودال المشورة البابوية. كان قد قرأ كتاب كفاحي ولاحظ المقاطع في الفصل الأول التي تحدث فيها هتلر عن الفترة التي قضاها في جوقة في دير البينديكتين في لامباتش وتأثير ذلك على شخصه. "منذ أن تلقيت دروساً في الغناء في الدير في لامباخ في وقت فراغي، كانت لدي فرصة ممتازة لإشباع نفسي بالروعة الجليلة للمهرجانات الرائعة في الكنيسة"، كتب هتلر في الصفحة 6. "من الطبيعي أن يبدو رئيس الدير بالنسبة لي أعلى وأسمى مثال يحتذى به، كما بدا كاهن القرية سابقاً في عيون أبي". على الرغم من أن اهتمامات هتلر تهاجر مع الوقت، إلا أن تلك السنوات الأولى تركت انطباعاً لا يمحى. يحتاج المرء فقط إلى إلقاء نظرة على الصليب المعقوف المنحوت في حجر الأساس لدير لامباخ أو الاستماع إلى مدرّس الموسيقى لهتلر، الأب المسن برنارد غرونر (Bernard Grüner)، يتحدث عن تلميذه السابق. قال غرونر لأحد الصحفيين في صيف عام 1933: "إن الصليب المعقوف هنا في ديرنا أثار إعجاب الطفل، وكان هتلر الصغير يحلم به دائماً".

بالنسبة إلى هودال، تجلى التأثير المتبقي لهذه السنوات في كل مكان في حياة هتلر اللاحقة، من "الصليب الأسود الملتوي" على خلفية بيضاء للافتة

"كاتدرائية النور" الحمراء كالدم في التجمع السنوي للحزب في نورمبرغ، إلى إشارات هتلر المتكررة إلى الخطاب الكتابي والليتورجي في خطاباته العامة. "وقوة الوطن وأمله ومجده"، اختتم هتلر خطاباً واحداً في تصعيد مستعر، ثم لهث للحظة وقال في لحظة تأمل على ما يبدو، "آمين". ككاثوليكي نمساوي، شعر هودال بأنه "يعرف" هتلر.

في ربيع عام 1935، عندما فاتح هودال بابن باقتراحه للانصهار الكاثوليكي-الفاشي، رأى بابن على الفور الإمكانات واعتقد أنها ستجذب هتلر، ليس فقط لأسباب تكتيكية ولكن أيضاً بسبب أصدائها الأعمق مع تربيته الكاثوليكية النمساوية. "إن أسقفاً بهذه المكانة، وهو مواطن ألماني من مملكة الدانوب القديمة يكرس نفسه للمسألة الألمانية بشغف شديد، لا بد وأن يترك انطباعاً قوياً على هتلر". قال بابن.

كنائب للمستشار، قضى بابن على مدار العامين الماضيين وقتاً مع هتلر بشكل منتظم، وفي عدة مناسبات شارك معه في مناقشات دينية. مثل هودال، شعر بابن أنه يعرف هتلر. في ذلك الربيع، عندما ناقش اقتراح هودال عدة مرات مع هتلر، شجعه "الاهتمام الكبير" الذي أبداه هتلر بالفكرة. نصح بابن هودال بعدم نشر أعماله حتى تتاح له الفرصة لمشاركتها مع هتلر شخصياً وتأمين تأييده الشخصي. وافق هودال على الانتظار.

في 8 يونيو 1936، خلال اجتماع مع هتلر وغوبلز، قدم بابن مسودة مخطوطة هودال، مشيداً بقدرتها على سد الفجوة بين اللاهوت الكاثوليكي والأيديولوجية النازية، والتي من شأنها أن تشكل حصناً ضد التهديد البلشفي. كما توقع هودال، بدا هتلر مستجيباً للفكرة. ظل غوبلز متشككاً. أخذ المخطوطة وقال إنه سيراجعها. بعد أسبوع أرسل إلى بابن قائمة من سبع عشرة نقطة من الخلاف الجاد. "كتاب المطران منعه هودال. ضغط بابن بشدة من أجله". خربش غوبلز في مذكراته. لكن بابن لم يلِن. شارك رد غوبلز مع

هودال، وأوصى الأسقف بإجراء التعديلات المقترحة. ثم كتب إلى هتلر يحثه على تأييد هودال "من أجل إبقاء هذا الرجل قادراً على القتال من أجلنا وعدم تعريضه لعصابة الكرادلة، الذين هم رؤساؤه ويمكنهم إسكاته إلى الأبد إذا تم حظر كتابه القادم رسمياً". استمرت المداولات في الخريف.

كما هو مزمع، زرعت مخطوطة هودال الخلاف في صفوف النخبة النازية. بالطبع، ضغط بابن بشدة للنشر. كان روزنبرغ غاضباً من أن الأسقف "يملي" شروطاً على الحزب. في أوائل أكتوبر، سئم هتلر من الاقتتال الداخلي حول مخطوطة هودال، وقال إنه "سيحدد ما إذا كان هذا الكتاب سيظهر في الرايخ أم لا، وهذا كل شيء". لقد "أيد" الكتاب. نُشر كتاب "أسس الاشتراكية القومية" لـ هودال في ذلك الشهر من قبل دار يوهانس غونتر في فيينا. كانت الانقسامات بين النخبة النازية واضحة، وتصلبت الخطوط، لكن يبدو أن الاصطفاف مال لصالح هودال. "لو لم أتصرف بحزم، لم يكن الكتاب لينشر، باعتبار أن غوبلز لم يعط الضوء الأخضر "رسمياً"، بينما أيدك كل من غورينغ وهتلر وهيس ونيورات". هذا ما قاله مصدر خاص بـ هودال، ثم تحمس مكملاً. "سنصل إلى هدفنا!!! حتى ضد روزنبرغ".

بحلول أكتوبر 1936، كان هتلر قد سئم من المشاجرات العامة المستمرة مع الكنيسة وحتى استاء أكثر من أسطورة روزنبرغ. ورفض ذلك باعتباره نتاجاً "بلطقياً [من البلطيق] ضيق الأفق يفكر بعبارات جدّ معقدة". وفقاً لهتلر، حتى العنوان كان خاطئاً. كانت الحركة النازية قائمة على العلم الحديث، وليس على "الأسطورة". كاشتراكي قومي، كان يجب أن يدرك روزنبرغ ذلك بشكل أفضل. كان يجب أن يطلق على كتابه معرفة القرن العشرين، وهو العنوان الذي كان من شأنه أن يبرز التقدم التجريبي للفهم البشري في القرن العشرين. علاوة على ذلك، بالكاد كان هتلر يعرف زعيماً نازياً قرأ الكتاب، ناهيك عن فهمه.

في سبتمبر 1935، كان هتلر قد نأى بنفسه بالفعل علناً عن راديكاليي الحزب. "خطابه هو رفض موحد لـ روزنبرغ وشترايسر"، أشار غوبلز في مذكراته. "وكلاهما يصفق بأعلى صوت". لكن هتلر كان يتعب أيضاً من غوبلز. منذ ما يقرب من عامين، دبر وزير الدعاية سلسلة من "محاكمات مخلة بالآداب"، وكشف الانتهاكات الجنسية بين رجال الدين. كانت عناوين غوبلز تنتشر في الصحف اليومية حتى ضاق الجمهور ذرعاً. في 25 أكتوبر، كتب غوبلز عن نهاية حملته ضد رجال الدين، ورغبة هتلر في حل الخلافات مع الكنيسة. أشار غوبلز في مذكراته إلى أن "المحاكمات ضد الكنيسة الكاثوليكية توقفت مؤقتاً. ربما يريد السلام، مؤقتاً على الأقل. الآن معركة مع البلشفية. يريد التحدث مع فولهابر".

كانت رغبة هتلر في التحدث مع مايكل فولهابر (Michael Faulhaber) كبيرة. بصفته رئيس أساقفة ميونيخ وفريسينغ، لم يكن فولهابر الوكيل الروحي لأكبر مجتمع كاثوليكي في ألمانيا فحسب، بل كان أيضاً أحد أشد منتقدي الأيديولوجية النازية. كان اليهود والبروتستانت والكاثوليك على حد سواء قد احتشدوا في كاتدرائية ميونيخ لسماع خطبه في عيد العنصرة في ديسمبر 1933، عندما رفض بشكل واضح الأيديولوجية النازية واعتبر اليهود الألمان "إخوة". عندما طالبت الحكومة بقائمة اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية بين عامي 1900 و1935، امتثل فولهابر بإخبارهم أن 331 "إسرائيلياً" - 138 رجلاً و178 امرأة و15 طفلاً - قد تم تعميدهم في بافاريا. طالب المسؤولون النازيون بالأسماء، لكن فولهابر رفض ذكرها أو حتى سنوات التحول المحددة. أصبحوا الآن من الروم الكاثوليك. لن تتخلى كنيستهم عنهم أو تخونهم. قال فولهابر: "تلتزم الأيديولوجية الاشتراكية القومية بقانونها الخاص بالدم والعرق، يبقى اليهودي يهودياً، سواء عُمّد أم لا". ولكن، أكد فولهابر، "من وجهة نظر الأساقفة، يصبح اليهودي السابق وفقاً لكلمة بولس الواردة في كورنثوس 2

5:17 "كائناً حديث الولادة"، طفلاً حقيقياً لله، من خلال المعمودية، فإننا نمد أيدينا إليه. كما تفعل أي أبرشية أخرى في هذا الخصوص. وبهذا حصل اليهودي المعمَّد على حق من سلطات الكنيسة في معاملته كمسيحي ولم يعد يهودياً وعلى الأقل لا يمكن تسليمه إلى أعداء معادين للسامية".

كان فولهابر مبدئياً بقدر ما كان متسلطاً، فكرياً وروحياً. مثل شولت، أشاد بتعيين هتلر كمستشار من أجل ضمان الاستقرار والوعد الذي جلبه لألمانيا، خاصة في الحرب ضد البلشفية، لكنه لم يكن ليتأثر بالإيمان أو الأخلاق أو المبدأ، خاصة عندما يتعلق الأمر بجوانب أكثر راديكالية من الأيديولوجية النازية. في وقت مبكر من ربيع عام 1930، حذر فولهابر من مخاطر أسطورة روزنبرغ في مؤتمر الأساقفة في فولدا، حيث انتقد واستشهد بفقرات واسعة النطاق. ألمح هتلر إلى هذا التجمع في اجتماعه مع الكاردينال شولت عندما ألقى باللوم على "الأسقف في ميونيخ" لنشره كتاب روزنبرغ.

خلال خطبة فولهابر الأولى في عيد العنصرة في ديسمبر 1933، هاجم أسقف ميونيخ الراديكالية على غرار روزنبرغ التي كانت تخترق المجتمع الألماني. لم يذكر كبيرَ منظري هتلر بالاسم، ولكن التلميحات إلى عمل روزنبرغ كانت واضحة. وأشار فولهابر إلى أن البحث العرقي، "في حد ذاته مسألة محايدة فيما يتعلق بالدين"، تم "تجميعها لمحاربة الدين وكانت تهز أسس المسيحية ذاتها". تحدث فولهابر عن استجابة ضرورية من جانب الكنيسة. "عندما يتعلق الأمر بمثل هذه الأصوات والحركات، لا يمكن للأسقف أن يصمت"، قال. لم يكن فولهابر أقل مباشرة عندما وصل إلى البرغهوف في صباح يوم 6 نوفمبر 1936.

كان الضباب يكتنف أوبرسلازبيرغ. سقط رذاذ خريفي، مما أدى إلى برودة هواء جبال الألب. قاد هتلر فولهابر إلى خصوصية "مكتبه" في الطابق الثاني بصحبة رودولف هيس. لم يكادوا يجلسون حتى أخبر هتلر فولهابر أنه سيقول

أشياء لن يحبها الكاردينال ولكن يجب ذكرها علانية.

مردداً أطروحة هودال، قال هتلر إن البلشفية تشكل تهديداً ليس فقط لألمانيا ولكن أيضاً للمسيحية. وأشار إلى ظهور حركة الجبهة الشعبية اليسارية في فرنسا، والتهديد المتزايد في تشيكوسلوفاكيا وبولندا ودول أخرى، وخاصة في إسبانيا، حيث كان الفاشيون في تلك اللحظة يقاتلون الشيوعيين من أجل السيطرة على مدريد. "يجب ألّا تسمح الكنيسة الكاثوليكية لنفسها بأن تُخدع"، قال هتلر. "إذا لم تصبح الاشتراكية القومية قوّامة على البلشفية، فستنتهي مع المسيحية والكنيسة في أوروبا".

ثم انتقل هتلر إلى المسألة المطروحة: العلاقة بين الاشتراكية القومية والكنيسة الكاثوليكية. "إن المسيحية مرتبطة بشكل لا ينفصم بشعبنا وبالثقافة الغربية من خلال تاريخ عمره ألف عام". خاطب فولهابر. وقال أيضاً إنه يمتلك في حقيبته 380 قضية تتعلق بقساوسة متهمين بالوعظ ضد الاشتراكية القومية. تحتاج الكنيسة الكاثوليكية إلى التخلي عن هذا "البغض السخيف" ضد الدولة. مع التهديد البلشفي الذي يلوح في الأفق، كان لدى الكاثوليك والفاشيين مخاوف أكبر. ومع ذلك، قال هتلر لفولهابر: "إذا استمرت الكنيسة في معارضة الاشتراكية القومية وواصلت المعركة، فإن الاشتراكية القومية يجب أن تستمر بدون الكنيسة". استمر في الكلام لمدة ساعة تقريباً.

استمع فولهابر بصبر ثم أجاب. قال إنه ليس بحاجة إلى تلقي المحاضرات بشأن التهديد البلشفي. لقد كان يعِظ بشدة وبشكل متكرر ضد البلشفية لمدة عقد ونصف. واستشهد بخطابه في التجمع الكاثوليكي في سالزبورغ عام 1921، عندما شجب البلشفية ووصفها بأنها "أكبر محنة في عصرنا". قال إنه تحدث بالمثل مرة أخرى في أعوام 1921 و1922 و1930. على هتلر أن يطمئنَّ أن الكنيسة قد أدركت منذ فترة طويلة خطر الشيوعية. دعمت الكنيسة الحكومة الوطنية واحترمت رئيس الدولة. لكن هتلر كان بحاجة إلى أن

يفهم، بعبارات لا لبس فيها، أن الكنيسة لم تفعل ذلك من منطلق "اعتبارات تكتيكية". كانت الكنيسة على استعداد لإطاعة قوانين الدولة طالما أنها لا تنتهك المبادئ الأساسية. قال لهتلر: "أعتقد أنه لا يوجد في أي دين تأكيد على فكرة السلطة بقوة أكبر من الكنيسة الكاثوليكية. لكن بالتأكيد عندما يسيء المسؤولون أو القوانين التي وضعتها إلى عقيدة الكنيسة أو قوانين الأخلاق، وبذلك يسيئون إلى ضميرنا، فعندئذ يجب أن نكون قادرين على التعبير عن هذا كمدافعين مسؤولين عن القوانين الأخلاقية".

واتهمت الحكومة النازية، فولهابر، بغض النظر عما قالته، أنها شنت حرباً على الكنيسة الكاثوليكية على مدى السنوات الثلاث الماضية. لم تكن المناسبات النازية للشباب فقط مقررة صباح يوم الأحد لإبعاد الشباب عن الشيوعية، ولكن أكثر من ستمائة مدرس ديني فقدوا وظائفهم في بافاريا وحدها، وسيرتفع العدد قريباً إلى ما يقرب من ألف وسبعمئة. والأسوأ من ذلك، أن الدولة قد أدخلت سياسات لا يمكن للكنيسة الموافقة عليها، بما في ذلك تعقيم المجرمين والأشخاص الذين يعانون من عيوب وراثية.

حاضر فولهابر لمدة ساعة كاملة، وكان هتلر يستمع بصمت. ومع ذلك، عندما اشتكى فولهابر من المتطرفين، واستذكر المسرحيات الأخيرة، والكتيبات اليدوية، والخطب التي دعت إلى "القضاء على العالم المسيحي"، احتج هتلر. قال لفولهابر إنه "عندما يكون هناك سلام بين الاشتراكية القومية والكنيسة، فإن كل هذا سيتوقف. لا علاقة لنا بهذه الحركة!" أصر هتلر، "لقد أخبرت رؤساء حزبي السياسي دائماً أنني لا أريد أن ألعب دور المصلح الديني... لا أريد أن أفعل ذلك ولن أفعل ذلك".

ثم جاؤوا إلى روزنبرغ، وأعاد هتلر الحجة التي استخدمها مع شولت: الكنيسة هي المسؤولة عن نجاح روزنبرغ. "لم يكن الأمر كذلك حتى أصدر مؤتمر الأساقفة في فريسينغ تحذيراً بشأن الكتاب، ثم وضعت الكنيسة الكتاب

في الفهرس، حيث بدأت مبيعات الكتاب في الارتفاع، وبيعت مئات الآلاف من النسخ". قال هتلر. فأجاب فولهابر أنه قبل فهرسة روزنبرغ، كان يتم الترويج للأسطورة في جميع أنحاء ألمانيا. وبنفس القدر من قوة الإرادة والإيمان، لم يتنازل أي من الرجلين، حيث رفع هتلر صوته ويده معاً، بينما كان فولهابر يُضمِّن اعتراضاته عبارة "يا سيدي مستشار الرايخ!".

بعد ثلاث ساعات، كانت لـ هتلر الكلمة الأخيرة. "السيد الكاردينال، يجب أن تتحدث إلى قادة الكنيسة الآخرين وتفكر بالطريقة التي ستدعم بها المهمة العظيمة للقومية، والمتمثلة في عدم السماح للبلشفية بالسيطرة، وكيف ستصل إلى علاقة سلمية مع الدولة"، هدد. "إما ستنتصر الاشتراكية القومية والكنيسة، أو سيتم تدميرهما. أقول لكم: سأزيل كل الأشياء الصغيرة التي تتدخل في التعاون السلمي، مثل محاكمات الكهنة والحركة الدينية الألمانية. لا أريد الانخراط في مقايضات. أنت تعلم أنني عدو للتنازل، لكن يجب أن تكون هذه محاولة أخيرة". ثم خفتت نبرة هتلر. وبدا متفكراً.

أخبر فولهابر أن أي شخص ينظر إلى حياته الخاصة عليه أن يعرف أنه في وقتٍ ما على كل شخص أن يواجه موته: مايكل فولهابر الكاردينال، ألفريد روزنبرغ المؤلف الأكثر مبيعاً، ونعم، حتى أدولف هتلر الفوهرر. قال هتلر: "كل فرد هو لا شيء. كل شخص سيموت. سيموت الكاردينال فولهابر ويموت ألفريد روزنبرغ ويموت أدولف هتلر. هذا يجعل المرء يتأمل ذاته ويتواضع أمام الله".

نهض الرجال عن الأريكة ونزلوا إلى غرفة الطعام في الطابق السفلي، حيث جلسوا في مكان يطل على جبل أونترسبورغ وتناولوا وجبة غداء صغيرة. تجاذبوا أطراف الحديث حول الشؤون الاقتصادية. أعجب فولهابر بقدرة هتلر على تذكر الحقائق والتفاصيل. في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، استعد فولهابر للمغادرة. تبدد المطر والضباب وبزغت الشمس عبر الغيوم. تم تذكير

فولهابر بالمزمور 29: صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ، وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ، ولكن في النهاية الرَّبُّ يُعْطِي عِزًّا لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ. بعد عودته إلى ميونيخ، فكر فولهابر في ذلك اليوم. في مذكرة سرية للاجتماع، كتب أنه مقتنع بأن هتلر رجل ذو قناعة روحية جادة.

بعد أيام قليلة، أبلغ هتلر غوبلز عن الاجتماع. قال له إنه "قطع عليه طريق المفاوضات"؛ إما أن يقاتلوا سوياً ضد البلشفية أو سيعلنها حرباً ضد الكنيسة.

في نفس الأسبوع من شهر أكتوبر، خرجت النسخ الأولى من كتاب هودال من المطبعة. جلس هودال على مكتبه في 3 نوفمبر 1936، بسلسلة من الزخارف الأنيقة، نقش النسخة الأولى إلى "زعيم القيامة الألمانية" و"سيغفريد الأمل والعظمة الألمانيّة"، ثم أرسلها إلى بابن لتقديمها لهتلر. في يوم السبت، 14 نوفمبر، التقى بابن بهتلر، جنباً إلى جنب مع غوبلز ومارتن بورمان، في مستشارية الرايخ للضغط من أجل اتخاذ قرار نهائي بشأن كتاب هودال. سلم بابن لهتلر المجلد البني الجميل بزخرفة ذهبية وإهداء شخصي. أخذ هتلر الكتاب وأخبر بابن أنه سيقرأه بالتأكيد.

إن أسس هودال، قال بابن، قد وصلت في وقت كانت فيه كل من الكنيسة والحكومة مستعدة لإحلال السلام بينهما. وحث هتلر على السماح بتوزيع الكتاب على أوسع نطاق ممكن في ألمانيا. لقد أتاح فرصة لرأب الصدع الذي فُتح بين الاشتراكيين القوميين والكاثوليك في ألمانيا، من أجل مداواة الجروح العامة التي سببتها محاكمات الكهنة والمناقشات حول الأسطورة. احتضن كتاب هودال القيم المشتركة للنازيين والكاثوليك الألمان على حدٍ سواء - فقد اعترف بالدور البارز لألمانيا في القارة، والمخاطر الكامنة في البلشفية، ولو بشكل معتدل، إلا أنه اعترف بالتهديد الذي دام قروناً لليهود. لأنه جاء على لسان أحد الأساقفة البارزين في الفاتيكان، كان كتاب الأسس أيضاً يتمتع بمصداقية

لا يمكن أن تتمتع بها بعض الأطروحات الأيديولوجية الأخرى. مثّل كتاب هودال فرصة جديدة لإقامة علاقة دائمة وذات مغزى بين النازيين والكاثوليك.

اختلف كل من غوبلز وبورمان مع هذا بشدة. من خلال حقن الكاثوليكية الرومانية في الأيديولوجية الاشتراكية القومية، زعموا أن هودال قد خفف من جوهر الاشتراكية القومية وأسسها في العرقية العلمية. جادل بابن بأنه على الأقل، فإن النقاش العام حول الكتاب سيوفر فرصة لاستكشاف إمكانية وجود أرضية مشتركة. قال غوبلز وبورمان إن كتاب هودال سيكون مثيراً للانقسام داخلياً ومخرباً. استمر النقاش لعدة ساعات متوترة. في كل مرة بدا أن بابن يقنع هتلر، كان بورمان يتدخل ويسحبه. في النهاية، ساد حزب "الراديكاليين". يتذكر بابن في وقت لاحق قائلاً: "في النهاية، نجحتُ في تأمين استيراد ألفي نسخة على أساس أنه سيتم توزيعها على الدوائر القيادية في الحزب. محاولة إجراء مناقشة جادة تم تخريبها في نهاية المطاف". كتب غوبلز في مذكراته: "أُسقط كتاب هودال مرة أخرى".

عندما علم هودال بالنتيجة، أصيب بخيبة أمل. على الرغم من كل الطموح الذي كان يحمله لكتابه، فقد تم حصره ضمن دائرة من الأفراد الذين من غير المرجح أن يقرؤوه، ناهيك عن فهمه. كتبه أسس أصبح هامشياً.

في نفس الوقت تقريباً، نأى الفاتيكان بنفسه عن كتاب هودال في بيان رسمي: "كما قال المؤلف نفسه لوكالة نمساوية، واستناداً إلى الملاحظات المختلفة التي تم التماسها، أُعلن أنه لم يستوحِ تأليف كتابه من أي شخص آخر ولم يتلق أي تكليف رسمي للقيام بذلك". بصفته عميداً لمدرسة سانتا ماريا ديل أنيما، وبصفته أسقفاً بارزاً قضى عشرين عاماً في الخدمة في الفاتيكان، شعر هودال بالإهانة بقدر ما آلمه هذا الازدراء. عندما اشتكى إلى أحد الكاردينالات بشأن هذا التوبيخ العلني، قيل له إنه لم يعاقَب كما يجب. وفقاً للكاردينال، كان بيوس الحادي عشر غاضباً من أسس، ودفع لوضعه في الفهرس. لو لم

يُعتبر القيام بذلك "غير مناسب"، لكان هودال أول أسقف تتم "فهرسته" على الإطلاق. عندما حاول هودال معالجة الأمر مع البابا نفسه، رُفض استقباله. كان الأساقفة الكاثوليك في ألمانيا قاسين بنفس القدر. أطلقوا عليه لقب "الأسقف النازي". أطلق عليه فولهابر لقب "عالم لاهوت بلاط هتلر".

لم يتعاف هودال من الكارثة. بعد الحرب، أُجبر على ترك منصبه في الفاتيكان، وتم نقله إلى دير منعزل. قد يكون الأسقف المحاصر قد نال العزاء في الحقيقة اللاتينية: الكتب لها مصيرها الخاص / *habent sua fata libelli*.

نجا هودال من خيبة أمل أخيرة. عندما فتحتُ نسخة أسس التي أهداها هودال إلى هتلر، أدهشني اقتباسان على الصفحة الثانية، من الواضح أنها تهدف إلى تعزيز حجة هودال بشأن حركة نازية "معمَّدة". أحدها كان اقتباس مولوتوف، الذي يرجع تاريخه إلى عام 1934، والذي يزعم أن التهديد الأكبر للتوسع البلشفي سيكون التحالف بين "الأممية الكاثوليكية والفاشية". والثاني هو فقرة ممتدة من الصفحتين 124 و125 من كتاب كفاحي: "من يعتقد أنه يستطيع الانتقال من منظمة سياسية إلى إصلاح ديني يكشف عدم امتلاكه لأي فكرة على الإطلاق حول أصول العقيدة الدينية، ناهيك عن التعاليم الدينية وتأثيرها اللاهوتي".

لا يحتوي هذا المجلد بالذات على أي هامش، على الرغم من أن الصفحات الست عشرة الأولى تُفتَح بسهولة، ما يدل على قراءة متأنية. بقي ما تبقى من الكتاب مشدوداً من خلال الغلاف، ممسكاً برسالة لم تتجاوز هذه الصفحات المربوطة بإحكام.

الكتاب السادس

وحي إلهي

وبالتالي، فإن العقل البشري ليس المحرك الرئيسي أبداً، بل هو نتيجة للتفاعل بين الجسد والروح.

ماكسيميليان ريدل، "قانون العالم"

في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، عندما سأل الصحفي إدوارد ديوس (Edward Deuss) هتلر عن الجملة الأكثر بوحاً في كفاحي، أجاب هتلر بأنه كان مقطعاً قصيراً في الصفحة 11 يتحدث فيه عن اهتمامه بالتاريخ. ثم تابع ليقول إن تربيته الدينية كان لها تأثير مماثل. إذا قال هتلر أي شيء آخر عن الأمر، فإن ديوس لم يسجله. في الفصل الأول من كتاب كفاحي، يتحدث هتلر بشكل عابر عن التأثير "المُسكر" لطقوس الروم الكاثوليك.

ومع ذلك، تشير مخطوطة هتلر غير المصححة لـ كفاحي إلى اهتمام أكثر كثافة واستمرارية بالطموح الديني. في مسودات الصفحات الباقية، يصف هتلر رغبته في أن يصبح رئيساً للدير على أنها "أسمى طموح"، بدون المؤهلات "لبعض الوقت، على الأقل، كان هذا هو الحال" وظهر ذلك في النسخة المنشورة. وبالمثل، في مسودات الصفحات هذه، لا تعرقل "تطلعات" هتلر إلى مركز ديني رفيع صفة "مؤقتة". يقدم الأصدقاء والعائلة أيضاً شاهداً على هوس هتلر المبكر بالكاثوليكية الرومانية. تذكر هيلين هانفستاينغل أن هتلر تحدث على نطاق واسع عن ولائه المبكر للكاثوليكية الرومانية، وكيف اعتاد

أن يلف مفرشاً على كتفيه، ويقف على كرسي المطبخ ويلقي خطباً مطولة لأشقائه المجتمعين. تذكرت باولا أن شقيقها قال لها ذات مرة، "أعتقد أن الرب الصالح يمدّ يداً حامية فوقي".

في المونولوجات التي ألقاها بعد العشاء على دائرته المقربة من زملائه خلال الحرب العالمية الثانية، عاد هتلر مراراً وتكراراً إلى قضايا الإيمان والروح، وتحدث عن محاولاته لمواءمة التعاليم الدينية عن ظهر قلب في التدريس الديني، مع تلك الموجودة في دروس علم الأحياء - "واجهتُ الأستاذ في الساعة الثانية بما كنتُ قد تعلمته في الساعة الأولى حتى دفعتُ المعلمين إلى اليأس" - وابتعاده التدريجي عن التعليم الديني الرسمي. يبدو أن الأمر قد تُرك لـ ديتريش إيكهارت لإثارة الشك مع الكراهية، وهو ما تم تسجيله في "المحادثة"، والذي ردده هتلر بعد عقدين من الزمن. لاحظ هتلر في إحدى صيحاته الصاخبة: "إن أسوأ ضربة تعرضت لها البشرية على الإطلاق هي المسيحية... البلشفية هي الابن غير الشرعي للمسيحية. كلاهما ثمرة اليهودي. من خلال المسيحية، امتلأ العالم بالكذب الواعي في مسائل الدين".

كانت الكاثوليكية الرومانية المتبقية التي اكتشفها هودال وبابن في هتلر أكثر من مجرد صدفة فارغة، خالية من المعنى. كانت الطقوس النازية، بصلبانها الملتوية وكاتدرائياتها المضيئة، خدعة مسروقة، كما كانت خطبه مفعمة بالإيحاء الإنجيلي؛ كان استحضاره للقدسية أكثر من مجرد خطاب روحي مزيف مليء بالصخب والعنف، للاقتباس من المجلد السادس من أعمال شكسبير لدى هتلر، دون الإشارة إلى أي شيء، والخطاب فارغ من المعنى مثل الانعكاسية أو التمرين - لا يهم أيهما - "آمين" في نهاية ذلك الخطاب المشهور بعاطفته الجياشة.

ما تبقى من حياة هتلر الروحية المهجورة هو العمارة الداخلية التي ظهرت في شبابه، والتي كانت مليئة بالانطباعات المُسكرة لـ "الطقوس المقدسة"، وأن

هتلر قضى حياته في السعي بحثاً عن معنى. لم يكن الإيمان بحد ذاته هو ما سعى إليه، لكنه كان الدافع الإنساني الأساسي، الحاجة إلى الإيمان، والفهم، وشرح القوى الأعمق التي تحرك وتشكل عالمنا.

"يوجد في كل إنسان القدرة البديهية على فهم القوى التي نطلق عليها اسم الله"، لاحظ هتلر ذات مرة. "الكنيسة استغلت هذه القدرة الداخلية بالتهديد بمعاقبة أولئك الذين لم يؤمنوا بما كان من المفترض تصديقه". وفقاً لهتلر، شلت الكنيسة هذه القدرة البديهية واستغلتها لأغراض معينة. وتساءل كيف كان هناك مليارا شخص على الأرض و170 ديانة رئيسية، كل منهم يصلي لإله مختلف؟ وصرح قائلاً: "يجب أن يكون 169 منهم على خطأ، لأن واحداً منهم فقط يمكن أن يكون على حق". لقد كانت ملاحظة ساخرة بالتأكيد، لكنها كانت متجذرة في مشاعر اللاأدري الذي يبحث عن الملحد بدلاً من الملحد المؤكد، والتي عاد إليها هتلر مراراً وتكراراً خلال مونولوجاته.

كانت تراودل يونج، سكرتيرة هتلر لفترة طويلة، حاضرةً خلال العديد من هذه التأملات الممتدة حول الإنسان والطبيعة والدين والله. عندما زرتها في شقتها في ميونيخ في صيف عام 2002، أكدت انشغال هتلر بأمور الروح، ليس فقط في مونولوجاته ولكن أيضاً في قراءاته الليلية. على الرغم من أنها رفضت أن تنسب إلى هتلر قناعة روحية معينة - "كيف يمكننا معرفة ما يعتقده شخص آخر حقاً؟" - كانت متأكدة من أنه يؤمن بوجود قوة أعمق تحرك العالم كما يتضح من قوانين الطبيعة، وجود ذكاء أعمق، أو، كما قال هو نفسه، "قوة إبداعية" أعطت الشكل والمعنى للعالم.

ربما تكون الكتب الباقية في مكتبة هتلر حول الأمور الروحية والسحرية، والتي توجد عشرات منها، أكثر الشهود وضوحاً على انشغال هتلر الذي دام طوال حياته. تم الحصول على العديد من الكتب في أوائل العشرينيات من القرن الماضي، والبعض الآخر من السنوات الأخيرة من حياته. من بينها مملكة

الله، والعالم المعاصر لبيتر ماج (Peter Maag)، الذي نُشر عام 1915، وقد كتب أ. هتلر على الغلاف الداخلي، لكن بدون تاريخ أو اسم مكان؛ إعادة طبع غير مؤرخة لـ خاتم أفلاطون *Anulus Platonis I*، كتاب صوفي كلاسيكي من القرن الثامن عشر حول علوم السحر والتنجيم، أهدي إلى "أدولف"، مع صفحتين من الرموز الخيميائية المكتوبة بخط اليد؛ المزيد من الكتب المغرضة، مثل سرد عام للظواهر الخارقة 1922، الموتى على قيد الحياة! الذي يعرض أمثلة على "السحر والتنجيم والسير أثناء النوم والروحانية" في بلدان أوروبية مختلفة، ويقدم ست عشرة صورة فوتوغرافية باعتبارها "دليلاً لا جدال فيه" على لحظات خارقة للطبيعة. تُظهر إحدى الصور المحببة بالأبيض والأسود أربعة أشخاص في جلسة عام 1909 في جنوة وهم يرتفعون فوق طاولة. ويكشف آخر عن "شبح" فتاة بولندية تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، تدعى ستاسيا، تلتهمها "مادة ضبابية مضيئة". تم التعليق على صورة رجل إنجليزي فخم المظهر "شبح الكاتب الإنجليزي تشارلز ديكنز الذي توفي عام 1871 ودُفن في وستمنستر آبي. ظهر عام 1873 وتم تصويره". أقدم كتاب من هذا القبيل هو أطروحة مكونة من 165 صفحة تسمى جوهر الخلق: بحث حول هذا العالم والآخرة، حول الحقائق الأساسية للطبيعة، حول جوهر الروح والنتائج المترتبة، نُشرت عام 1914، مع إهداء غير مؤرخ إلى "السيد. أدولف هتلر" من قبل المؤلف.

وجدتِ العديد من هذه الكتب المبكرة طريقها إلى برلين وفي النهاية إلى ملجأ هتلر، حيث تم اكتشافها بعد انتحاره، وهي موجودة اليوم في مجموعة الكتب النادرة في جامعة براون. تم أخذ البعض الآخر من مكتبته في البرغهوف، بما في ذلك الترجمة الألمانية لعام 1934 للجسد والروح والعقل الحي، لمؤلفه ديكايركوس كارنياديس (Dicaiarchos Carneades)، وهو كتاب جميل ومغلف بالجلد يستكشف مجمع التفاعلات - "الفلسفة والتاريخ

والدين والأحادية والثنائية، والثريا (pleiadism) وعدد لا يحصى من الأشياء" - وراء عملية صنع القرار البشري. ولا يزال يتم اكتشاف البعض الآخر بين المجلدات المعبأة المأخوذة من منجم ملح بيرتشسغادن، الموجود الآن في مكتبة الكونغرس.

يحتوي عدد من هذه الكتب على هوامش تتوافق مع مقاطع ملحوظة مماثلة في كتب هتلر في جامعة براون، مما يشير إلى أن كاتبها هو شخص واحد. على الرغم من عدم وجود تعليقات مكتوبة بخط اليد من شأنها أن تسمح بالإسناد القطعي، إلا أن هناك توافقاً ملحوظاً بين هذه الهوامش والأفكار المعبَّر عنها في مونولوجات هتلر والتعليقات الأخرى المسجلة. مثل آثار الأقدام في الرمال، فهي لا تكشف بالضرورة عن الغرض من الرحلة، لكنها تسمح لنا برؤية المكان الذي جذب انتباهه وتأمل فيه، وأين اندفع إلى الأمام، وأين طُرح سؤال أو تكوّن انطباع. في هذه الكتب، يجد المرء قلم هتلر مرسوماً مراراً وتكراراً على مقاطع تتعلق بالعلاقة بين العالمين العلمي والروحي، المادي وغير المادي. في أحد الكتب، عن "الحالة المستقبلية"، نُشر في عام 1910 ولكن دون أي إشارة إلى تاريخ حصول هتلر عليه، كتب اسمه الأخير على الغلاف الداخلي بالقلم الرصاص بخط مفصّل بعناية. في الصفحة 391، تشير العلامات بالقلم الرصاص إلى المقطع "من يذهب بعيداً في العلم، يعتاد على الانتقال من معجزة إلى معجزة، دون أن ينتهي أبداً"، وهو شعور تردد صداه في مونولوجات هتلر. لاحظ هتلر أن "ما يميز الإنسان عن الحيوان، وربما يكون أبرز دليل على تفوق الإنسان، هو إدراكه لوجود قوة إبداعية. ما عليك سوى النظر من خلال تلسكوب أو مجهر: هناك يمكنك أن تفهم أن الإنسان لديه القدرة على فهم هذه القوانين".

في نسخة هتلر من مجموعة مقالات عام 1924 لـ كارل لودفيج شلايش (Carl Ludwig Schleich)، وجدتُ سلسلة من العلامات المظللة في فصل

يستكشف العلاقة بين البيولوجيا الخلوية والخلود والمعرفة البشرية. "ما نجحتُ في خلقه جسدياً في هذه الحياة من خلال النضال والجهد والمعاناة، أعيده بمليار ضعف عبر خلاياي الخالدة، تماماً مثل شرارة الحياة الصغيرة هذه التي أسميها "الأنا" تعود إلى الخاصية العضوية للأرض، إن ذاتي العضوية تنتمي إلى الكون"، يلاحظ شلايش، ويتبعه قلم الرصاص في الهامش. "هناك ستجد أشكالاً جديدة حيث ترتفع ببطء حتى تحقق المساواة مع الروح الجماعية للعالم، وسوف تفرح بفرصة تغذية نجم مع كائن بُني على هيئة دمية شخصية تشبهني".

نجد فقرات متطابقة تقريباً تم وضع علامة عليها في كتيب عام 1923 عن "تاريخ ونظرية وممارسة" السحر والتنجيم بواسطة إرنست شيرتل (Ernst Schertel). في هذا المجلد الأنيق المصنوع من الكتان الأحمر والذي يحمل اسم هتلر وإهداء شيرتل "كل الاحترام"، حدد هتلر مقطعاً يستشهد فيه شيرتل بـ شلايش، مقتبساً منه حرفياً تقريباً: "يقدم جسمنا مجموعة من طاقات العالم الحركية المحتملة، ويمتد إلى سلالات أخرى من خلال الحيوانات والنباتات والكريستال، وصولاً إلى بداية الأشياء". قلم هتلر يتتبع المقطع في الهامش. "يكمن في جسدنا تاريخ العالم بأكمله، بدءاً من ولادة النجم الأول. من خلال أجسادنا تتدفق طاقات الكون، من الأبدي إلى الأبدي. وهذا هو الدافع وراء طواحين وجودنا". أعاد هتلر صياغة هذه الرؤية التوحيدية نفسها بكلماته الخاصة ذات مساء في ديسمبر 1941، بينما كان يفكر في الانتحار. قال، مكرراً الفكرة بعد بضعة أيام ووصل إلى نفس النتيجة التي رسمها شلايش وشيرتل: "حتى لو أخذت حياتك بنفسك، فإنك ببساطة تعود إلى الطبيعة من حيث الجوهر كما في الروح". قال "إن فكرة الخلود أساسية لطبيعتنا. الروح تعود بالتأكيد إلى خزان جماعي - مثل الجسد. وباعتبارنا جوهر الحياة، فإننا بذلك نخصِّب الأساس الذي تنبثق منه الحياة الجديدة".

مما لا شك فيه أن أكثر الأعمال التي وجدتُها إثارة للاهتمام بين المجلدات السرية هي أطروحة غير منشورة تُسمى "قانون العالم" بقلم ماكسيميليان ريدل (Maximilian Riedel)، تتضمن مخططاً من صفحتين يحدد الروابط بين العالمين المادي والروحي، ويصف التقنيات التي يصل المرء من خلالها إلى الحكمة الأعمق المتأصلة في العالم الطبيعي، ويحمل تدخلات متكررة بقلم الرصاص في المقاطع المتعلقة بالعلاقة بين العالمين الطبيعي والروحي.

اليوم، تم تصنيف هذه المخطوطة المكتوبة على الآلة الكاتبة والمكونة من 326 صفحة، والمجلدة والمعنونة "الدين القادم"، في مكتبة الكونغرس تحت اسم BR856.R49. تم تأريخ المقدمة في 21 يونيو 1939، وكُتبت فوقه عام 1937 بالقلم الرصاص الأزرق، مما يشير على الأرجح إلى أن النص كان قيد الإعداد لمدة عامين. تمت كتابة كلمة مخطوطة على صفحة الغلاف بأحرف حمراء غامقة، مع تدوين إضافي بقلم رصاص أزرق: "مناشدة للاعتراف بوجود الله". من الواضح أنه عمل لم ينته. ترافق المخطوطة رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة موجهة إلى هتلر بتاريخ 7 أغسطس 1939، تدَّعي أن هذا "الاكتشاف الجديد" يقدم "دليلاً علمياً لا جدال فيه" على "مفهوم ثالوث الله كقانون طبيعي".

عندما سلم ريدل مخطوطته غير المنشورة إلى آني وينتر، مدبرة المنزل في شقة هتلر في ساحة برينس ريجنت، في أغسطس 1939، كان هتلر يقضي الصيف في معتكفه في جبال الألب في أوبرسلازبيرغ. كان قد أمضى الأسبوع الماضي في بايرويت، حيث حضر عروض تريستان وإيزولد، والطائر الهولندي، وكامل عرض خاتم النوردي القديم، بما في ذلك الذروة الضخمة، شفق الآلهة، حيث تحطمت إمبراطورية النوردي وارتفعت مياه نهر الراين لتطهر الأرض من الجشع والطموح الفاشل.

أخفت النشاطات الترفيهية التي يمارسها هتلر توترات ذلك الصيف

المحموم سياسياً، حيث كانت أوروبا تتأرجح على شفا الحرب. عند عودته إلى البرغهوف في 4 أغسطس، وجد هتلر رسالة مقتضبة من الحكومة البولندية ترفض بشدة مقترحاته لحل العداء المتصاعد بين بولندا وألمانيا. في 7 أغسطس، وهو اليوم الذي نشر فيه ريدل مخطوطته، استدعى هتلر ألفريد فورستر (Alfred Forster) إلى البرغهوف لمناقشة الأزمة المتصاعدة.

بصفته "رجل هتلر في غدانسك"، أمضى جندي العاصفة السابق هذا السنوات التسع الماضية في بناء هيكل الحزب في تلك المدينة وإثارة الاضطرابات بين سكانها الألمان البالغ عددهم ثلاثمائة ألف. لقد أظهر العداء الفولاذي القاسي الذي كان هتلر يحب أن يراه في كبار مساعديه. عندما قامت عصبة الأمم بتفويض كارل بوركهارت (Carl J. Burckhardt) إلى المدينة الحرة كمفوض سام لها، رحب فورستر بالدبلوماسي السويسري المثقف بفظاظة سهلة للغاية: "إذن، أنت ممثل نادي القيل والقال اليهودي الماسوني في جنيف!"

أمضى هتلر معظم يومه مع فورستر، يناقش الوضع في غدانسك والاستجابة الألمانية المناسبة للرسالة البولندية، ثم أعاده إلى غدانسك فقط لاستدعائه بعد ثلاثة أيام، وهذه المرة بصحبة بوركهارت. في 11 أغسطس، استقل فورستر وبوركهارت طائرة دوغلاس ذات محركين من غدانسك وتوجها إلى سالزبورغ. هناك قابلتهما سيارة نقلتهما إلى بيرتشسغادن، ومن هناك إلى أوبرسالزبيرغ، بعد البرغهوف، ثم عبر سلسلة من التماثيل الدرامية المتعرجة المحفورة في صخور القص التي جلبتهم إلى عش النسر (Kehlsteinhaus)، وهو منزل حجري ضخم يطفو على قمة نتوء صخري. رحب بهم مشهد مذهل للقمم المغطاة بالثلوج الملقاة على سماء زرقاء خالية من العيوب وأدولف هتلر مرتدياً بدلة رسمية زرقاء.

قال هتلر في ترحيبه بـ بوركهارت بلطف غير رسمي: "أتمنى أن تكون قد حظيت برحلة مريحة. طائرتي كوندور ليست بنفس سرعة دوغلاس، لكنها

أكثر صلابة وفائدة مثل الطائرات العسكرية". ثم أضاف بشكل ينذر بالسوء، "إنها تصمد بشكل أفضل تحت نيران الأسلحة".

أخبر هتلر بوركهارت أنه يعلم كم كان الأسبوع مرهقاً. وتحدث عن جهود فورستر لتحسين الوضع، والصبر الألماني، وزيادة العناد البولندي. قال هتلر إن فورستر كان رجلاً صبوراً، وكان كذلك، لكن كان لصبرهما حدود. أعرب هتلر عن انزعاج خاص من اللهجة العدوانية للرسالة التي تلقاها من وارسو عند عودته من بايرويت. وقال: "يوم الجمعة الماضي كنت سأكتفي بمكالمة هاتفية منهم. كان البولنديون يعلمون أن المحادثات ممكنة. لم يكن عليهم إرسال مذكرة".

أمضى الرجلان الساعات العديدة التالية في مناقشة كل من السياسة و"الجوانب الفنية" لمفاوضات السلام الفاشلة، مع غضب هتلر مراراً وتكراراً. رفض تلقي الإنذارات. لن يتم الاستهزاء به في الصحافة. لن يتم اتهامه بأنه فقد أعصابه. قال هتلر مهدداً: "إذا حدثت أي حادثة طفيفة، سأحطم البولنديين تماماً حتى لا يتم العثور على أي أثر لبولندا بعد ذلك. مثل صاعقة البرق، سأضرب بالقوة الكاملة لجيشي الآلي، الذي لا يعرف البولنديون قوته. تذكر كلامي".

سعى بوركهارت إلى تهدئة الزعيم النازي، معرباً عن تعاطفه مع مخاوفه، لكنه حذر أيضاً من أن النزاع المسلح مع بولندا سيؤدي بالضرورة إلى إشعال حرب أكبر. قال هتلر مرة أخرى بهدوء شديد: "إذا كان يجب أن أقود ألمانيا إلى الحرب، فأنا أفضل أن أفعل ذلك اليوم وليس غداً... لن أقودها بالطريقة التي فعلها فيلهلم الثاني؛ سمح لوخزات الضمير أن تمنعه من رمي قواته المسلحة بشكل كامل. أنا سأقاتل حتى النهاية".

وحذر بوركهارت من أن "حرباً جديدة ستؤدي إلى نهاية الحضارة. هذه مسؤولية كبيرة يجب تحملها من أجل المستقبل". وأشار إلى أن "العيش

بشرف" أفضل من تحمل مسؤولية الحرب. ونصح "كلما كان المرء أقوى كلما أصبح أكثر صبراً". كلما زاد الشرف الذي يتمتع به الرجل، زاد عدد الهجمات التي يمكنه صدها. قال لي أحدهم ذات مرة إن قوة ألمانيا تكمن في التحلي بالصبر عندما يتعلق الأمر بمسألة بولندا وغدانسك. أشرق وجه هتلر وأمر فورستر بتدوين الملاحظة لوزير خارجيته. وواصلوا مناقشة تفاصيل الأزمة ذات مرة، نهض هتلر من كرسيه واقترح عليهم الذهاب في نزهة على الأقدام. تركوا المبنى الحجري الضخم، مشوا على التلال الصخرية للنظر عبر القمم الشاهقة التي كانت حتى أواخر الصيف لا تزال مغطاة باللون الأبيض. توقف هتلر للتمعن في الطبيعة. "ما مدى سعادتي عندما أكون هنا"، قال. "لقد كان لدي ما يكفي من المتاعب. أنا بحاجة إلى الراحة".

قال بوركهارت "إنك تعبر عن مشاعر العالم بأسره"، ثم شدد على الدور الفريد لهتلر في العالم. "لديك أكثر من أي شخص آخر فرصة لمنح العالم السلام والهدوء الذي يحتاجه".

أثناء تجوالهم، بدأ هتلر في التأمل. تحدث عن الطبيعة الفريدة للشعب الألماني. قال إنهم كانوا دولة قومية حقيقية - Volksstaat - متّحدين بالدم والتراب. وهذا ما جعل الألمان مختلفين، لنقل، عن البريطانيين، الذين قادوا إمبراطورية مرصوفة ببعضها من أعراق مختلفة، وهي تجمّع هجين من الشعوب. أجاب بوركهارت أن جميع الشعوب هي في الأساس نفس الشيء، وأن الطبيعة البشرية عالمية، توحدها رغبة مشتركة في السلام. أخبر هتلر: "السلام، السلم، المواثيق. كل هذه الكلمات لها نفس الجذر". وذكّر هتلر بأن الكلمة الألمانية التي تعني "سلام"، Friede، مشتقة من نفس الجذر اللغوي لكلمة "سعادة"، Freude.

سمح هتلر لهذه الملاحظة بالمرور وعاد إلى كبريائه المجروح، إلى الإهانات التي تعرض لها، إلى تصميمه على حماية المصالح الألمانية في بولندا بأي ثمن.

أظلم مزاجه مرة أخرى. "أنا لا أمزح"، قال لـ بوركهارت. "إذا حدث حتى أدنى حادث في غدانسك أو حدث أي شيء لأقلياتنا، فسوف أضرب بقوة".

بكل الأحوال، كان هذا الجرف المعزول في جبال الألب البافارية، على ارتفاع خمسة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر مع بانوراما مغطاة بالثلوج، مكاناً غير محتمل لمفوض سام لعصبة الأمم للقاء رئيس دولة لمناقشة تخفيف التوترات في مدن البلطيق، ناهيك عن تجنب "نهاية الحضارة". ولكن كان هذا هو النوع المسرحي الذي فضل عبره هتلر التأكيد على مكانته في السياسة والعالم، على غرار القوة التي نقلها الكولوسيوم إلى الرومان القدماء، أو قباب الكرملين الأسطورية لحكام روسيا، سواء كانوا قيصريين أو شيوعيين، أو صالات العرض ذات المرايا في فرساي، والتي استخدمها الفرنسيون لإقناع حلفائهم وإرهاب المعارضين المحتملين، وفي عام 1919، لإذلال الألمان.

في برلين، شيد هتلر مساحات تمثيلية مثل مستشارية الرايخ الجديدة، وكانت لديه خطط لمساحات أكبر حتى الآن، لكنه اختار هذا الجبل في جبال الألب البافارية لتصور وهندسة العديد من أفعال الحكم الأكثر أهمية. كان في البرغهوف، في منتصف الطريق أسفل المنحدر من **عش النسر**، حيث تشاجر مع الكاردينال فولهابر حول مسائل الروح، وتغلب على المستشار النمساوي كورت شوسنيغ (Kurt Schussnig) بضم النمسا إلى ألمانيا، وألقى بسحره على نيفيل تشامبرلين (Neville Chamberlain) لتفكيك تشيكوسلوفاكيا، وكان الآن ينسق الاضطرابات العرقية التي من شأنها أن تكون بمثابة مقدمة لغزو بولندا. كان يقف مع ضيف أمام نافذة ضخمة تطل على جبل أونترسبورغ، وكأنه يقول، هذه مملكتي، هذه قوتي. عندما يسمح الطقس بذلك، يمكن فتح النافذة، مما يسمح برؤية واضحة للوجه الحجري المهيب. ادّعى أنه صمم البرغهوف بالكامل مع وضع هذا الرأي في الاعتبار.

سعى هتلر إلى الملاذ والإلهام في العالم الطبيعي. منذ ذلك الصباح في ربيع

عام 1923 عندما كان يقف على شرفة بيت الضيافة بنسيون موريتز وينظر عبر الوادي إلى الجبل المغطى بالثلوج، مارس أونترسبورغ قوة مغناطيسية عليه. "منظر لأونترسبورغ، لا يوصف!" يتذكر هتلر. "أصبحت أوبرسلازبيرغ شيئاً رائعاً بالنسبة لي. لقد وقعت في حب هذا المشهد تماماً".

عندما عرضت هيلين بخشتاين (Helene Bechstein) على هتلر قطعة من الأرض في جزء آخر أكثر إشراقاً من أوبرسلازبيرغ، رفض عرضها السخي. كان يفضل الإطلالة على أونترسبورغ. في نهاية المطاف، أطلق على غزو الاتحاد السوفيتي، وهو أكبر هجوم بري في التاريخ، "عملية بربروسا"، على اسم الإمبراطور الألماني في العصور الوسطى الذي قيل إن روحه تسكن داخل أونترسبورغ. تحدثت جغرافيا دراسته في الطابق الثاني عن مركزية هذا الجبل في حياته. كان هتلر جالساً في مكتبه في وسط الغرفة المليئة بالكتب، بمقاعدها المليئة بالأذرع والمصابيح النحاسية، ونظر من خلال زوج من الأبواب الفرنسية، محاطاً بصور زيتية لوالديه، مع إطلالة على أونترسبورغ والتلال المتدحرجة من النمسا وراءه، وهو خط نظر يمثل في لمحة اندماجاً شخصياً لـ "الدم والتربة"، وسلسلة نسبه الشخصية المرتبطة بتربة وطنه. قال هتلر ذات مرة: "نعم، إنني مرتبط بشدة بهذا الجبل... الكثير حدث هناك، جاء ومات. لقد كانت أروع الأوقات في حياتي". كان مرتبطاً بشكل خاص بالمنزل الأصلي الذي شيد حوله البرغهوف. قال: "كل خططي العظيمة تصورتها هنا".

روى أعضاء طاقم البرغهوف الباقون على قيد الحياة - آني ويلكينز، مدبرة منزل هتلر واشنفيلد قبل تحويله إلى البرغهوف؛ هربرت دورينغ، مدير العقارات في البرغهوف؛ روت غريتل ميتلستراسر، التي كانت تدير البرغهوف بعد رحيل أخت هتلر - قصصاً عديدة عن "مناوشة" هتلر الخاصة للمكان: عندما غادر الضيوف والوفد المرافق؛ عندما كان يسير في دوائر لمدة ساعة في الحديقة، رأسه منحنٍ، وذراعاه مقفلتان خلف ظهره؛ عندما أقام وقفات احتجاجية في وقت متأخر من الليل على شرفة البرغهوف، وهو يشاهد نهر

أونترسبورغ يستحم تحت ضوء القمر؛ عندما سمح للآلام الأثيرية لـ أوبرا فاغنر لوينغرين أن تملأ مكتبه بينما كان يشاهد المنحدرات الخشنة تنظر من خلال الضباب. وصفوا تناسق المزاج والروح بين هتلر وهذا الجبل. مع بقع المروج الخضراء، ومنحدراتها الشاهقة، وعباءة الثلج التي غطت قمتها معظم العام، يمكن أن يكون أونترسبورغ ينذر بالسوء وينذر بالخطر عند منعطف واحد، كما هو الحال في فترة ما بعد الظهيرة، ومطمئناً من جهة أخرى، كما حدث عندما كان الكاردينال فولهابر يشاهد ارتفاع الغطاء السحابي وتذكر العاصفة التي اجتاحت لبنان و – الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ.

في أغسطس 1939، لعب أونترسبورغ مركز الصدارة في دراما طبيعية عكست المزاج السياسي المشؤوم لتلك الأسابيع عندما أضيئت سماء الليل على طول الأفق الشمالي بظهور مكثف للشفق القطبي - كما ورد على نطاق واسع في الصحافة - الذي غسل الجبل المنحدر بتدرج فيروزي، تحول تدريجياً إلى بنفسجي عميق، أصبح توهجاً أحمر ذا "جمال مخيف". يتذكر نيكولاس فون بيلو (Nicolaus von Below)، الذي رأى المشهد مع هتلر من على شرفة البرغهوف، "اعتقدنا في البداية أنه حريق كبير في إحدى البلدات الواقعة شمال أونترسبورغ. حتى غمر الضوء الأحمر السماء الشمالية بأكملها وأصبح من الواضح أن هذا كان عرضاً مكثفاً بشكل غير عادي للأضواء الشمالية، وهي ظاهرة طبيعية نادراً ما تحدث في جنوب ألمانيا". مندهشاً من المشهد المخيف، تنبأ مساعد هتلر أنه ربما كان علامة على حرب دموية وشيكة. أجاب هتلر: "إذا كان لابد من ذلك، فعندئذ في أسرع وقت ممكن". وقال إنه كلما طال أمد الحروب، ازدادت دموية. بحلول ذلك الوقت، كان "قانون العالم" لماكسيميليان ريدل ينتظر هتلر في شقته في ميونيخ لما يقرب من ثلاثة أسابيع.

صنع ريدل خطوة تكتيكية ذكية عندما عهد بمخطوطته إلى آني وينتر.

بحلول أغسطس 1940، تم اعتراض معظم مئات الكتب المرسلة إلى هتلر إما من قبل ألبرت بورمان (Albert Bormann)، الذي أدار مكتب هتلر في مستشارية الرايخ في برلين، أو مارتن شقيق بورمان الأكبر، الذي أشرف على شؤون هتلر في أوبرسالزبيرغ. قام الأخوان بورمان بتصفية جميع الاستفسارات والطلبات والشكاوى والمواعيد والهدايا من حياة هتلر، ما عدا الاستفسارات والطلبات والشكاوى والمواعيد والهدايا الأكثر أهمية. فقط الكتب من رفاق هتلر المقربين وجدت طريقها إلى يديه. كانت فرصه في رؤية مخطوطة مكتوبة على الآلة الكاتبة من قبل معجب بعيد ضئيلة للغاية. لذلك أثبتت آني وينتر أنها باب خلفي مناسب لهتلر. قلة من الناس كان لديهم وصول حميم وقريب مثلها.

كانت وينتر تقيم في شقة هتلر في ميونيخ منذ ما يقرب من عقد من الزمان. خلال الحرب، أغلقت ملاجئ الغارات الجوية في الطابق السفلي، وأخبرت سكان المبنى أنه إذا كان لديها خمسون جالوناً من البنزين، فلن تتردد في إشعال النار في المبنى. لم يكن مفاجئاً أن جيرانها اعتبروها "مبتذلة" و"بغيضة" فيما كان هتلر يحب شجاعتها وكتمانها. عندما انتحرت ابنة أخته غيلي في الشقة في سبتمبر 1931، اتصلت وينتر بهتلر قبل تقديم إفادة موجزة ومقتضبة للشرطة، ولم تناقش الأمر مرة أخرى. أصبحت وينتر، التي ربطتها المأساة بـ هتلر، فرداً من العائلة. ترك هتلر لها راتباً مدى الحياة في وصيته المكتوبة بخط اليد اعتباراً من مايو 1938، وهو التزام كرره بعد سبع سنوات في "وصية القبو". بالإضافة إلى إيفا براون، كانت آني وينتر المستفيدة الأخرى الوحيدة التي ذكرها هتلر بالاسم.*

---

* في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، تم القبض على وينتر لمحاولة بيع حقيبة مليئة بوثائق هتلر الشخصية، بما في ذلك جواز سفره وتصريح حمل السلاح وعدد من الألوان المائية وصور لوالديه، مقابل مائة ألف مارك في السوق السوداء. في معرض دفاعها، زعمت وينتر أن هتلر أعطاها إياها. المواد موجودة الآن في أرشيف ولاية بافاريا الرئيسية في ميونيخ.

ليس من الواضح متى مررت وينتر كتاب "قانون العالم" إلى هتلر، ولكن جدوله في الأيام المحمومة في أغسطس 1939 جعله يسافر مباشرة إلى برلين ومن هناك إلى بولندا، حيث مكث معظم شهر سبتمبر وأغلب شهر أكتوبر. عاد إلى ميونيخ في 8 نوفمبر، عندما حضر الاحتفال السنوي لانقلاب بير هول، ومرة أخرى في 11 نوفمبر، عندما عاد لفترة وجيزة إلى المدينة. على الأرجح أنه رأى مخطوطة ريدل خلال إقامته لمدة يومين في وقت لاحق من ذلك الشهر، من 25 إلى 26 نوفمبر، عندما أمضى ليلة في شقته في ساحة برينس ريجنت.

لا بد أن خطاب ريدل التقديمي لامسه:

الفوهرر!

بناءً على اكتشاف جديد تمكنت من إثبات بأدلة علمية لا جدال فيها مفهوم ثالوث الله كقانون طبيعي. إحدى نتائج هذا الاكتشاف، من بين أمور أخرى، العلاقة السلسة بين المصطلحات: الحقيقة - القانون - الواجب - الشرف. في الجوهر، أصول كل علم وفلسفة ودين. دفعتني أهمية هذا الاكتشاف إلى الطلب من السيدة وينتر تسليمك شخصياً المخطوطة المرفقة.

تحية يا قائدي!

مثل كتاب كارنياديس الجسد والروح والعقل الحي، بفصوله حول "التعريف الكمي والهندسي للمادة" و"المعرفة والعلوم الكيميائية والبيولوجية والنفسية" و"التعريف الثنائي الأرسطي غير المادي للروح"، بدا ريدل وكأنه يعدُ هتلر بتبصرٍ في العالم الروحي بناءً على نوع "الدليل العلمي" الذي قدمه هانز غونتر لفهم تفوق العرق الآري. كان مجرد نوع من الأشياء التي أحبها هتلر. من خلال بحث علمي مكثف، حدد ريدل أنه بخلاف الحواس الخمس المعروفة، يمتلك الإنسان قدرات إدراكية إضافية لم يتم التعرف عليها وكانت

موجودة في حالة أثرية. من خلال تحديد هذه القدرات المعرفية غير المستغلة وتنميتها، كان الشخص قادراً على الوصول إلى احتياطيات المعرفة والبصيرة، للتواصل مع القوى الأعمق التي حركت العالم، تلك "المستودعات" العالمية للمعرفة التي وصفها كارل لودفيغ شلايش وإرنست شيرتل. لدعم أطروحته، قدم ريدل تعريفات وأوصافاً، وقوائم مفصلة رسمت العلاقات المختلفة بين العالمين المادي والروحي، ومخطط من صفحتين مطويتين رسم فيه نظريته بسلسلة من المجالات المتقاطعة المرتبطة بشبكة عنكبوتية من الخطوط المتصلة - الروح، الفضاء، الواقع، الحاضر، الماضي، الاحتمال، التحول، الثقافة، الحياة الآخرة، الإنسانية، اللانهاية - وتضمن سلسلة من التعاقب الأرسطي: الغاز-الصلب-السائل؛ الكراهية-الحب-التفاني؛ الحقيقة-المعرفة-الحكمة.

في هذه الرسالة المكثفة، يضع ريدل الأساس لـ "دينه الجديد"، ليحل محل "ثالوث" الأب والابن والروح القدس بوحدة ثلاثية جديدة، وهي - Körper, Geist, und Seele - أي الجسم والعقل والروح. يجادل بأن الحواس الخمس التقليدية - البصر، والصوت، والذوق، والشم، واللمس - تتعلق فقط بالإدراك المادي، مما يسمح لنا بالتفاعل مع العالم المادي، ولكنه يعمينا عن الديناميكيات الأكثر عمقاً الكامنة وراء علاقتنا بالبشر الآخرين والقوى الأعمق للكون، وهو الموقف الذي طوره هتلر نفسه. "سوف نتعلم في أحسن الأحوال عن القوانين التي تحدد طبيعة الحياة، أو على الأقل نطبق هذه المعرفة لجعل قوانين الطبيعة تخدمنا، ولكن لماذا هذه القوانين لها القوة التي لديها، لن نعرف أبداً"، هكذا قال هتلر ذات مرة ملاحِظاً. "مكانتنا في العالم لا تسمح لنا بالنظر إلى مستويات أخرى. لذلك ابتكر الإنسان المفهوم الرائع للإله القادر على كل شيء".

استناداً إلى التدخلات المظللة في "قانون العالم"، أُعجب هتلر بشكل خاص بالفصل الذي يناقش فيه ريدل القدرات الإدراكية السبع الإضافية للإنسان،

والتي حددها ريدل على أنها تلك التي تتجاوز الإدراك السطحي للعالم وتتطرق إلى معرفة أعمق للعالم. في الصفحة 43، سلط هتلر الضوء على مقطع يؤكد ما واجهه سابقاً في قراءاته لشلايش وشيرتيل: "الجسد والعقل والروح لا تنتمي إلى الفرد، بل تنتمي إلى الكون". من خلال تنمية تصوراتنا العاطفية، و"إحساسنا" العاطفي بالآخرين، و"إحساسنا" بالانتماء العرقي، و"إحساسنا" بالطبيعة، يمكننا تطوير ذكاء عاطفي معرفي يتجاوز المنطق الموضوعي الخالص الذي يقود معظم الناس لاتخاذ القرار. لتأكيد أطروحة ريدل، يشير هتلر إلى فقرة في الصفحة 45: "وبالتالي، فإن العقل البشري ليس المحرك الرئيس أبداً، بل هو نتيجة للتفاعل بين الجسد والروح"، وآخر في الصفحة 47، حيث يتوسع ريدل بشرح القيمة المعرفية المحدودة في الاعتماد على حواس الإنسان الخمس المعترف بها، والمفهوم المضلل "للموضوعية" الذي ينتج عنه: "المشكلة في أن نكون موضوعيين هي أننا نستخدم معايير موضوعية كأساس للفهم البشري بشكل عام"، يكتب ريدل ويؤكد هتلر، "وهذا يعني أن المعايير الموضوعية، أي المعايير العقلانية، ينتهي بها الأمر كأساس لكل الفهم والإدراك البشري وصنع القرار". من خلال تنمية وإشراك الحواس السبع الإضافية التي حددها ريدل، يكون الشخص قادراً على الاستفادة من قوى العالم الأعمق، وبالتالي يكون قادراً على تحقيق وحدة الجسد والعقل والروح.

نجد في هذه المقاطع المميزة أصداءً لجمل وفقرات مميزة مماثلة من نسخ هتلر لكتب شلايش وشيرتيل. في مقال لشلايش حول "العبقرية والموهبة" من كتاب حكمة الفرح، قام هتلر مراراً وتكراراً بتظليل المقاطع المتعلقة بأفراد يتمتعون بموهبة استثنائية، حيث أكد جملة حول العبقرية باعتبارها "إبداعاً فريداً" في مقطع يصف فيه شلايش العبقرية بأنها "تجسيد لما هو إلهي" وهو "غير مفهوم" و"غير معترف به" من قبل الإنسان العادي؛ تسليط الضوء على فقرة تستكشف العلاقة بين العبقرية والسياسة التي يحدد فيها هتلر جملة؛

ومرة أخرى مقاطع مزدوجة في الصفحتين 26 و27، يتحدث فيها شلايش عن العلاقة بين السياسة والعبقرية وحقيقة أن "العبقرية ملك للبشرية جمعاء".

يمكننا أن نتتبع قلم هتلر الذي يتتبع تأملات شلايش الباهرة عن العبقرية في "كتيب" شيرتيل عن السحر والتنجيم، حيث يشير هتلر مرة أخرى إلى مقطع لشلايش يربط بين البيولوجي والروحي والسياسي:

كل شيء في العقل والروح، سواء كان صحيحاً أو خاطئاً، يعدي مثل البكتيريا، ويتجاوز إيقاع الأفكار عمقاً؛ لذلك اكتسبت الأفكار مثل هذه القوة العظيمة على الجماهير. الأفكار مُعدية، وتلك التي تظهر من الفرد كملاحظات لا جدال فيها، مثل تركيز الروح، يمكن أن تؤدي إلى إنشاءات متفجرة شبيهة بالديناميت، يمكن إطلاقها مثل انهيار جليدي بدأ على خطى طائر يمشي على رقاقات ثلجية معبأة.

يرسم هتلر خطاً سميكاً بجانب هذا المقطع في الصفحة 69 من كتاب شيرتيل السحر، ثم يتتبع انعكاسات شيرتيل على ملاحظات شلايش. يلاحظ شيرتيل، وقلم رصاص هتلر يتتبعه، أن ثقافات الماضي العظيمة لن يكون من الممكن تصورها بدون الأفكار العظيمة التي أرادها أفراد "القوة الخيالية"، الذين لم يكونوا "عبيداً" للواقع التجريبي، والذين يمكنهم تخيل عالم ومن ثم بإرادتهم بعثه إلى الوجود من خلال قوة شخصيتهم. يصف شيرتيل هذه العبقرية الإبداعية بأنها "اعتلاج حقيقي"، وهي قوة تنشيطية تمتلك صفات شيطانية قادرة على تشكيل مسار العالم.

مثل ريدل، يؤكد شيرتيل على حدود التفكير العقلاني ويدعو إلى تصور أعمق للعالم يسمح للفرد أن يشعر "بمصيره المحدد سلفاً"، وبالتالي يساعد في تشكيل مسار الأحداث. يكتب شيرتيل: "كل رجل عبقري يمتلك هذه القوة، وكل الأمم التي "لم ينته تاريخها ببساطة تمتلك هذه القوة"، كما أن قلم

هتلر الذي يتتبع شيرتيل يحدد مفهومه عن القوى "الشيطانية" المتأصلة في "الاعتلاجية".

على النقيض من ريدل، يفترض شيرتل فكرة "النوع البشري الأوروبي" الحديث الذي أصبح "متكلّساً" من خلال التفكير العقلاني، والذي استسلم لـ "شكل التفكير الطائش"، إلى شكل فارغ من العقلانية الأوروبية. يكتب شيرتل: "لطالما قال المرء إن لدى الأوروبيين القدرة على "إحساس متطور جيداً بالواقع"، و"إحساس بالحقائق"، وما إلى ذلك... لكن نظرة فاحصة تُظهر أنه ينظر إلى أبعد من "الواقع" و"الحقائق"، وأن ما يحمله بين يديه هو صور فارغة. إن المادية والعقلانية بأكملها في عصرنا تتناقض تماماً مع الإحساس الأعمق للواقع والحقائق". بجانب هذا المقطع، وفي الفقرات التالية، رسم هتلر سلسلة من الخطوط الكثيفة الممتدة.

يكتب شيرتيل عن أوروبي "ملَطّف" و"مخصيّ" فقد الإرادة لتحديد مسار الأحداث، وعن الحاجة إلى قوى "الاعتلاج"، "ما وراء الخير والشر"، التي يمكنها أن تكسر القيود التي يفرضها المجتمع الحديث وتلد عالماً جديداً، لا يستطيع المجتمع أن يقاومه. يعترف شيرتيل بأن مثل هذه القوى غالباً ما يُنظر إليها على أنها "معادية"، بل وحتى "شريرة"، لكنها في الواقع تخلق أنظمة معايير خاصة بها. مع ديناميكية "الاعتلاج"، لا يوجد شيء اسمه "حقيقي" أو "غير واقعي"، أو "صحيح" أو "خطأ"، أو "صحيح" أو "خطأ". فقط عندما تستهلكنا هذه القوة غير العقلانية وغير الأخلاقية وغير الشخصية تماماً، يمكننا إدراك هذه القيم.

هنا نلمح على الأقل جزءاً من جوهر هتلر الأساسي. لم تكن مجرد تقطير لفلسفات شوبنهاور أو نيتشه، بقدر ما كانت مجرد نظرية شاملة ورخيصة تم تجميعها معاً من كتب ورقية مغرضة رخيصة وأغلفة فنية مبطنة، والتي قدمت مبرراً لإفكٍ رقيق ومحسوب ومتنمّر.

كان رجل "الاعتلاج" لدى شيرتل، وليس عبقرية إرادة شوبنهاور، أو حتى "رجل نيتشه الجديد" المولود فيما وراء الخير والشر، هو الذي استقبل كارل بوركهارت على تلك الصخرة التي يلفحها الهواء فوق أوبرسلازبيرغ في أوائل أغسطس 1939، والذي بدا أنه يمتلك القدرة على "إعلان نهاية الحضارة"، وكان هذا رجل "الاعتلاج" نفسه هو الذي وقف بعد أسبوعين في قاعة البرغهوف الكبرى، أمام الوجه المهيب لجبل أونترسبورغ، وأعلم جنرالاته بقراره الذهاب إلى حرب.

في صباح يوم الثلاثاء، 22 أغسطس 1939، جمع هتلر هيئة أركانه العامة، المكونة من خمسين رجلاً، في صفين من الكراسي في القاعة الكبرى وأبلغهم أن الوقت قد حان لغزو بولندا. قبل أن يشرح بالتفصيل خطط عمليته العسكرية، أوضح أن نتيجة الحرب المقبلة لن تُحدَّد في نهاية المطاف من خلال المعدات العسكرية أو الاستراتيجيات المدروسة بعناية، ولكن من خلال قوة الشخصية. من خلال الإدراك الحسابي للمشهد السياسي الحالي، عدد هتلر صفات الشخصيات التي يجب أخذها في الاعتبار في الصراع القادم. كان موسوليني قوة لا يُستهان بها ويمكن اعتباره حليفاً. في إسبانيا، كان فرانكو يخوض حربه الخاصة وسيظل محايداً. "على الجانب الآخر، هناك صورة سلبية فيما يتعلق بالشخصيات الحاسمة"، قال هتلر. "لا توجد شخصية بارزة في إنجلترا أو فرنسا". لقد تفاوض معهم. كان يعلم أنهما أضعف منه. أعلن هتلر أن "أعداءنا لديهم رجال أقل من المتوسط. لا شخصيات ولا سادة ولا رجال أعمال". كان هتلر نفسه هو القوة البدائية، الرجل الذي سيحدد مسار الأحداث بإرادته وشخصيته. "يعتمد الأمر بشكل أساسي عليّ، على وجودي، بسبب نشاطي السياسي"، أضاف هتلر. "علاوة على ذلك، حقيقة أنه ربما لن يتمتع أحد مرة أخرى بثقة الشعب الألماني بأسره كما أفعل. ربما لن يكون هناك مرة أخرى رجل يتمتع بسلطة أكبر. وبالتالي، فإن وجودي هو عامل

ذو قيمة كبيرة".

ثم قدم هتلر تعليمات واضحة ومفصلة حول استراتيجية وتكتيكات وتوقيت الغزو. أثناء حديث هتلر، استدعى الكلمات التي قرأها في صحوة أنطون دريكسلر في خريف عام 1919، وكررها مراراً وتكراراً في العقود الفاصلة. استمع الجنرالات والضباط الآخرون بإخلاص. كان هتلر قد أعطى تعليمات بعدم تسجيل أي ملاحظات، لكن فرانز هالدر (Franz Halder)، رئيس أركان الجيش الألماني، تجاهل طلب هتلر وسجل الإجراءات، كما كانت عادته في جميع الإحاطات العسكرية. كان هالدر رجلاً ممتلئ الجسم، يفتقر إلى روح الدعابة، قليل الكلام ذا عيون زرقاء صلبة. لقد كره هتلر بشدة وتولى منصبه في العام السابق، حسب كلماته، لمنع هتلر من التسبب في "المزيد من الضرر". وجد نفسه الآن يكتب ملاحظات مختلفة عن كل ما سبق أن سمعه:

الهدف: إبادة بولندا – القضاء على وجودها الحي. الأمر لا يتعلق بتحقيق خط معين أو حدود جديدة، بل هو إبادة العدو بوسائل جديدة ومتكررة.

عذر الهجوم: أي سبب سيفي بالغرض. لا يُسأل المنتصر أبداً عما إذا كانت أسبابه مبررة. الأسباب الوجيهة لا قيمة لها هنا. النصر وحده هو المهم.

بالنسبة لجنرال مثل هالدر - من سلالة عسكرية فخرية لثلاثمائة عام، تدرب تحت قيادة والده في فوج المدفعية الملكي البافاري الثالث الأمير ليوبولد، واستمر في الخدمة بامتياز في الحرب العالمية الأولى، وكسب صليب حديدي من الدرجة الأولى في الأشهر الأولى من القتال - كان من الواضح، كما كان الأمر بالنسبة لأركان الجيش المجتمعين، أن هذه ستكون حرباً لم يسبق لها مثيل، ونزاعاً مسلحاً لم يشهد العالم مثله من قبل، رجل بدا أنه لا يحترم التقاليد العسكرية، لا سياسياً ولا استراتيجياً ولا تكتيكياً ولا أخلاقياً وبالتأكيد ليس عقلانياً.

الكتاب السابع

قراءات الجبهة، 1940

أن يتمكن فيلهلم الثاني من سماع الحقيقة ويقدرها أيضاً هو أمر مؤكد من خلال تصريح أدلى به على فراش موته لمساعده العام، المشير فيلهلم فون هانكي، في 8 فبراير *1912*. "الرجل الوحيد الذي أخبرني دائماً بالحقيقة".

شليفين: دراسة عن حياته وشخصيته للشعب الألماني، بقلم هوغو روش، 1921

من الواضح أن هذا المجلد الرفيع المكون من اثنتين وتسعين صفحة، بقلم الطبيب الشخصي لألفريد جراف فون شليفين (Alfred Graf von Schlieffen)، قد صُمم لإثارة الإعجاب بمنزلته التوتونية الجليلة. تمت طباعة اسم "شليفين" بخط قرمزي غامق من نوع فراكتور / Fraktur عبر حقل كهرماني من الكتان المنسوج مع اسم المؤلف والعنوان الفرعي، أيضاً باستخدام نفس الخط، باللون الأخضر الغامق الغني. نُشر شليفين في عام 1921، وهو "دراسة شخصية" للكونت البروسي الأسطوري المعروف بحكمته الإنسانية بقدر ما يُعرف بعبقريته الاستراتيجية. عندما حُثَّ على قصف باريس خلال الحرب الفرنسية البروسية، أبى شليفين، رافضاً تعريض المدنيين لأذى غير ضروري لتحقيق مكاسب عسكرية.

كما حذر شليفين الألمان من حرب على جبهتين، وكان من دعاة التراجع الاستراتيجي، في بعض الأحيان كان من الضروري التضحية بإقليم مؤقتاً لإنقاذ

بلد. وعلى وجه الخصوص، قام بتأليف "خطة شليفين"، التي نصت على غزو فرنسا من خلال مناورة الإحاطة الفعالة بشكل مذهل عبر البلدان المنخفضة، وهي مخطط التقدم الدراماتيكي لألمانيا في وقت مبكر في عام 1914. بعد عام واحد من وفاته، ومرة أخرى نُفذ مخططه بشكل معدل في عام 1939، هذه المرة بتأثير أكبر.

إلى جانب تقديم سيرة مختصرة عن مريضه السابق، قصد هوغو روش (Hugo Rochs) أن يكون كتابه بمثابة "دراسة شخصية للشعب الألماني" عن خلال تقديم الكونت الجليل ذي العين الزجاجية باعتباره تجسيداً للفضائل البروسية: الاجتهاد والتواضع والإنسانية. يتذكر روش أن شليفين، بعد انتصاره في كونيغراتس، انحنى للجنرالات الفرنسيين المستسلمين اعترافاً بمعركة خاضوها بقوة. كان قوله المنطوق "كن أكثر مما تبدو عليه، حقق الكثير، تفاخر بالقليل". كما لو كان للتأكيد على هذه النقطة، يستغني روش عن اللقب الأرستقراطي للكونت فون شليفين في عنوان الكتاب ونصه.

من المؤكد أن شليفين يُصنَّف من سير القديسين، لكن يحمل نوايا نبيلة: "ملف شخصي" يهدف إلى غرس الفخر والإلهام والتوجيه، وتذكير القراء الألمان بالإنسانية الأساسية، والكرامة في صميم التقاليد العسكرية البروسية. وبالتالي، يبدو من المربك أن نفتح هذا المجلد الضئيل من العسكرة المعتدلة والعثور على الإهداء التالي مكتوباً على الغلاف الداخلي:

مهدى إلى ڤاندي

الشعار: "بطريقة أو بأخرى"

تحية نازية، كانينبيرغ، *19* مايو *1940*

كل شيء في إهداء أرتور "ويلي" كانينبيرغ يبعث على الشعور بالإهانة. الخربشة الفجة والعشوائية للأحرف، واللون الأحمر الساطع لقلم الرصاص

والقسوة الضمنية للشعار، "so-oder-so" ("بطريقة أو بأخرى") - بغض النظر عن الوسائل أو التكاليف أو العواقب - وخاصة التحية الختامية المشحونة أيديولوجياً، "Sieg Heil"، تلك التحية الرمزية للحركة النازية، ذات النبرة العسكرية ولكن النوايا السياسية.

معظم النقوش المكتوبة في كتب هتلر كتبتها يد دقيقة وتم تصميمها لتجسيد الإعجاب، وحتى التقديس، التي تنقلها في الشكل والمضمون. تعبر ليني ريفنستال عن "إعجابها العميق" بيدٍ أنثوية وجذابة مثل شخصها. يؤكد هاينريش هيملر (Heinrich Himmler) "طاعته المخلصة" بخط دقيق وتمرُّس. يقدم هيرمان غورينغ سيرة ذاتية عن نفسه "إلى الفوهرر" بكل "الولاء والإعجاب".

على النقيض من ذلك، فإن إهداء كانينبيرغ غير رسمي، هزلي، وصلف إلى حد ما. الشعار لا يخصه بل يخص هتلر، وهو شعار كان يتذرع به كثيراً للتعبير عن هدفه الوحيد. سواء في مجال السياسة أو الشؤون الشخصية، من خلال اللطف والكرم أو الخداع والرشوة والوحشية، إنجاز الأمور بأي ثمن: بطريقة أو بأخرى. مقولة أخرى مفضلة لهتلر: "إذا فعلت شيئاً ما، فافعله دون تردد أو تفكير، بشكل كامل وقوي وبلا رحمة / wenn schon, denn schon".

يقتبس كانينبيرغ من هتلر نفس الثقة العرضية، نفس العلاقة الحميمة السهلة، التي يكتب بها اسمه، ببساطة "كانينبيرغ". وعندما يكتب كانينبيرغ: "My Führer"، كان يعني ذلك بالضبط، بالمعنى الأكثر ملكية للكلمة، **صديقه** الفوهرر.

لم يكن كانينبيرغ ينتمي إلى مجموعة المساعدين والمقربين مثل غوبلز وغورينغ وبورمان وشبير وهملر، أو إلى نصف دزينة أخرى من المقربين الذين حافظ هتلر على علاقته معهم ونصحهم له غير الرسمي. كان ينتمي

بدلاً من ذلك إلى تلك الدائرة المقربة الحميمة التي عرفت هتلر على أنه **der Chef**، أو "الرئيس": خدمه ومساعدوه مثل أوتو جونش، يوليوس شاوب، هاينز لينغ، وهانز يونغ؛ مجموعته الرباعية المكونة من الأمناء، جوانا وولف، وجيردا دارانوفسكي، وكريستا شرودر، وتراودل يونج؛ طياره الخاص، هانز بور؛ وسائقه، إريك كيمبكا.

هؤلاء هم الشخصيات الوسيمة التي تملأ ألبومات صور تلك الفترة، مجهولة الاسم ولا معنى لها في التاريخ، لكنهم أشخاص اعتبرهم هتلر "عائلة"، وكان يطمئن باستمرار على حياتهم الشخصية ويتدخل في بعض الأحيان. أصر على أن يتزوج مديره في البرغهوف، هربرت دورينغ، من خادمة كانت تحمل طفل دورينغ. حث تراودل هومبس على الزواج من هانز يونج، وكان إشبيناً في حفل زفاف إريك كيمبكا. عاملهم كعائلة لكنه تمكن من طردهم على الفور. كان كانينبيرغ فريداً من بين هذه الدائرة الضيقة، من سفاح المحارم والخداع.

باعتباره مدبر البيت في مستشارية الرايخ، مدير الشؤون الاجتماعية لهتلر، كان كانينبيرغ مسؤولاً عن تنظيم المهرجانات للزيارات الرسمية والحفلات الفنية، ولكن كان اختصاصه في الواقع أوسع من ذلك بكثير. في عام 1936، عندما طرد هتلر أخته غير الشقيقة، أنجيلا روبال، بصفتها مدبرة منزله ومضيفة مقيمة في البرغهوف، كان يطلب بانتظام من كانينبيرغ وزوجته إعداد منزل في جبال الألب لزيارات الشخصيات المرموقة. في عيد الميلاد، أرسل هتلر كانينبيرغ للبحث عن الهدايا في أرقى المتاجر في برلين، والتي عرضها كانينبيرغ بعد ذلك على طاولة غرفة الطعام أمام هتلر في شقة مستشارية الرايخ.

كان كانينبيرغ رجلاً ثقيل الوزن، سميك العنق، أحمر الخدود، في منتصف العمر، يمتلك غطرسة عابرة، لبقاً بطريقة جذابة، وسريع الملاحظة. كانت زوجته المغناج ذات الشعر الداكن تدير متجراً للزهور في فندق آدلون / Adlon

الأنيق في برلين. التقى هتلر لأول مرة مع كانينبيرغ في أوائل الثلاثينيات، في Uncle Tom's Cabin، وهو مطعم صغير كان كانينبيرغ يديره بالقرب من محطة قطار آنالتر / Anhalter في برلين والذي كان يتردد عليه كل من غورينغ وغوبلز. كان هتلر مغرماً جداً بالمطبخ النباتي وأسلوب كانينبيرغ السهل، لدرجة أنه وظفه للمساعدة في إدارة مقر الحزب النازي في ميونيخ، وبعد الاستيلاء على السلطة، نصَّبه في برلين لتنظيم حفلات الاستقبال الكبرى وحفلات العشاء الرسمية. كان اهتمام كانينبيرغ بالتفاصيل أسطورياً: لقد أرسل ذات مرة طائرة إلى درسدن للحصول على أوزة واحدة، وقام بتنسيق ومطابقة ألوان الزهور التي قدمتها زوجته، مع الأعمال الفنية على الجدران. كان يتمتع بثقة سهلة، وكان مرتاحاً في بدلة سوداء رسمية كما يرتاح بارتدائه مئزراً. كان يعرف أيضاً كيف يلفت انتباه الحاضرين. كان يقاطع هتلر بسخرية أو تعليق، أو يضحك الجمهور بنكتة، أو يملأ الغرفة بالبهجة بأغانيه.

"لم يكن كانينبيرغ طاهياً ممتازاً فحسب، بل كان أيضاً مسرحياً ممتازاً، وقد باركه الله حرفياً بذكاء وفكاهة برلينية"، تتذكر كريستا شرودر ذات مرة. "لقد أذهل جمهوره من خلال جولات الأغاني الشعبية والتهريج التي كان يرافقها غالباً عزفه على الأكورديون". قارنه شرودر بمهرج البلاط الذي يمتلك "حرية الأحمق" - Narrenfreiheit - بحضور هتلر. كتب غوبلز ذات مرة في مذكراته: "أمسية مع الفوهرر لتناول العشاء. نحن نتجادل حول المسائل العسكرية والسياسية. يروي كانينبيرغ قصص حربه. إنهم غريبون جداً". لكن هتلر أحب أسلوب كانينبيرغ. لقد وثق أيضاً في حُكم كانينبيرغ ضمنياً. عندما اشتكى كانينبيرغ من أحد مساعدي هتلر، أطلق هتلر النار على الرجل على الفور. عندما احتج مساعد هتلر الرئيسي، فيلهلم بروكنر (Wilhelm Brückner)، مُصراً على أن شكاوى كانينبيرغ غير مبررة، أقال هتلر بروكنر، على الرغم من مرور أكثر من عقد على خدمةٍ مخلصة.

يمكن أن يكون كانينبيرغ متعجرفاً، ثرثاراً، ماكراً، وعديم الرحمة، ولكنه لم يكن أبداً أحمقَ. كان يعرف متى يقاطع هتلر ويقوده، ولكن أيضاً متى يجب أن يداعبه. وهكذا عندما أهدى كانينبيرغ كتاب شليفين إلى "ڤاندي"، واقتبس من هتلر نفسه، كرر "شعارهم" بمكر، هذه المرة بقلم رصاص أزرق، بنفس اليد الخام، في الصفحة الأخيرة من الكتاب، بعد تحديد جملة روش الختامية: "سوف تجد طريقك مرة أخرى، أيها الشعب الألماني، وسيصبح رجل عظيم من مملكة العبقرية مرة أخرى قائدك - من الظلام إلى النور - سيكون كل شيء على ما يرام". كانت هذه طريقة كانينبيرغ بإعلام هتلر أنه كان على دراية كاملة بمكانته في حياة هتلر، ومكانة هتلر في العالم.

في مسحه لمكتبة هتلر الخاصة، ذكر فريدريك أوشسنر (Frederick Oechsner) أن ما يقرب من نصف مجموعة الزعيم النازي، "حوالي 7000 مجلد"، كانت مخصصة للمسائل العسكرية. وفقاً لـ أوشسنر، كانت لهتلر كتبٌ عن "حملات نابليون والملوك البروسيين وحياة جميع الحكام الألمان والبروسيين الذين لعبوا دوراً عسكرياً في أي وقت مضى؛ وكتبٌ عن جميع الحملات العسكرية المعروفة تقريباً في التاريخ المُسجل". يلاحظ أوشسنر أن الكتب المتعلقة بحملات نابليون "تحتوي على الكثير من الهوامش بخط يد هتلر"، وأن مجموعة من "400 كتاب ومنشورات ودراسات عن القوات المسلحة للولايات المتحدة" قدمها الجنرال فيرنر فون بلومبيرغ (Werner von Blomberg) إلى هتلر قد تمت دراستها. على وجه التحديد، يذكر أوشسنر وجود رواية ثيودور روزفلت (Theodore Roosevelt) عن الحرب الإسبانية الأمريكية، وكتاب للجنرال فريدريك فيلهلم فون شتوبين (Friedrich Wilhelm von Steuben) عن تجاربه في تدريب قوات جورج واشنطن خلال الثورة الأمريكية. يقول أوشسنر: "هناك أعمال شاملة حول الزي الرسمي والأسلحة والإمداد والتعبئة وبناء الجيوش في وقت السلم والروح المعنوية والمقذوفات... في الواقع، ربما

لا توجد مرحلة واحدة من المعرفة العسكرية، قديمة أو حديثة، لم يتم تناولها في هذه المجلدات البالغ عددها 7000 مجلد، ومن الواضح تماماً أن هتلر قد قرأ الكثير منها من الغلاف إلى الغلاف".

وفقاً لرواية هتلر الخاصة، يعود اهتمامه بالمسائل العسكرية إلى شبابه، عندما صادف نسخة من مجلدين لتاريخ الحرب الفرنسية البروسية لهينريش غيرلينغ (Heinrich Gerling)، كما يشرح هتلر في الصفحة 7 من كفاحي:

أثناء البحث في مكتبة والدي، عثرت على كتب مختلفة ذات طبيعة عسكرية، من بينها طبعة شهيرة عن الحرب الفرنسية الألمانية *1870-1871*. كان يتألف من عددين من دورية مصورة من تلك السنوات، والتي أصبحت الآن مادة القراءة المفضلة لدي. لم يمض وقت طويل قبل أن يصبح النضال البطولي العظيم أعظم تجربة داخلية خضتها. منذ ذلك الحين فصاعداً، أصبحت متحمساً أكثر فأكثر لكل ما يتعلق بأي شكل من الأشكال بالحرب أو بالجنود.

تذكر هيرمان إيسر، أحد الأوائل الذي جندهم ديتريش إيكهارت لخدمة القضية النازية، أنه خلال عشرينيات القرن الماضي، تغيرت عادات هتلر في شراء الكتب، خاصة بعد إطلاق سراحه من سجن لاندسبيرغ. يتذكر إيسر قائلاً: "في هذه السنوات، أنفق هتلر أموالاً أكثر من ذي قبل لشراء كتب عن التاريخ العسكري... ليس فقط عن التاريخ البروسي، ولكن أيضاً على وجه الخصوص التاريخ العسكري النمساوي والفرنسي. لقد اشترى نوعاً ما أي شيء كان متاحاً في ميونيخ، كل ما سمع عنه أو وجده في المكتبات كان ينقله في نزهاته العرضية أو مشياً إلى مقهى هيك / Heck". في تلك السنوات التي سبقت قيام الحزب النازي بتأسيس مقره الرئيسي في شارع شيلينغ في شوابينغ، حي

العالم في ميونيخ، نادراً ما كان هتلر يزور المكتبات التي لا تعد ولا تحصى والقريبة من الجامعة، مفضلاً بدلاً من ذلك، تصفح المكتبات الأثرية بالقرب من مقهى هيك. يتذكر إيسر أن هتلر كان لديه شغف خاص بـ "التقويمات" السنوية للمعدات العسكرية. وأشار إيسر إلى أنه "كان يشتريها كل عام. ثم للمقارنة، كان يشتري النسخة الإنجليزية، ثم الفرنسية والروسية".

اليوم، تحافظ مكتبة هتلر على هذا الشغف المتخصِّص لدى هتلر في ما يقرب من اثني عشر "تقويماً / almanachs" حول السفن البحرية وكذلك الطائرات والعربات المدرعة - وقد نشر العديد منها يوليوس ليمان. يعود تاريخ بعضها إلى هذه السنوات المبكرة، مثل طبعة 1920 من غزو السماء: دليل لتقنيات النقل الجوي والطيران، مع مقدمة بقلم الكونت فرديناند فون زيبلين (Ferdinand von Zeppelin)؛ بعضها مشتريات لاحقة، مثل نسخة 1935 من كتاب هيغل دليل عن الدبابات، الذي ينص على إجراء تحليل مفصل لـ "أصول" المركبات المدرعة بالإضافة إلى "دليل تحديد" العديد من الكتب حول السفن البحرية، بما في ذلك كتيب عام 1935، أساطيل العالم وقوتها القتالية، مع مقدمة بقلم الأدميرال المتقاعد والتر جلاديش (Walter Gladisch)؛ وطبعة عام 1940 من دليل واير لأساطيل الحرب، لمؤلفه ألكسندر بريدت (Alexander Bredt). هذا المجلد الأخير مهترئ بشكل كبير.

أقدم مجلد عسكري موجود بحوزة هتلر هو نداء مؤلف من 111 صفحة إلى القومية المتشددة، كتبه القومي الألماني المبكر إرنست موريتز آرنت (Ernst Moritz Arndt)، ونُشر عام 1815 بعنوان التعليم المسيحي للمحارب والمدافع التوتوني، حيث يتم تعليمه كيف يكون محارباً مسيحياً وكيف يدخل المعركة بصحبة الله، مع إهداء شخصي لهتلر من حفيدة آرنت. هناك أيضاً كتاب تاريخ قديم من عام 1902 لتحصينات ستراسبورغ، "من إعادة إعمار المدينة بعد الهجرات العظيمة حتى عام 1681".

تحتوي مكتبة هتلر أيضاً على عدد قليل من السير الذاتية، بما في ذلك ملف عام 1921 عن يوليوس قيصر لماتياس غيلزر (Matthias Gelzer)، وعشرات الكتب أو نحو ذلك عن فريدريك العظيم، وتلك الخاصة بالبطلين العسكريَّين البروسيَّين من العصر النابليوني، كارل فون شتاين وفريدريش فيلهلم فون بولو، وإن لم نجد كتاباً واحداً عن نابليون أو حملاته. مجموعة مقالات لكارل فون كلاوزفيتز، الحرب والدولة، تُرجم إلى فلسفة الحرب والكتابات السياسية، في طبعة عام 1936، أهداها المحرر إلى هتلر، ولكن يبدو أنه لم يتم الاطلاع عليها مطلقاً. في كتاب هتلر الوحيد عن هيلموث فون مولتك "الزعيم" (Helmuth von Moltke)، تظل الصفحات غير مقطوعة. وبالمثل، فإن كتاباً عن ألفريد فون شليفين للكاتب كارل جوسترو (Karl Justrow)، المشير الميداني وتقنيات الحرب: دراسات حول الخطط التشغيلية للكونت فون شليفين ودروس لإعادة التسلح والدفاع الوطني، نُشر في عام 1933، لا يُظهر أيضاً أي علامة على قراءته. ومع ذلك، فإن كتاباً آخر عن الجنرال البروسي الأسطوري، وهو الكتاب الذي قدمه كانينبيرغ لهتلر، لم يُقرأ فحسب، بل يحمل أيضاً هوامش واسعة النطاق.

في ساعات الصباح الباكر من يوم الجمعة، 10 مايو، سافر هتلر إلى "عش الصخرة / Felsennest" تُرجمت بشكل مختلف باسم "الجرف الصخري" أو "العش على الجرف" - موقع قيادة مُشجَّر على قمة تل في أعماق غابات إيفل، على بعد عشرين ميلاً جنوب غرب بون وعشرات الأميال أو نحو ذلك من الحدود البلجيكية. وصل إلى هناك بعد رحلة قطار ليلية متعمدة - انطلق القطار شمالاً من برلين باتجاه هامبورغ ثم، قبل منتصف الليل بقليل، عكس مساره باتجاه الجنوب الغربي، ووصل إلى بلدة أوسكيرشن، بالقرب من الحدود البلجيكية، في الساعة 4:25 صباحاً. استقبله رتل من المركبات العسكرية، ثم سافر بعد ذلك لمدة نصف ساعة إلى عش الصخرة. بدا هذا الموقع، وهو عبارة عن مجموعة من الأكواخ الخشبية والمخابئ تحت الأرض،

وبدا المعسكر ريفياً أكثر من كونه مقراً عسكرياً. كانت "غرفة العمليات" عبارة عن هيكل خشبي من طابق واحد بسقف مرتفع مموه، وشرفة صغيرة مع درابزين خشبي، ونافذة مغلقة بطول الغرفة يمكن فتحها للضوء الطبيعي عندما يسمح الطقس بذلك. كان هتلر مقيماً في ملجأ منخفض تحت الأرض بسقف من العشب ومدخل بزاوية يفتح للخارج مثل أبواب القبو.

تُظهر صورة داخلية لغرفة نوم هتلر مساحة ضيقة ومتقشفة مفروشة بأريكة نوم مخططة وطاولة كتابة بسيطة. يشترك السخان الكهربائي في مساحة الحائط مع كرسي خوص رباعي الأرجل. فوضى من أكثر من ثلاثين كتاباً في عدة أكوام تشغل حيزاً في نهاية سريره؛ مجموعتان منظمتان، إحداهما تحتوي على أربعة مجلدات والأخرى ثلاثة مجلدات، في الزاوية. توجد عدسة مكبرة كبيرة على طاولة جانبية. تذكر المشير الميداني فيلهلم كايتل (Wilhelm Keitel) أن الجدران الداخلية كانت رقيقة جداً - hellhörig - لدرجة أنه كان يسمع هتلر يقلب الصفحات في الليل.

في تمام الساعة 5:35 صباحاً من عاشر يوم في ذلك الشهر، بدأ الغزو. جمع حاشيته أمام مخبئه المحصن، مع نقيق الطيور في الأشجار المحيطة، أعلن هتلر، "أيها السادة، بدأ الهجوم على الحلفاء الغربيين الآن". خلال الأيام التسعة التالية، راقب هتلر تقدم العملية العسكرية، غالباً في الهواء الطلق، متتبعاً الانتصارات الألمانية الواحد تلو الآخر.

بحلول يوم الأحد، التاسع عشر، كانت هناك "أخبار سارة" على جميع الجبهات. "بعد القضاء على المقاومة النهائية في جزيرة والشيرين، أصبحت كل هولندا بما في ذلك جزرها الآن في متناول اليد"، يدون السجل اليومي لسجلات القيادة العليا الألمانية. "في شمال بلجيكا، تضغط قواتنا، التي استولت بالفعل على آنتويرب كما ورد سابقاً، على قوات العدو المتبقية التي لا تزال تقاتل في أقصى الغرب". في غرب آنتويرب، عبرت القوات الألمانية نهر شيلدي، ووصلت

إلى الضفة الشرقية لنهر دندر غرب بروكسل. كانت الأنباء الواردة من شمال فرنسا مشجعة بنفس القدر. تم عبور نهرَي أويز / Oise وسامبر / Sambre. وأصبحت كل من بلديتَي لو كاتو / Le Cateau وسان كوينتن / Saint-Quentin الفرنسيتين في أيدي الألمان. على طول خط مينو / Maginot، سلّم الفرنسيون معقلاً رئيسي، الموقع 505، شمال غرب مونميدي / Montmédy. ويخلُص السجل إلى أن "أعداد الأسرى والأسلحة المُغتنمة آخذة في الارتفاع: حتى الآن تم أسر 110,000 من دون احتساب الجيش الهولندي والعديد من قطع المدفعية حتى عيار 28". تخلل كانينبيرغ روح ذلك الأحد بتحيته المنتصرة، "Sieg Heil!".

عندما أهدى كانينبيرغ سيرة شليفين، كان هتلر على بعد أسابيع قليلة من الإشادة به من قبل رئيس أركان الفيرماخت، فيلهلم كيتل، باعتباره "أعظم مشير ميداني في كل العصور". في سبعة أشهر وجيزة، شن هتلر سلسلة من الهجمات الخاطفة ضد بولندا والدول الاسكندنافية، والآن فرنسا وبلجيكا وهولندا، وانتزع لوكسمبورغ على طول الطريق. لقد تركت انتصاراته الدرامية الأصدقاء والأعداء على حد سواء في حالة من الرهبة من الطاغوت الألماني، ووضعت نصف أوروبا تحت الهيمنة النازية.

للوهلة الأولى، يمكن اعتبار إهداء كانينبيرغ يوم الأحد في الواقع بمثابة تحية للنصر الألماني، وإشارة إلى براعة رئيسه في ساحة المعركة، ولكنه قد يكون أيضاً بمثابة صفعة لكذب كانينبيرغ الشهير والخفي، وهو تلميح إلى التوتر المبطن الذي يخيم على برودة التلال في نهاية ذلك الأسبوع. يوم الجمعة، اشتبك هتلر مع فرانز هالدر بعد أن فعل شيئاً لم يفعله من قبل: التدخل في قرار عسكري تكتيكي. حتى ذلك الحين، كان دور هتلر في العمليات القتالية زخرفياً بشكل أساسي. كان حاضراً في كل مكان في ساحة المعركة وفي نظر الجمهور، خاصةً عندما كانت كاميرات النشرة الإخبارية تطن: التشاور مع جنرالاته، ودراسة

الخرائط، ومسح ساحة المعركة، والتجول في الخطوط الأمامية، والدردشة مع الجنود الذين أنهكتهم الحرب ولكنهم مبتهجون. ولكن فيما يتعلق بالمسائل العملياتية، كان الجنرالات يتجاهلون تدخله أو يقاومونه.

في صيف عام 1938، اشتبك هتلر مع هالدر حول مشروع خطة غزو تشيكوسلوفاكيا. بدلاً من الهجوم المنسَّق على براغ، كما أوصى هالدر، اقترح هتلر تقسيم الجيش الألماني لشن هجوم مزدوج على براغ وبيلسن. جادل هالدر بأن القوات الألمانية لم تكن قوية بما يكفي لشن هجوم ذي شقين. عندما أصر هتلر، سلمه هالدر الخرائط وطلب منه إجراء التغييرات بنفسه. عاد هتلر إلى برلين وأجرى تعديلاته، وأرسل الخطة المنقحة إلى هالدر. بعد بضعة أسابيع، استفسر هتلر من هالدر عن التغييرات. قيل له إنها وصلت بعد فوات الأوان ليتم دمجها في الخطة. كان هتلر غاضباً، واستدعى هالدر وكبار موظفيه. اشتبك الرجال حول الخطة لعدة ساعات. لن يلين هالدير. أخيراً، قرابة الساعة الثالثة صباحاً، لم يعد هتلر قادراً على التحمل. أمر هالدر بإجراء التغييرات. برباطة جأش جليدية، غادر هالدر القاعة.

"ما الذي يريده؟" قال هالدر بغضب مخاطباً كيتل في الردهة.

أجاب كيتل: "إذا لم تكن قد فهمت ذلك، فأنا أشعر بالأسف من أجلك".

جعلت اتفاقية ميونيخ الخلاف موضع نقاش، ولكن بعد أربعة أشهر، عندما أعلن هتلر عن نيته غزو بولندا، قاوم هالدر وموظفوه مرة أخرى، وجاء ردهم على اقتراح هتلر بـ "كتيبة حديدية" من الشك. بمجرد بدء القتال في بولندا، لم يتدخل هتلر أبداً. وأشار كيتل لاحقاً: "أتذكر حالتين فقط من هذا القبيل. مرة عندما أمر هتلر بتعزيزات للجناح الشمالي الذي كان يهاجمُ من شرق بروسيا، ومرة ثانية عندما تدخل في عمليات جيش بلاسكويتز لأنه كانت لديه مخاوف جدية. بخلاف ذلك، اقتصر دور هتلر على تبادل الآراء والاجتماعات مع رئيس الأركان، وكذلك الاقتراحات، دون التدخل في الأوامر الفعلية".

عندما حاول هتلر التدخل، قاوم جنرالاته. مباشرة بعد سقوط بولندا، أمر هتلر هالدر بالتحول غرباً وغزو فرنسا. قال هالدر لا. أخبر هتلر أن الجنود الألمان مرهقون وأن معداتهم بحاجة إلى الإصلاح. وقال أيضاً إن خطة الغزو التي اقترحها هتلر كانت "ضربة قاضية غير متخيلة" - ein fantasieloser Abklatsch - لخطة شليفين، التي تم إثبات عيوبها بالفعل خلال الحرب العالمية الأولى.

استجابت هيئة الأركان العامة لخطتهم المعدلة. في الواقع، استخدمت النسخة النهائية طريق شليفين المطوق عبر البلدان المنخفضة، ولكن مع تعزيزين هامين: غزو هولندا لمنع أي إنزال بريطاني والتوجه إلى الساحل الفرنسي بدلاً من باريس. بحلول أواخر الخريف، كان السؤال الوحيد الذي لم يتم حله هو تاريخ التنفيذ، والذي تُرك أمر تحديده لهتلر. أجل الغزو ثمانية وخمسين مرة طوال الشتاء والربيع، متحققاً من الرسوم البيانية للطقس - والبعض يقول الرسوم البيانية الفلكية - يومياً، في انتظار اللحظة المثالية.

أصبحت الفترة معروفة باسم Sitzkrieg – الحرب الزائفة. شعرت هيئة الأركان بالفزع من تردد هتلر حتى صباح يوم الجمعة 10 مايو، عندما بدأت الآلة الحربية الألمانية بالتحرك مرة أخرى. كتب هالدر لزوجته يوم الاثنين "عمليتي تجري مثل فيلم جيد. بنعمة الله غير المستحقة".

في البداية، كان هتلر راضياً عن مراقبة تقدم المعركة، وعرض اللقطات الدعائية لـ هينريش هوفمان، والانخراط في قراءاته المعتادة في وقت متأخر من الليل. ولكن عندما شاهد التقدم الدراماتيكي لألمانيا على الخرائط، شعر بالتوتر. كان قلقاً من أن فرق الدبابات كانت ترهق نفسها. طمأن هالدر، الذي كان يتفقد الجبهة يومياً، هتلر أن كل شيء على ما يرام. كان الألمان يحرزون تقدماً قوياً، وسيستغرق الأمر من الفرنسيين أسبوعاً كاملاً لتعبئة هجوم مضاد. استدعى هالدر الجنرال فون مولتك، الذي كان قد جلس بهدوء أثناء معركة

كونيغراتس الحاسمة وهو يدخن سيجاراً مع اندلاع القتال. خطة معركة جيدة لا تحتاج إلى تعديل.

لكن بعد أسبوع من الحملة، أصيب هتلر بالذعر. خوفاً من هجوم مضاد من الجنوب، أمر فرقة الدبابات الثانية عشرة، التي كانت في طريقها مسرعة نحو بلدة دونكيرك الساحلية، بالتوقف تماماً. شل تدخله القيادة الألمانية العليا. في ذلك المساء، بعد الساعة الثامنة بوقت قصير، تلقى هالدر مكالمة بأوامر صريحة من هتلر لإبقاء الجيش السادس عشر في الاحتياط. "[الجنرال. فالتر فون] رايخيناو (Reichenau) لديه الأمر بالانضمام إلى الفيلق مع الجيش الرابع عبر مدينة مونس". أشار هالدر في مذكراته مساء يوم 17 مايو. "هذا ممكن فقط من خلال الهجوم. الآن، هو لا يعرف ماذا يفعل". بحلول صباح اليوم التالي، تحول الارتباك إلى فوضى.

مع العلم الألماني الذي يرفرف فوق قاعة المدينة في آنتويرب، انسحب البريطانيون بشكل منهجي من بلجيكا لإقامة خط دفاعي في أقصى الجنوب. ولا يزال الفرنسيون غير قادرين على تعبئة احتياطياتهم بشكل فعال، أدرك هالدر صحة تقييمه للوضع، وأن على الألمان المضي قدماً بالسرعة القصوى. كانت كل ساعة "ثمينة". في ذلك الصباح، حوالي الساعة العاشرة صباحاً، اشتبك هالدر مع هتلر، الذي كان قد طور اهتماماً غير منطقي بالجناح الجنوبي. أشار هالدر في ذلك الصباح: "إنه غاضب وصرخ بأننا في طريقنا إلى تدمير العملية برمتها ونهيئ أنفسنا للهزيمة... إنه لا يريد استمرار أي عملية في الغرب، ناهيك عن الجنوب الغربي".

في حين أن آلة الدعاية الخاصة بغوبلز يمكن أن تتبجح ببراعة هتلر العسكرية أمام الشعب الألماني والعالم، إلا أنه داخل الدوائر الضيقة لهيئة الأركان العامة، ظل هتلر دخيلاً، والأسوأ من ذلك كله، كان دخيلاً وخطيراً. كانت تجربة العريف في الخطوط الأمامية التي خدمته جيداً في حياته

السياسية بمثابة عائق في ساحة المعركة. لاحظ أحد الجنرالات لاحقاً: "لقد كان يفتقر إلى التدريب الشامل لقائد عسكري بما يسمح للشخص بالمخاطرة العالية في عملية ما لأنه يعلم أنه قادر على إتقانها". وافق هالدر. "الثقة بالنفس للمارشال الذي يستطيع أن يترك لمرؤوسيه حرية العمل في سياق مشروع جيد التخطيط - وهو سر حسن أسلوب قيادة مولتك - كان غائباً عن هتلر". تحدث هالدر، مستشهداً بمفردات يتردد صداها عبر مهنة هتلر وتترسخ في الكثير من قراءته، عن "مبتدئ عديم الخبرة"، عن "إرادة يقودها حدس مظلم"، والأهم من ذلك، عن "انعدام الثقة الداخلية" الذي لا لبس فيه.

قبل عقدين من الزمان، عندما واجه هتلر رفض أولئك المتعلمين الأفضل تعليماً، والأفضل تدريباً، والأكثر كفاءة منه بشكل واضح، كان عليه أن يستدير ويهرب. لكنه الآن تمسك بموقفه. كان قد قرأ كتابه الكلاسيكي لـ كلاوزفيتز، حول الحرب، والذي كان من بين الكتب في شقته الأولى في شارع تيرتش. خلال محاكمته عام 1924، استلهم هتلر كلاوزفيتز في الملاحظات الختامية في محضر دفاعه. "من الأفضل أن يموت شعب في صراع مشرف، لأنه بعد هذا الانهيار فقط يمكن أن تكون هناك قيامة"، قال متهيجاً، مستشهداً بالنص البروسي حرفياً. "ولكن ويل للناس الذين يعرّضون أنفسهم طوعاً لعار الظلم والعبودية! مثل هؤلاء الناس ضاعوا".

في الفصل الأخير من كتاب كفاحي، عندما كتب هتلر عن سقوط قرطاج، استدعى مفاهيم كلاوزفيتز حول "وصمة الخضوع الجبان" والولادة الجديدة من خلال "النضال المشرف". لم يكن قد تشرب فقط حكمة كلاوزفيتز ومولتك وشليفين حرفياً، ولكنه أيضاً استخلص كميات هائلة من البيانات التقنية من "التقويمات" السنوية للمعدات العسكرية. قال أوتو ديتريش، سكرتيره الصحفي، ذات مرة: "كانت لديه معرفة استثنائية بالأسلحة. على سبيل المثال، كان يعرف جميع السفن الحربية في العالم بقدر ما تم سردها في [...] الأعمال

المرجعية. يمكنه أن يستحضر بالتفصيل من الذاكرة عمرها، وزنها وسرعتها، قوة دروعها، أبراجها وأسلحتها. كانت معرفته كبيرة بأحدث بناء مدافع ودبابات كل بلد". حتى ناقد قاسٍ مثل هالدر، اعترف على مضض بقدرة هتلر الاستثنائية. "إشارة إلى القوة المادية للجيش الروسي، ولا سيما العدد الكبير البالغ 10,000 دبابة، أطلق العنان لرد من هتلر استمر أكثر من ربع ساعة، حيث استشهد من ذاكرته بالإنتاج السنوي للروس على مدار العشرين عاماً الماضية". تذكر هالدر.

كما حفظ هتلر كتابات كارل ماي. على عكس جنرالاته، درس قصص مغامرات ماي في الغرب الأمريكي، ولاحظ عن كثب المهارات التكتيكية والماكرة التي يتمتع بها وينيتو، بطل ماي للأمريكيين الأصليين، الذي جمع بين التخفي والمفاجأة لخداع خصومه والتغلب عليهم. مرهَقاً من "الشكوك الأبدية" لجنرالاته حول "أفكاره العظيمة"، وبسبب ضجرهم لقلة الخيال والجرأة لديهم، أوصى هتلر لهم بكتب ماي كوسيلة لشحذ براعتهم في ساحة المعركة، وأصدر طبعة ميدانية خاصة بالجنود في الجبهة. لاحظ ألبرت شبير لاحقاً: "كان هتلر معتاداً على القول إنه كان دائماً متأثراً بشدة بالبراعة التكتيكية والحذر اللذين أعطاهما ماي لشخصيته وينيتو. ويضيف أنه خلال ساعات قراءته في الليل، عندما يواجه مواقف ميؤوساً منها على ما يبدو، كان لا يزال يحاول الوصول إلى تلك القصص، التي منحته الشجاعة مثل الأعمال الفلسفية لآخرين أو الكتاب المقدس لرجال الدين".

عندما أهدى كانينبيرغ سيرة روش لهتلر بعد تسعة أيام من الحرب الخاطفة ضد الغرب، أشار إلى تلك المقاطع التي أراد أن يقرأها هتلر. في الصفحة الافتتاحية للفصل الرابع، صاغ كانينبيرغ عنوان الفصل، "خطة معركة شليفين للحرب على جبهتين"، التي تحذر من مخاطر القتال على جبهتين في

ألمانيا، بخط رأسي وآخر بزاوية، مثل سقف منحدر. وضع كانينبيرغ بين قوسين المقطع التالي بخط سميك:

ولكـن بعـد ذلـك مـرة أخـرى: طالمـا ظـل شـليفين عـلى رأس هيئـة الأركان العامـة، كان الدفـاع عـن الرايـخ في أيـد أمينـة. يعتقـد شـليفين أنـه وجيشـه متسـاوون مـع أي تحالـف. محـق في ذلـك! كـما يؤكـد [المعـاون أوتـو فـون] غوتـبرغ، وراء قنـاع الانضبـاط الـذاتي المتحكـم فيـه، أخفـى روحـه الناريـة وصفـة نجـاح خطتـه غـير المعروفـة حتـى الآن. يمتلـك شـليفين الإيمـان النـادر بالنصـر المسـتمد مـن القـوة التـي لا تُقـاوم والتـي لا تُقهـر والتـي تشـكلت بتأثـير القائـد الحقيقـي - الفوهـرر - الـذي، مثـل قـوة الطبيعـة، سـحق كل مقاومـة.

في الهامش الأيمن، سلط كانينبيرغ الضوء على الجملة التالية بقوس ثانٍ أصغر: "ما هي الزلّات والأخطاء التي يرتكبها عدد قليل من الضباط المرؤوسين في سياق خطته التوسعية التي هي في حد ذاتها ضمان للنصر؟" اتبع هتلر خطى كانينبيرغ. في سلسلة من الهوامش، يتمهل هتلر في النص، ويلتقط قلمه جملاً فردية أو فقرات كاملة ويضع علامة عليها. قد يظن المرء أنه قرأ الكتاب في غضون أيام من إهداء كانينبيرغ له، لأن ما اختار التركيز عليه أبلغ عن القضايا ذاتها التي كان يتصارع معها في ساحة المعركة.

هنا نرى هتلر يجمع قطع "الفسيفساء" للمساعدة في تبرير غزوه بأثر رجعي للبلدان المنخفضة. يشير في الصفحة 47: "نظراً لأن الجبهة الفرنسية الشرقية كانت تُعتبر قوية للغاية، كما تم تأكيده في الحرب ضد فرنسا، كان من الضروري اتباع الطريق عبر لوكسمبورغ وبلجيكا. مجرد وصية للحفاظ على الذات إذا كان المرء لا يريد مواجهة هزيمة الحملة منذ البداية". هناك علامات أخرى على الصفحة 53، حيث يتحدث روش عن مؤامرات إنجليزية

ضد القارة.

"لكن [الحرب العالمية الأولى] أظهرت أيضاً أن بريطانيا العظمى، بالاتفاق مع الحكومة البلجيكية، كانت تستعد منذ فترة طويلة للاحتلال العسكري لبلجيكا؛ لقد جاء هذا بعد فوات الأوان للأغراض العسكرية"، كتب روش، وكان قلم هتلر يتتبع باهتمام. "وبالتالي، بالنسبة لأي شخص شاهد مرفق المرفأ في زيبروغ مع الطرق المجاورة وشبكة السكك الحديدية الواسعة، كان من الواضح أن هذه المنشأة الضخمة على مقربة من آنتويرب كان يمكن بناؤها ليس فقط بغرض التجارة ولكن من أجل هبوط الجيش في الأراضي الإنجليزية".

هذه المقاطع المظللة إما أطّرت أو أكملت رؤيته للواقع والتاريخ، ولكن في صفحات أخرى، نجد أنه يسلط الضوء على قضايا أكثر إلحاحاً، كما في الصفحة 63، حيث يتحدث روش عن الأهمية الاستراتيجية لمدينة ساحلية صغيرة بالقرب من فرانكو - الحدود البلجيكية. كتب روش: "لاحظ شليفين بشكل متكرر وبسرور خاص أنه حتى فريدريك العظيم، وإن كان في سياق مختلف نوعاً ما، فقد تحدث، في مقترحاته للحرب ضد فرنسا، عن فكرة تطويق وحصار دونكيرك من الشمال من خلال الجناح اليميني فوق أبفيل". رسم هتلر خطاً غامقاً بجانب هذا المقطع.

أن تجذب دونكيرك انتباه هتلر في هذه الأيام ليس مفاجئاً لأنه، كما رأينا، في 17 مايو أمر فرقة الدبابات الثانية عشرة بوقف تقدمها نحو دونكيرك في أبفيل. علمت القيادة العسكرية الألمانية أنه ارتكب خطأ.* قدم هتلر تفسيراً آخر. "عندما وردت أنباء عن شن العدو هجوماً على طول الجبهة بأكملها،

* اشتبه هالدر بأن هتلر أراد حرمان الجيش من الانتصار لقهر جنرالاته. وتسليم مهمة تدمير قوة المشاة البريطانية المحاصرة إلى سلاح الجو التابع له بقيادة هيرمان غورينغ، باعتبارها حيلة دعائية.

كان من الممكن أن أبكي من الفرح"، يتذكر هتلر لاحقاً. "لقد وقعوا في الفخ! كان من الصواب ترك الهجوم يبدأ في لوتيش. لقد قدناهم إلى الاعتقاد بأننا كنا متمسكين بخطة شليفين القديمة. بعد يومين من الوصول إلى أبفيل، يمكن توجيه الهجوم جنوباً". بينما توقف الألمان عن العمل، تم إجلاء أكثر من ثلاثمائة ألف جندي من قوات الحلفاء.

وفقاً لحساباتي، هناك 32 تدخلاً مشاراً إليه بالقلم الرصاص على عشرين صفحة تشكل الفصل الرابع من سيرة شليفين، ينعكس معظمها بطريقة أو بأخرى على الحملة في فرنسا. في حين أن هذه العلامات تشير إلى بعض القضايا التاريخية والاستراتيجية التي شغلت أفكار هتلر في تلك الأيام، إلا أنها كلها تقريباً ذات طبيعة رجعية. إذا كان هناك أي هامش ذي أهمية تاريخية محتملة، فسيكون هناك العديد من المقاطع المميزة في الصفحتين 60 و61 حيث يناقش روش الحرب على جبهتين.

رأى شليفين أن ألمانيا عالقة بين تهديدَين عسكريَين رئيسَين: فرنسا وإنجلترا من الغرب، وروسيا من الشرق. لقد شعر أن ألمانيا بحاجة أولاً إلى تأمين حدودها الغربية قبل التعامل مع روسيا. بالنسبة لشليفين، كانت هزيمة إنجلترا وفرنسا ذات أهمية قصوى لدرجة أنه كان على استعداد لتقديم تضحيات إقليمية استراتيجية في الشرق، واستدعى ذكرى فريدريك العظيم لتعزيز حجته: "يجب علينا التضحية. كما علمنا الملك العظيم، حتى في مقاطعة غنية بغنى شرق بروسيا يجب تركيز كل قوة الفرد حيث توجد حاجة إلى نصر حاسم". هناك ضربتان متوازيتان مصحوبتان بعلامة تعجب بجانب هذا المقطع، وسلسلة من الخطوط تحت عبارات فردية في الفقرات التالية: "احسبوا الجيش الروسي بأكمله كعدو إضافي" و"العواطف السياسية والوجدانية" و"في وجه طوفان روسي"، قبل أن يسير القلم أخيراً بقوة على الهامش لتسليط الضوء على الفقرة التالية:

إذا تعذر الاحتفاظ بالأراضي الواقعة شرق نهر فيستولا في مواجهة القوة الساحقة، فإن شليفين كان على استعداد للتضحية بهذه المناطق مؤقتاً، كما تم التأكيد عليه مراراً وتكراراً أعلاه. حالما يتم حسم الوضع في فرنسا، يتم تدمير الجيش الفرنسي-الإنجليزي، وتقف ألمانيا منتصرة على نهر السين، وكل شيء آخر - وفقاً لشليفين - سيتبعه من تلقاء نفسه.

على الرغم من أن هتلر تحدث منذ فترة طويلة عن التوسع في الشرق والحاجة إلى المجال الحيوي، إلا أنه لم يتطرق أبداً إلى قضية الحرب مع روسيا. تمثل هذه العلامات أقدم دليل مسجل على خطة هتلر لغزو الاتحاد السوفيتي. يتذكر كيتل أن هتلر تحدث معه لأول مرة عن هجوم كبير في الشرق في أواخر يوليو 1940، وهي نية كررها على مسامع هالدر وكبار أركانه العسكريين في الشهر التالي. بحلول ذلك الخريف، طلب هتلر من جنرالاته صياغة خطة هجوم. في يونيو التالي، أطلق هتلر العنان لعملية بربروسا على الجبهة الشرقية. بحلول هذا الوقت، كان هتلر قد تولى السيطرة التشغيلية الكاملة على كل قرار يتعلق بتخطيط وتنفيذ العملية العسكرية. تباهت آلة الدعاية بادِّعاء كيتل بأن هتلر هو "أعظم قائد ميداني في كل العصور".

يبدو أن قلم هتلر قد انحرف مرة واحدة فقط عن أبعاد الفصل الرابع، إلى حاشية في أسفل الصفحة 41، في نهاية الفصل السابق. تشير الحاشية السفلية إلى مقطع يناقش فيه روش القرار السيئ الصيت للقيصر فيلهلم الثاني بإقالة بسمارك في عام 1890، وهو قرار جذري تم اتخاذه بناءً على مشورة سيئة أنهت فجأة مسيرة رجل الدولة الأسطوري في ألمانيا. يلاحظ شليفين أن فيلهلم أعمى ليس فقط بسبب شبابه وغطرسته ومكائد البلاط، ولكن أيضاً بسبب عدم قدرته على رؤية الطبيعة الحقيقية لمستشاريه. كتب روش: "نظرة ثاقبة للإنسان والأشياء الأخرى، في قلب المسألة، في جوهر الوجود ذاته - كان هذا

هو الفشل الكبير للقيصر... النتيجة لم تكن فقط الاختيار غير المفهوم بشكل متكرر للأفراد في أقرب دائرة له، ولكن التردد المستمر في اتخاذ القرار وتنفيذ أفعاله". لتأكيد وجهة نظره، كتب روش الحاشية التالية:

يمكن أن يتحمل فيلهلم الثاني سماع الحقيقة ويقدرها أيضاً من خلال تصريح أدلى به على فراش وفاة مساعده العام منذ فترة طويلة، المشير فيلهلم فون هانكي، في 8 فبراير 1912. "الرجل الوحيد الذي أخبرني دائماً بالحقيقة". بيان يكرم السيد وكذلك الخادم، لكنه يبدو مراً بشكل ملحوظ في فم الملك بعد ما يقرب من 24 عاماً من الحكم.

بجانب هذا المقطع، وضع هتلر علامة تعجب واحدة تفخيمية.

الكتاب الثامن

تاريخ هتلر عن الحرب العالمية الثانية

سوف يسجل التاريخ هذه الحرب على أنها حرب الرئيس روزفلت.

أمريكا في معركة القارات، سفين هيدن.

اختفت نسخة هتلر من كتاب أمريكا في معركة القارات للكاتب سفين هيدن (Sven Hedin)، ولكن يمكن العثور على ظلها الفكري في رسالة من ثلاث صفحات أرسلها هتلر إلى المؤلف في 30 أكتوبر 1942، بعد قراءة مائتي صفحة من أطروحة سياسية في الليلة السابقة. وقع هتلر الرسالة بشكل مختصر بدأ في استخدامه بعد عام 1933، حرف A كبير منمق لاسمه، وHg مزخرف لاسم عائلته، مع الحروف المتبقية متدرجة في خط متجه للأسفل، مثل خيط مفكك، تهجئة تشبه بشكل لافت للنظر توقيع والده قبل نصف قرن.

تمت كتابة الرسالة على ورقة رسمية تحمل اسم هتلر في الزاوية العلوية اليسرى بأحرف كبيرة أسفل نسر نازي ممسكٍ بصليب معقوف ملفوفٍ بإكليل من الغار. على عكس النسر الموجود في بطاقات الكتب، فإن هذا النسر أكثر رسمية وتنميقاً، وهو نتاج الصفيحة الفولاذية في العصر الحديث بدلاً من البدائية ذات الحواف الناعمة للقطع الخشبي. الرسالة موجهة إلى "الأستاذ الدكتور سفين فون هيدين" في شمال مالارستراند 66 ستوكهولم، السويد، مع كتابة عنوان المرسل والتاريخ في الركن الأيمن العلوي: مقر القائد، .10 .30 .1942

على عكس مكتب هتلر الرسمي في مستشارية الرايخ في 77 شارع فيلهلم في برلين، أو مكتبه الخاص في مقر الحزب النازي في براون هاوس في 45 شارع بريتر في ميونيخ، كان مقر القائد / Führerhauptquartier "مكاناً" بدون عنوان دائم. خلال غزو بولندا، انتقل من ساحة المعركة إلى جبهة القتال في قطار مجهز خصيصاً. بالنسبة للحرب الخاطفة في الغرب، بالطبع، كان موقعه أولاً في عش الصخرة؛ ثم بعد ذلك بأسابيع قليلة في مجموعة من المباني الزراعية المبنية من الطوب بالقرب من برولي دو بيش / Brûly-de-Pesche جنوب بروكسل؛ وأثناء غزو الاتحاد السوفيتي، تنقل هتلر بين المقار العسكرية المسماة عرين الذئب في الشمال، والمستذئب على بعد ألف ميل إلى الجنوب. كان مقر القائد بطبيعته مؤقتاً بقدر ما كان جغرافياً. تتبّع خط سير هتلر. كان التاريخ هو العنوان.

عندما أملى هتلر رسالته المكونة من ثلاث صفحات على هيدين، كان يتعافى من نزلة برد شديدة في الرأس لدرجة أنها تركته طريح الفراش، وعقله مشوش لدرجة أنه أخبر أوتو ديتريش لاحقاً أن ذاكرته لم تعد سليمة تماماً. كان يبلغ من العمر ثلاثة وخمسين عاماً لكنه شعر بأنه أكبر من ذلك بعقد من الزمن. ومما زاد من بؤسه هو العزلة التي فرضها على نفسه بعد سلسلة من المواجهات المريرة مع هيئة أركانه.

منذ أواخر الصيف، كان يعيش في أوكرانيا في مقر ويرولف / Werewolf "المستذئب"، وهو عبارة عن مجموعة من المخابئ الخرسانية والأكواخ الخشبية المكونة من طابق واحد، والتي قاد منها الهجمات الألمانية على طول الجبهة الشرقية. في الغابة المليئة بالحرارة والبعوض في شهر أغسطس، كان هتلر أكثر غضباً من جنرالاته المتشككين بشكل مزمن والمتصارعين بشكل متزايد، على وجه الخصوص فرانز هالدر.

كان هالدر قد نصح ضد غزو هتلر المخطط للاتحاد السوفيتي في ربيع عام

1941، واحتج على نية هتلر مهاجمة لينينغراد وستالينغراد، المراكز الرمزية للبلشفية، بدلاً من الاستيلاء على موسكو، مركز الاتصالات والصناعة السوفيتية ورابط للسكك الحديدية. رفض هتلر اعتراض هالدر ووصفه بأنه "تقني"، وهو نتاج "أدمغة متكلسة عالقة في أفكار القرون الماضية". في البداية، ثبت أن تحذير هالدر في غير محله. ولكن بعد النجاحات الأولية التي حققها هتلر في صيف وخريف عام 1941، توقف التقدم الألماني في البرد القارس للشتاء الروسي. ثم تحول هتلر جنوباً بمحرك متجدد على ستالينغراد وتوجه طموحه مدفوعاً بالدبابات إلى حقول النفط الغنية في القوقاز وميناء سيباستوبول على البحر الأسود. كان هناك حديث عن غزو إيران وخطط للوصول إلى الخليج الفارسي. عندما تعثرت الرحلة إلى القوقاز، واجه هالدر هتلر. قال إنه لم يعد بإمكانه المصادقة على خطط هتلر بضمير حي. كانت هناك علامات تنذر بالسوء بشكل متزايد بوجود هجمات سوفيتية مضادة وشيكة. رفض هتلر قلق هالدر.

"الروسي مات"، قال. "لقد استنفذ آخر احتياطياته مع هجوم الشتاء. إنها مجرد مسألة دفعه بقوة أكبر قليلاً حتى يسقط". تحدث هتلر عن التعصب والبطولة. اقتبس من كلاوزفيتز ونيتشه. بشكل عام، تحمل هالدر بهدوء محاضرات العريف السابق المرهقة لجنرالاته، لكنه تدخل في هذه المناسبة. استشهد بإحصاءات تشير إلى أن السوفييت كانوا في الواقع ينتجون 1200 دبابة شهرياً، وقد حشدوا ما يصل إلى مليون ونصف رجل إضافي. نظر هتلر إلى هالدر، ثم انفجر. يتذكر هالدر أنه "مع زبد في زوايا فمه"، كان يلاحق الجنرالات بـ "قبضتيه المشدودة". نهى عن مثل هذه "النميمة الحمقاء". لكن هالدر لم يتراجع، وقال: "لا يتطلب الأمر أي موهبة نبوية للتنبؤ بما سيحدث إذا أرسل ستالين مليوناً ونصف المليون جندي إلى ستالينغراد و[نهر] الدون".

ازداد غضب هتلر. هذه "المعركة المستمرة" مع جنرالاته قد كلفته نصف

احتياطياته العاطفية. لم يعد الأمر ذا جدوى. وأصر على أنه مع التحديات التي تواجه الجيش الآن، لم تكن المسألة تتعلق بـ "المهارة الفنية". ما كان مطلوباً هو "الشغف بالعقيدة الاشتراكية القومية". وانتهى الاجتماع بمزاج من الانزعاج وعدم الراحة استمر على مدى الأسابيع التالية. في 7 سبتمبر، عندما أُبلغ هتلر بتدهور الوضع في الجنوب، انفجر مرة أخرى. هذه المرة، اتهم جنرالاته بعصيان أوامره. كان يعتقد أنه يتم تقويض جهوده عن قصد.

في نفس اليوم، أمر هتلر فريقاً من مشغلي المبرقات بالقدوم من برلين إلى ويرولف. كان عليهم أن يسجلوا كل كلمة قالها في الاجتماعات. بعد ذلك، انسحب على الفور إلى مقره الخاص على أطراف مجمع ويرولف، حيث تناول الطعام مع أمنائه وأعضاء مختارين بعناية من حاشيته. عندما سمح الطقس، جلسوا على طاولة مستديرة تحت الأشجار.

لتعزيز معنويات هتلر وتوفير تسلية لطيفة له، قرر مارتن بورمان إحضار هيرمان غيزلر لإقامة طويلة. كان غيزلر مهندساً معمارياً أشركه هتلر في العديد من المشاريع، بما في ذلك إعادة تصميم مسقط رأسه لينز.* رافق غيزلر هتلر، مع ألبرت شبير، في جولة لرؤية المعالم الأثرية في باريس في صيف عام 1940. تمتم هتلر بحضور غيزلر أمام قبر نابليون قائلاً: "سوف تبني مكان دفني".

رحب هتلر بوصول غيزلر. تحدث معه ليس فقط عن خططهم المعمارية للينز وعن البيت الذي كان هتلر يعتزم بناءه هناك، ولكن أيضاً عن الوضع الذي لا يطاق بين هيئة أركانه العامة. "أعيش وأعمل في يقين محبِط أنني محاط بالخيانة"، قال هتلر. "بمن يمكنني الوثوق بحق، وكيف يمكنني اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر، وكيف يمكنني القيادة بأي يقين عندما يكون هناك

* من بين الكتب المتبقية لهتلر في مكتبة الكونغرس، ألبوم به رسومات معمارية وصور فوتوغرافية تؤرخ لمشاريع غيزلر المختلفة في فايمار، بما في ذلك إعادة بناء فندق الفيل / Elephant وبناء "ساحة أدولف هتلر".

عدم ثقة ناتج عن الخداع والتقارير المزيفة والخيانة الواضحة، عندما ينشأ مثل هذا الشك بحذر مبرر، وعندما أضطر منذ البداية إلى عدم الوثوق بأحد؟" وأشار هتلر، على وجه الخصوص، إلى أن علاقته مع هالدر أصبحت لا تطاق. قال هتلر لـ غيزلر: "لم تعد تنفع بعد الآن. لا أستطيع احتمال النظر إلى وجهه ورؤية مثل هذه الكراهية والغطرسة، وهو أمر غير مبرر تماماً في رجل يتمتع بمثل هذا الذكاء المتواضع".

في 24 سبتمبر 1942، أعفى هتلر هالدر من قيادته. كتب هالدر في مذكراته في تلك الليلة: "أعصابي متوترة، وأعصابه ليست بأفضل حال". لكن إقالة هالدر لم تفعل شيئاً يذكر لإزالة إحساس هتلر بالعزلة، ومخاوفه بشأن الخيانة والخداع، ناهيك عن التقارير المقلقة حول تصاعد ضغط العدو في القوقاز، وحول ستالينغراد، وحوالي نهاية أكتوبر في قرية في مصر تسمى العلمين. "اشتد القتال المرير في مصر في هذا اليوم الخامس من المعركة الدفاعية"، دوّن سجل القيادة العليا الألمانية في 29 أكتوبر. "على الرغم من الهجمات التي لا هوادة فيها والإنفاق المرتفع غير المعتاد للذخيرة، لم يتمكن العدو من تحقيق أي نجاحات ضد قوات الدفاع الألمانية الشجاعة".

يسجل التقرير الخاص بذلك اليوم القتال عبر إمبراطورية هتلر: في بحر قزوين، حيث أغرقت القوات الجوية الألمانية / Luftwaffe ناقلتين للعدو وألحقت أضراراً بخمس سفن شحن؛ في غرب القوقاز، حيث صدت القوات الألمانية "هجمات العدو" على طول سلسلة من المعاقل الجبلية؛ في الضواحي الصناعية لستالينغراد، حيث تم صد هجمات الدبابات السوفيتية المتكررة "بخسائر فادحة كالعادة للعدو"؛ في جزيرة مالطا الواقعة على البحر المتوسط؛ على الساحل الجنوبي الشرقي لإنجلترا، حيث هاجمت الطائرات الألمانية المنشآت الصناعية والنقل والمرافئ. في اليوم الأخير من شهر أكتوبر، كانت الجيوش الألمانية تدافع عن إمبراطورية امتدت عبر قارتين.

كان وصول كتاب سفين هيدن الأخير في ذلك اليوم إلى ويرولف أكثر من مجرد إلهاء مرحب به في عزلة هتلر المحصنة. كان هيدين أحد الأبطال الحقيقيين القلائل في حياة هتلر. في شبابه، تابع مغامرات المستكشف السويدي بنفس الاهتمام الذي جلبته روايات كارل ماي. كان هيدن شخصية غير عادية، دخلت بعضاً من أقسى المناطق المجهولة في العالم، وعادت بقصص المغامرة الممتعة، والأهم من ذلك، اكتشفت العواقب، ورسمت بعضاً من آخر المناطق غير المستكشفة في العالم. في عصر ما قبل تسلق جبل إيفرست أو عبور المحيط الأطلسي عن طريق الجو، كان هيدين أحد أشهر الرجال المغامرين على وجه الأرض. في حملته الأسطورية عبر صحراء جوبي، فقد ثلثي فريقه المكون من ثمانين رجلاً بسبب المناخ المرير للهضبة العالية، لكنه ظهر بعد أربعة أشهر، هزيلاً لكن منتصراً. كان هذا نوعاً من الجهد الخارق الذي أطلق خيال هتلر في شبابه وقاد قناعاته في وقت لاحق من حياته: قدرة الفرد على تحدي العقبات التي يبدو أنه لا يمكن التغلب عليها، والظهور منتصراً.

في أكتوبر 1933، بعد ثمانية أشهر من تأكيده على الإرادة الفردية، أرسل هتلر برقية إلى المستكشف السويدي المسن لتهنئته في الذكرى الأربعين لانتصار جوبي. عندما علم هتلر أن هيدين سيكون في ألمانيا للقيام بجولة محاضرات، دعاه إلى مستشارية الرايخ. عاد هيدين، مرة أخرى بناءً على دعوة خاصة من هتلر، كمتحدث مميز في أولمبياد برلين عام 1936. تبع ذلك العديد من الزيارات، وأرسل هيدين بانتظام نسخاً من منشوراته لهتلر.

كما هو الحال مع إيكهارت، أظهر هتلر احتراماً كبيراً لهذا الرجل الأكبر سناً. عندما زار هيدين هتلر في مكتبه في مستشارية الرايخ الجديدة، اصطحبه هتلر من ذراعه وأراه "كرسيه" في منطقة الجلوس الصغيرة أسفل صورة بسمارك. كان هتلر يتحدث مع هيدن بحميمية سهلة حول المغامرة والسياسة والإنجاز والاهتمامات الشخصية والطموحات. في إحدى المناسبات، اعترف هتلر لـ

هيدن بأنه لا يتوقع أن يرى اكتمال "مشروعه" مدى الحياة لتأسيس ألمانيا كقوة رائدة في العالم. قال هتلر إن هذه المهمة ستُترك للآخرين لينجزوها، أردف هتلر: "ضع في اعتبارك أنني تجاوزت الخمسين من عمري"، رد عليه هيدن باستخفاف، "عمري خمسة وسبعون!"

عاد هتلر قائلاً: "نعم، لكنك استثناء".

أصرّ هيدن على أن "الخمسين لا تعني شيئاً على الإطلاق... عندما تبلغ عمري يا سيد الرايخ، ستشعر بالحيوية والطاقة كما أشعر بها الآن".

"أوه لا، لا، سأكون مرهقاً قبل ذلك بوقت طويل".

على الرغم من ذلك، تحدث هتلر وهيدن عن السياسة، ولا سيما علاقات ألمانيا مع دول الشمال الأوروبي، وفي كثير من الأحيان عن روسيا، وهي دولة زارها هيدن أكثر من أربعين مرة. مثل هتلر، خشي هيدن من "البلشفية" في أوروبا، وهي مخاوف ناقشها هو وهتلر بعد وقت قصير من غزو بولندا، وهي محادثة شاركها هيدن مع الصحافة فيما بعد، كما سجل غوبلز في مذكراته في أكتوبر 1939.

"بعد الظهر مع الفوهرر"، كتب غوبلز. "كان الفوهرر غاضباً من مقابلة أجراها سفين هيدين مع News Chronicle حول حديثهما معاً. إنه يصدّر ألمانيا كعدو لروسيا. وهو أمر سيتم رفضه على الفور. سيتعين على هيدن أيضاً إصدار إنكار أيضاً". كانت روسيا وألمانيا بالطبع حليفتين في ذلك الوقت.

بصفته عاشقاً لألمانيا، فقد سافر طوال حياته مع الجيوش الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى واشترك في فكرة التفوق العنصري، على الرغم من أنه لم يتبنَّ معاداة السامية، كان هيدن أكثر من سعيد لمساعدة القضية الألمانية الكبرى، كمبعوث لـ الدول الاسكندنافية، كجاسوس غير رسمي في آسيا، وكمحرض مؤيد للانعزالية في الولايات المتحدة. في هذا الدور الأخير،

كتب نداءً بطول كتاب للشعب الأمريكي للابتعاد عن الحرب، من أجل أوروبا وأمريكا على حد سواء.

أجرى هيدن ثلاث جولات لإلقاء محاضرات رئيسية في أمريكا، في أعوام 1923 و1929 و1932، حيث سافر عبر القارة من بوسطن، وتلقى العلاج لفترة وجيزة على يد هارفي كوشينغ (Harvey Cushing)، أحد الجراحين البارزين في ذلك الوقت، وصولاً إلى كاليفورنيا، حيث زار منتزه يوسيميتي الوطني والمرصد على جبل ويلسون. في ستوكهولم، التقى بثيودور روزفلت. كصديق ومعجب بالولايات المتحدة، كتب في كتابه، الذي انتهى منه في خريف عام 1941، أنه كان يتصرف لصالح شعبها. ذكّرهم بأن فريدريك العظيم قد أيد الثورة الأمريكية، وأنه خلال الحرب الأهلية، بينما دعمت فرنسا وإنجلترا الكونفدرالية، قدم بسمارك قروضاً للاتحاد. لقد جادل بأن روزفلت، وليس هتلر، هو الذي أغرق أوروبا في الحرب، وقام بتفصيل جهود هتلر المتكررة لتجنب الحرب في صيف عام 1939. كما حذر هيدن من أن الحرب مع الطاغوت الألماني ستؤدي في النهاية إلى هزيمة الولايات المتحدة. وناشد الأمريكيين، من أجل مصلحتهم، الاعتراف بالقوى الحقيقية وراء الحرب في أوروبا. كتب هيدن: "هذه الدعاية الخفية بشكل شيطاني التي تروق للمسيحية والمثالية والإنسانية والولاء للشعب الأمريكي هي التي تقودنا إلى الحرب". عندما قصف اليابانيون بيرل هاربر، أصبح الكتاب غير ذي صلة، وتحول هيدن إلى ناشره الألماني في لايبزيغ. قاموا بنشره في أكتوبر 1942 تحت عنوان *Amerika im Kampf der Kontinente* / أمريكا في معركة القارات، وأرسلوا نسخة موقّعة شخصياً إلى المستشار الألماني.

عندما استقر هتلر في مسكنه الخاص مع نسخته المخصصة له شخصياً من كتاب أمريكا في معركة القارات، وجد نفسه يقرأ تاريخ اندلاع الحرب، حيث كان

يعتقد أنه سيتم تسجيلها في النهاية للأجيال القادمة. قبل ذلك بثلاث سنوات، عندما جمع جنرالاته في القاعة الكبرى في البرغهوف لإلقاء محاضرة حول الغزو الوشيك لبولندا، ذكَّرهم بأنه في النهاية المنتصر هو من يكتب تاريخ الحروب. "لن يُسأل المنتصر بعد ذلك عما إذا كان قد قال الحقيقة أم لا"، قال لهم هتلر. "عند بدء الحرب وشنها ليس الحق ما يهم بل النصر". في الأشهر والسنوات التي تلت ذلك، سار جيش هتلر من انتصار إلى آخر، مما وسع نطاق وصول ألمانيا إلى أبعاد غير مسبوقة. عندما جلس هتلر مع كتاب هيدين، كان واثقاً من أن الحرب التي تصورها وشنها كانت على وشك الانتصار.

في تلك الساعة، أثبتت إمبراطوريته - التي امتدت من جزر القنال قبالة الساحل الإنجليزي إلى شاطئ البحر الأسود، من الدائرة القطبية الشمالية إلى مدار السرطان - قدرتها على الصمود بشكل ملحوظ، على الأقل استناداً إلى تقارير الجبهة الأمامية في ذلك اليوم، في وجه هجوم جيوش العدو. بدت مناسبة جيدة للبدء في قراءة تاريخ كيف بدأت هذه الحرب.

"لا يوجد سؤال يسهل فهمه أكثر من سبب وقوع كارثة جديدة بهذه السرعة بعد الحرب العالمية الأولى"، قال هيدين. "سارع كثير من الناس إلى إعطاء إجابة: الجاني كان ألمانيا مرة أخرى. توضح هذه الـ "مرة أخرى" في حد ذاتها على مدى سرعة نسيان الناس لتطور الأحداث في فترة زمنية قصيرة بين عامي 1919 و1939 على الرغم من أنهم عاشوها هم أنفسهم". ذكّر هيدين قرّاءه بأن أصول الحرب العالمية الثانية لم تكمن في الضم الألماني للنمسا أو إقليم السوديت، أو حتى في الغزو اللاحق لبولندا، ولكن في الشروط العقابية لمعاهدة فرساي والمآسي التي فرضوها على الألمان - الحرمان والإذلال والمجاعة - إلى جانب أجندة السياسة الخارجية البريطانية التي أسست موقفاً من قضية واحدة في ألمانيا: Delenda est Germania، "يجب القضاء على ألمانيا".

يخصص هيدين فصلاً لمحاولات هتلر المزعومة لمواجهة المكائد البريطانية

لإثارة حرب أخرى مع ألمانيا. يستشهد بخطاب في 21 مايو 1935، كبداية حملة هتلر للسلام التي استمرت أربع سنوات. أوضح هتلر للرايخستاغ الألماني "يمكن لسياسة اجتماعية صحية أن توفر للناس في بضع سنوات قصيرة أطفالاً من خلال تشجيع الإنجاب أكثر مما يستطيع المرء فرض ذلك بقهر وإخضاع الشعوب الأجنبية". ومضى يقول، "إن رغبة ألمانيا الاشتراكية القومية في السلام تقوم على قناعات أيديولوجية راسخة".

وفقاً لـ هيدين، أمضى هتلر السنوات الأربع التالية في محاولة للوصول إلى تسويات معقولة مع جيرانه الأوروبيين، ليجد نفسه في مواجهة الحيلة والغطرسة. كتب هيدين: "تم رفض جميع عروض أدولف هتلر بغطرسة وإعلان عدم صدقها منذ البداية. لقد كان يُنظر إليهم دائماً على أنهم تهديد، وليس كمحاولة أبداً لإعادة تأسيس شعب عظيم ولكن مُذل منذ فترة طويلة ليكون على قدم المساواة ضمن دائرة الأمم العظيمة الأخرى". يركز هيدين على جهود هتلر المتكررة في صيف عام 1939 لتجنب الحرب، وعلى وجه الخصوص، اقتراح السلام في الساعة الأخيرة الذي تم تسليمه يدوياً إلى السفارة البريطانية في برلين في الليلة التي سبقت اندلاع الصراع.* يستشهد هيدن بمقترح النقاط التسع في مجمله، ويلاحظ: "من النادر أن تجد بين الملفات الدبلوماسية للتاريخ الحديث وثيقة تساوي هذا الاقتراح في ضبط النفس والتقارب والتفاهم لتحقيق احتياجات دولة ما".

بينما كان هتلر جالساً على كرسيه في كوخ خشبي ريفي في تلك الغابة الأوكرانية المنعزلة، كان بالتأكيد يشعر بالارتياح والبهجة من وقع كلمات هيدين. بنى هتلر حياته المهنية على خداع الآخرين بأكاذيبه وأوهامه ووعوده

* هناك تأريخ نازي واسع النطاق للحرب العالمية الثانية، ولا سيما في الكتب المدرسية التي تعود إلى الحقبة النازية، والذي يوضح بالتفصيل مبادرات هتلر المزعومة للسلام والجهود البولندية المزعومة "لإبادة" المدنيين الألمان الذين يعيشون في بولندا.

الكاذبة، ولكن بحلول سن الثالثة والخمسين، كان قد أتقن أيضاً فن خداع الذات - تحدث هالدر عن التنويم المغناطيسي الذاتي / Selbsthypnose - لدرجة أن إيمانه بأن الحدود الحالية لإمبراطوريته كانت ثابتة مثل تاريخ إمبراطوريته على الصفحة، كان يمده بشعور بالراحة. في صباح اليوم التالي، كتب هتلر إلى هيدن:

صاحب السمو الدكتور المحترم سفين فون هيدن!*

لقد تكرمت بتقديم نسخة موقعة شخصياً لي من كتابك أمريكا في حروب القارات، الذي نشرته مؤخراً في دار نشر بركهاوس في لايبزغ. أشكرك بحرارة على الاهتمام الذي أظهرته لي. لقد قرأت الكتاب بالفعل وأرحب على وجه الخصوص بأنك قمت بتفصيل العروض التي قدمتُها لبولندا في بداية الحرب بشكل صريح. عندما أفكر في ذلك الوقت، يبدو كل شيء بعيداً جداً، ويبدو لي غير واقعي لدرجة أنني ألوم نفسي تقريباً لكوني صريحاً جداً بمقترحاتي.

أعرب هتلر عن ارتياحه لأن بولندا رفضت محاولاته المتكررة لإيجاد حل سلمي، لأنه لو لم يخض الحرب في عام 1939، كما أخبر هيدين، لكانت ألمانيا قد استكانت إلى شعور زائف بالأمن وحولت انتباهها إلى الثقافة بدلاً من العسكرة. في حين أن الاتحاد السوفييتي كان سيستمر في إعداد نفسه للحرب. وزعم هتلر: "حتى لو لم نتجاهل التسلح، لكانوا سيبقون ضمن الحدود الطبيعية، الأمر الذي كان سيتركنا بعد بضع سنوات في وضع دوني عاجز أمام العملاق الآسيوي... في ظل هذه الظروف، كان مصير أوروبا ومعها آلاف السنين من الثقافة إلى زوال".

* لم يكن هيدين يحمل شهادة دكتوراة، ولم يكن لديه أي روابط أرستقراطية لإضافة لقب "فون" إلى اسمه.

تصور هتلر أن يتم اجتياح أوروبا من قبل "ملايين المحاربين المتعصبين بقدر ما هم وحشيون"، ومجهزون بـ "مجموعة لا يمكن تصورها من الأسلحة". لحسن الحظ بالنسبة لأوروبا، قرر القدر أن يذهب هتلر إلى الحرب. لقد نجت أوروبا. ظهرت ألمانيا باعتبارها المعقل الأخير لصد جحافل البلاشفة.

ثم تحول هتلر إلى الأطروحة المركزية لكتاب هيدين: فرانكلين ديلانو روزفلت. كتب هتلر: "بدون شك، الشخص الذي ارتكب هذه الحرب، كما قلت بشكل صحيح في نهاية الكتاب، هو بالتحديد الرئيس الأمريكي روزفلت. ومن المفارقات، من خلال بدء هذه الحرب، أنه وأعوانه قد أيقظوا هذه القارة عن غير قصد وعن غير نية في الوقت المناسب تماماً، وسمحوا لها بمواجهة خطر لم يكن من الممكن كبحه بعد سنوات قليلة".

لم يشك هتلر "للحظة" في أن الألمان وحلفاءهم سينتصرون على السوفييت. وأكد من جديد "تصميمه الذي لا يتزعزع" على عدم التخلي عن السلاح حتى يتم "إنقاذ" كل أوروبا، شرقها وغربها، من التهديد البلشفي. واختتم هتلر حديثه قائلاً: "إنني أستغل هذه المناسبة، سيدي المحترم، هير سفين فون هيدين، لتقديم أطيب تمنياتي بصحتك ورفاهيتك المستمرة. بكل تواضع، أدولف هتلر". وقع هتلر الرسالة وأرسلها. في اليوم التالي، غادر إلى مقره في وكر الذئب / Wolf's Lair في شرق بروسيا. لم يعد أبداً بعد ذلك إلى وكر الذئب.

في الأيام القادمة، واصل هتلر إلقاء الضوء على كتاب هيدين وتحدث عنه في الأسبوع التالي خلال خطابه السنوي لإحياء ذكرى انقلاب بير هول في ميونيخ. لكن خلال ذلك الأسبوع تغير الكثير. في صباح يوم 9 نوفمبر 1942، وردت أنباء تفيد بأن القوات الأمريكية قد هبطت على ساحل شمال إفريقيا وأنشأت مربطاً ساحلياً. بينما كان يتحدث، لم يكن هتلر على طبيعته. "نحن نقاتل في أقصى الحدود لحماية وطننا حتى نتمكن من إبقاء الحرب بعيدة، حتى نجنب أنفسنا المصير الذي سنعاني منه إذا كانت أقرب - حالُ بعض

المدن الألمانية الآن والتي يتعين علينا تجربتها"، قال هتلر في لحظات الافتتاح ذلك المساء. "لذلك من الأفضل إبقاء الجبهة على بعد ألف أو حتى ألفي كيلومتر، إذا لزم الأمر، من وطننا بدلاً من أن تكون الجبهة على حدود الرايخ وأن نضطر للدفاع عنها هناك". حث هتلر الحاضرين من أنصار الحزب على اليقظة والثبات، مع العلم أن قضيتهم عادلة، وأن يتذكروا أنهم يمثلون حصن الحضارة الأوروبية.

قال هتلر: "في هذه الأيام، نشر سفين هيدين كتاباً، لحسن الحظ، استشهد فيه كلمة بكلمة الاقتراح المتعلق ببولندا الذي قدمته إلى الإنجليز. شعرت بقشعريرة عندما أعدت قراءة هذا الاقتراح، ولا يسعني إلا أن أكون ممتناً لأن القدر رأى أنه من المناسب أن تسير الأمور بشكل مختلف". توسعاً في الملاحظة التي أدلى بها لـ هيدين يوم الجمعة السابق، قال هتلر إنه لو كرَّس الألمان العقد الماضي لتمويل مدارسهم وتجميل مدنهم وبناء الشوارع والشقق بدلاً من بناء جيشهم، لكانت النتائج كارثية على أوروبا. "وفي يوم من الأيام، كانت العاصفة القادمة من الشرق ستنطلق وتكتسح بولندا قبل أن نلاحظها، ولوقفنا على بعد أقل من مائة وخمسين كيلومتراً شرق برلين. إن عدم حدوث ذلك يعود الفضل فيه إلى السادة الذين رفضوا اقتراحي في ذلك الوقت".

خلال الساعتين التاليتين، تحدث هتلر عن مؤامرات يهودية، وهزيمة نابليون عام 1812، وهزيمة ألمانيا عام 1918، وحتمية وقوع كارثة للأمريكيين. منتحلاً توقعات هيدين بأن الأمريكيين لن يتمكنوا أبداً من تطوير قدرة عسكرية مساوية لقدرة الجيش الألماني، بتقاليده العسكرية التي تعود إلى قرون، وبأن الجنود الأمريكيين الحاليين الذين كانوا يتدربون بمدافع من الخشب الرقائقي، ومدافع ودبابات من الورق المقوى، لا يتناسبون مع قوة قدامى المحاربين في الفيرماخت، نبذ هتلر بسخرية آلة الحرب الأمريكية. لقد وبخ الأمريكيين بشأن "قوارب الرنجة" المحملة بالمدافع. ورفض فكرة "الأسلحة السرية" الأمريكية.

وأكد لجمهوره، نقلاً عن هيدين حرفياً تقريباً، أن الانتصار في الحرب لا يأتي بالثروة والسلاح بل بقوة الإرادة. "ما لدينا هو قناعة مقدسة وإرادة مقدسة. وهذا في النهاية أكثر حسماً بألف مرة من الذهب في الصراع بين الحياة والموت". لم يكن الفوز بالحرب من خلال الإنتاج أو المعدات، أو حتى بحجم الجيوش، ولكن بالإرادة الحديدية لشخصيات عملاقة. كانت هذه معركة لـ إرادات بين هتلر وستالين وتشرشل وروزفلت.

"عندما يهاجم روزفلت شمال إفريقيا اليوم بملاحظة أنه يجب عليه حمايتها من ألمانيا وإيطاليا، لا يستحق الأمر إضاعة كلمة واحدة على العبارات الكاذبة لعصابة هذا الرجل العجوز"، قال هتلر. "إنه بلا شك الأكثر نفاقاً في هذا النادي الذي يعارضنا بأكمله". ندد هتلر بالرئيس الأمريكي ووصفه بأنه "ماسوني"، ووصفه بأنه "دمية بيد اليهود"، باعتباره عدواً للحرية والديمقراطية الحقيقية، مثل Oberstrolch، أو الرئيس المارق. "وعندما يأتي المارق فون روزفلت - ليس هناك مصطلح آخر له - إلى هنا ويصرح أنه يجب أن ينقذ أوروبا بالطرق الأمريكية، لا يسعني إلا أن أقول: على الرجل أن يقلق بشأن إنقاذ بلده!"

نقلاً عن هيدين، لاحظ هتلر أن روزفلت كان يستخدم الحرب في أوروبا كوسيلة لصرف الانتباه الأمريكي عن 13 مليون عاطل عن العمل في الوطن. قارن بين المادية الأمريكية والقيم الأوروبية، وقام بتجميع التحالف الذي حشد نفسه للدفاع عن الثقافة الأوروبية – إيطاليا، ورومانيا، والمجر، وفنلندا، وسلوفاكيا، وكرواتيا، وإسبانيا. واختتم هتلر حديثه قائلاً: "فكر في هذا، كل شخص، كل رجل وامرأة، موجود في هذه الحرب ستكون الأمور بالنسبة له مسألة وجود أو محو شعبنا. وإذا فهمت ذلك، فإن كل فكرة وكل فعل تقوم به يجب أن يمثل صلاة من أجل ألمانيا!"

انتهى الخطاب بتصفيق مهذب لكن خافت. لم تكن هناك جوقات لـ

"التحية النازية". غادر هتلر القاعة وتوجه على الفور إلى شقته في ساحة برينس ريجينت. ادعى ماكس دومارو (Max Domarus)، المؤرخ العظيم لخطب هتلر، أنه كان أتعس خطاب في مسيرة هتلر السياسية. في المقابل، وجد غوبلز هتلر في شكل "مثير للإعجاب" في ذلك المساء، لكنه لم يستطع التغاضي عن التطورات الخطيرة على طول جبهات القتال. قال في مذكراته ذلك المساء: "يعلم الجميع أنه إذا أمكن دفع الأمور إلى اتجاه معين، فنحن عند نقطة تحول في الحرب".

من الواضح أن عمليات الإنزال الأمريكية في ذلك الصباح في شمال إفريقيا كانت في أذهان الجميع، وكذلك الأدلة المتراكمة على أن مسار الحرب بدأ في التحول بشكل ملموس. قبل ذلك بيومين، حطم البريطانيون الدفاعات الألمانية في العلمين، ودفعوا بالفيلق الأفريقي / Afrika Korps بقيادة إروين روميل (Erwin Rommel) إلى انسحاب متهور. كان الضغط يتصاعد على الجيش السادس الألماني في ستالينغراد. في نفس الأسبوع، في منتصف الطريق على الجهة الأخرى من العالم، استولى مشاة البحرية الأمريكية على مواقع يابانية على جزيرة صغيرة تسمى غوادالكانال / Guadalcanal، وهو أول انتصار أمريكي مهم في المحيط الهادئ.

في يوم الثلاثاء، العاشر من نوفمبر، بعد يوم من خطاب هتلر في قاعة البيرة، فكر ونستون تشرشل أيضاً في التطورات الأخيرة، وعبر عن تفاؤل حذر عقب هزيمة ألمانيا في العلمين. قال: "الآن هذه ليست النهاية، إنها ليست حتى بداية النهاية. لكنها ربما تكون نهاية البداية".

الكتاب التاسع

معجزة مؤجلة

يقول الأتقياء إن أحلك ساعة تشي بقرب الفجر.

توماس كارليل، تاريخ فريدريك الثاني من بروسيا، المسمى فريدريك العظيم

في ليلة الأحد، 11 مارس 1945، اتصل جوزيف غوبلز بهتلر، الذي كان يعمل حتى وقت متأخر في مكتبه في مستشارية الرايخ الجديدة. أراد غوبلز أن يقدم تقريراً عن التفتيش الذي أجراه على مدى يومين للدفاعات الألمانية في شرق بروسيا، وأن يقدم لهتلر ترجمة ألمانية مختصرة لسيرة فريدريك العظيم التي كتبها توماس كارليل (Thomas Carlyle) عام 1858. كان هتلر نفسه قد عاد لتوه من الجبهة، على بعد مائة ميل فقط شرق برلين، حيث أمضى اليوم في زيارة المواقع، ومصافحة الجنود، والتشاور مع الجنرالات - كل ذلك بوجود وحدات الدعاية.

منذ وصوله إلى السلطة قبل اثني عشر عاماً، قام بتحويل يوم الأحد الثاني من شهر مارس، وهو يوم حداد وطني، ليوم **البطل القومي**، وهو مناسبة للتباهي بالقوة العسكرية الألمانية - في هذا التاريخ من عام 1935 أعلن نيته في إعادة تسليح ألمانيا، وفي عام 1941 عرض منتصراً أسلحة العدو التي تم الاستيلاء عليها في شوارع برلين - ولكن هذا العام لم يكن هناك الكثير للاحتفال به. استولت الوحدات المتقدمة من الفرقة 101 المحمولة جواً الأمريكية على

جسر السكة الحديد في ريماجين / Remagen بعد أن رفض القائد الألماني تفجير الجسر للسماح للمدنيين الفارين بعبوره. أمر هتلر بإعدام خمسة ضباط على الفور، لكن الضرر كان قد وقع. أصبح للأمريكيين أول موطئ قدم شرق نهر الراين. في ذلك الأحد، مدوا عبر النهر ثلاثة جسور عائمة.

تقديراً للأخبار القاتمة من الجبهة، أطلق هتلر نبرة حازمة في يوم البطل القومي عام 1945. وأعلن في رسالة لقوات الخطوط الأمامية: "لم تكن هناك حالة تاريخية عظيمة من الماضي لم تجد نفسها في وضع مماثل... روما في الحرب الثانية ضد القرطاجيين، بروسيا في حرب السنوات السبع ضد أوروبا. هذان مجرد مثالين من العديد من الأمثلة". كتب هتلر في رسالته. "ولذلك، فإن قراري غير قابل للتغيير، ويجب أن يكون هذا هو الإرادة الراسخة للجميع، أن لا أقدِّم مثالاً أسوأ من أولئك الذين سبقونا". لا يمكن السماح لإذلال عام 1918 أن يكرر نفسه. لا يمكن أن ننسى أن الحلفاء كانوا عازمين على ما لا يقل عن "إبادة للأمة الألمانية". كان لابد من تذكر كلمات فريدريك العظيم: "قدِّم المقاومة وهاجِم العدو حتى يتعب في النهاية وينهار!"

عاد هتلر إلى برلين في ذلك المساء في حالة معنوية جيدة بشكل ملحوظ "عاطفياً وفكرياً"، كما لاحظ غوبلز عندما اتصل به في مكتبه. قبل أن يتمكن غوبلز من تقديم تقريره عن الظروف على الجبهة، ركزت المحادثة على مناقشة بدؤوها قبل أسابيع قليلة. في ذلك الوقت، كان غوبلز قد ذكر أنه كان يعيد قراءة سيرة فريدريك العظيم التي كتبها توماس كارليل، وقد صدمته الشجاعة التي أظهرها الملك البروسي في أوقات الشدائد. تحدث غوبلز وهتلر عن المكانة التاريخية التي حققها فريدريك بمرور الوقت، وعن حاجتهما الخاصة إلى مواكبة نفسيهما بطريقة تجعلهما أيضاً في القرون القادمة بمثابة "أمثلة على المرونة البطولية".

الآن كان غوبلز يعطي هتلر نسخة من كتاب كارليل، هدية مناسبة ليوم

البطولة القومية. بدا هتلر مسروراً، واستذكر نظرية كارليل عن "الشخصيات الاستثنائية"، الأفراد الذين لا يتركون بصماتهم على التاريخ فحسب، بل يوفرون أيضاً الإلهام لقادة المستقبل. قال هتلر: "يجب أن يكون طموحنا أيضاً أن نكون قدوة لعصرنا، حتى تتمكن الأجيال القادمة في ظل أزمات وضغوط مماثلة من النظر إلينا بالطريقة التي ننظر بها اليوم إلى أبطال تاريخنا الماضي".

وافق غوبلز وقدم لهتلر مثالاً على ذلك. في شرق بروسيا، كان قد شاهد فرديناند شورنر (Ferdinand Schörner)، الجنرال البالغ من العمر خمسة وأربعين عاماً الذي يقود فرقة الدبابات الثالثة، وهو يقاوم سلسلة من الهجمات السوفيتية ويحقق الاستقرار في جزء من الجبهة المنهارة. نعم، قال هتلر، إنه يعرف أن شورنر قائد استثنائي. قال غوبلز إن شورنر يجسد العزيمة القاسية التي يتطلبها الفوز بالحروب. على سبيل المثال، أخبر هتلر، من أجل وقف المد المتزايد للفرار، قام شورنر على الفور بشنق أي شخص يُقبض عليه خلف الصفوف دون إذن. لاحظ غوبلز أن جثث الجنود الألمان تتدلى من الأشجار القريبة من الجبهة وهم يرتدون الزي العسكري مع لافتات حول أعناقهم تقول: إنني هارب، لقد رفضت حماية النساء والأطفال الألمان ولذلك شُنقت. أحب غوبلز البساطة الجذابة لرسالة شورنر: على الجبهة، قد تواجه خطر الموت بإطلاق النار عليك؛ في الخلف، أنت متأكد من أنك ستموت شنقاً.

وافق هتلر. كان شورنر قائداً نموذجياً. سيتعين عليه ترقيته في الفرصة القادمة. كما حدث في كثير من الأحيان مع هتلر، يمكن أن تؤدي ملاحظة واحدة إلى سلسلة من الارتباطات التي قد تشغله لساعات، وهو ما كان واضحاً في ليلة الأحد، لأنه قضى الساعتين التاليتين في التفكير في "أمثلة" للقيادة في أيامهم، أو، كما أصبح يتضح بشكل متزايد من وجهة نظره، غيابها. واشتكى من أنه في الأشهر الأخيرة قام جنرالاته بتخريب سلطته مراراً وتكراراً، واستنزاف الجبهة الشرقية لدعم برلين في وجه هجوم سوفييتي كان متأكداً

من أنه لن يأتي أبداً. لقد عيّن هيملر مسؤولاً عن الجيوش الشرقية على أمل رؤية "هاينريش المخلص له" يغرس الانضباط بين الجنرالات. فقط ليشاهد هيملر ينقلب ضده أيضاً؛ في تحدٍ لأوامر هتلر الواضحة. وفي الخطر النهائي للرايخ، بدأ هيملر أيضاً في تعزيز برلين. وتوقع هتلر أن يؤدي ذلك إلى كارثة.

تساءل غوبلز لماذا لا يؤدب هيملر على هذا العصيان. قال هتلر إن ذلك بلا جدوى. كان هناك الكثير من الطرق لتخريب السلطة. في النهاية، سيثبت أنه كان على حق. لكن بحلول ذلك الوقت لن يكون الأمر مهماً. ستخسر الحرب. بدلاً من ذلك، قال هتلر إنه كان يطور خطة بديلة لإنقاذ الرايخ: تقسيم العدو سياسياً، والتحالف مع أحد الطرفين وفرض إنهاء القتال.

أخبر غوبلز أنه اكتشف تشققات بين صفوف العدو. من الواضح أن التحالف البريطاني مع السوفييت كان ملائماً، بل حتى يائساً. في البداية، كان يأمل بالتحالف مع البريطانيين ضد السوفييت، لكن الكوكبة السياسية الحالية في إنجلترا جعلت هذا الأمر مستحيلاً. قال هتلر لـ غوبلز: "لقد أفلت تشرشل، ووضع لنفسه هدفاً وحيداً ومجنوناً لإبادة ألمانيا، حتى لو كان ذلك يعني تدمير إنجلترا أيضاً. وبالتالي، ليس لدينا خيار سوى البحث عن فرص أخرى".

لسوء الحظ، قال، سادت ديناميكية مماثلة في الولايات المتحدة. لقد دفع روزفلت الأوروبيين إلى الحرب في المقام الأول، وكان عازماً على السماح لهم بتدمير أنفسهم. وهكذا، ظلت موسكو الخيار الوحيد القابل للتطبيق. "يجب أن يكون هدفنا هو طرد السوفييت من الشرق والتخلص من عدد غير عادي من الخسائر في الدم والمعدات"، وأضاف هتلر "عندها قد يصبح الكرملين أكثر مرونة معنا. اتفاق سلام منفصل معهم من شأنه أن يغير بشكل طبيعي وضع الحرب وبشكل جذري". على عكس تشرشل أو روزفلت، قال إنه لا يقلق بشأن الرأي العام. يمكنه تغيير السياسة السوفيتية متى شاء. كان الحل واضحاً: كان لابد من قلب موقف موسكو. كانت استراتيجية هتلر هي تأجيج الكراهية

الألمانية للأنجلو أمريكيين لإجبارهم أوروبا على الدخول في حرب، وقصفهم المدن الألمانية وتدميرها، وإلحاق الخراب بالقارة، وبعد ذلك، وبنفس القوة، شحذ العزم الألماني في الشرق، استنزاف الجيوش السوفيتية، وتوجيه سلسلة من الضربات الحاسمة التي من شأنها أن تعيق التقدم الروسي، ثم التفاوض على السلام. أنهوا القتال في الشرق، قال هتلر، مردداً حكمة شليفين، وسيأتي ما تبقى تباعاً.* وأمر غوبلز: "انشر الرغبة بالانتقام من الشرق وكراهية الغرب".

كان هذا هو هتلر الذي عرفه غوبلز: المتمرد، القاسي، القائد، الحذر، المتبصر. عندما غادر غوبلز مكتب هتلر في وقت متأخر من تلك الليلة، مر بمجموعة من الجنرالات ينتظرون في الردهة. بدوا مرهقين، متعبين، مهزومين. كتب غوبلز في مذكراته تلك الليلة، مسجلاً هديته من كتاب كارليل: "حشد مرهق محبط حقاً. إنه لأمر مخز أن الفوهرر كان قادراً على العثور على عدد قليل جداً من الزملاء المحترمين. في هذه الدائرة، هو الشخص الوحيد المتميز".

عندما سلم غوبلز لهتلر الترجمة الألمانية المختصرة لسيرة كارليل الذاتية لفريدريك العظيم، وهي ملحمة مترامية الأطراف تتكون من مائة وعشرين صفحة نُشرت بين عامي 1858 و1865، لم يكن فقط يغذي انشغال هتلر طوال حياته بفريدريك العظيم، بل سلمه كتاباً من تأليفه. كاتب اعتنق هتلر مفاهيمه عن القيادة والتاريخ منذ فترة طويلة.

كرائد في نظرية القائد العظيم، اعتقد كارليل أن "تاريخ ما أنجزه الإنسان في هذا العالم هو في الأساس تاريخ الرجال العظماء الذين عملوا هنا". احتقر

* في نسخته من سيرة شليفين الذاتية لهوغو روش، أشار هتلر بالقلم الرصاص إلى فقرة في الصفحة 61 تتوقع هذا الإجراء الاحتياطي. "إن أصعب خطط الحملة هي تلك التي يجب أن يدافع فيها المرء عن نفسه ضد أعداء أقوى بكثير. ثم يجب على المرء أن يلجأ إلى السياسة ويسعى إلى فصل أعدائه من الداخل أو لفصل أحدهم أو الآخر عن البقية من خلال تقديم المزايا".

الحكومة التمثيلية. لاحظ كارلايل ذات مرة: "لم تكن الديمقراطية قط، التي سمعنا عنها، قادرة على إنجاز الكثير من العمل، أكثر من إلغاء نفسها بشكل مستمر". كان يجب تبجيل القادة الجبارين ودراستهم ومحاكاتهم، بغض النظر عن عيوبهم. كتب كارليل: "إحدى وسائل الراحة هي أن الرجال العظماء، بأي شكل من الأشكال، هم شركة مربحة. لا يمكننا أن ننظر إلى رجل عظيم، بغض النظر عن العيوب، دون أن نكتسب شيئاً". كره كارليل الأيرلنديين واليهود، وألّف ذات مرة منشوراً دعائياً عنصرياً بعنوان "خطاب عرضي حول المسألة الزنجية".

ادّعى أحد النقاد ذات مرة أن كارليل قد أمضى سبع سنوات "بائسة" في محاولة لجعل فريدريك "رائعاً" بعيون الجمهور الأوروبي. في الواقع، استمتع كارليل بالمشروع. لم يعبّر عن أي شيء سوى الإعجاب بطاغية القرن الثامن عشر هذا الذي "ترك العالم مفلساً"، في "هاوية الدمار التي لا نهاية لها"، مخلفاً أعداءه "في حالة يرثى لها من الدمار". لقد كان مفتوناً بـ "رواقية الملك الهادئة"، و"وعيه الكبير وبعض كبريائه الواعي"، وعلى وجه الخصوص، عينيه، "عيناه القويتان اللامعتان"، التي كانت في الحال "يقِظتين وواسعتين"، وانبثق منهما "وهج خارجي ينبع من بحر داخلي عظيم من النور والنار الكامنين في الإنسان". وجد كارليل أن فريدريك "معجزة"، وهو الرجل الذي ترنح مراراً وتكراراً على شفا كارثة، حتى لو فكر مرة واحدة في الانتحار في مواجهة الصعاب العارمة، ومع ذلك فقد "دافع عن بروسيا قليلاً ضد كل أوروبا، عاماً بعد عام، لمدة سبع سنوات طويلة، حتى امتلكت أوروبا ما يكفي، وتخلت عن المشروع الذي لم تستطع إدارته". وصف ويليام بتلر ييتس (William Butler Yeats) كارليل ذات مرة بأنه "الملهم الرئيسي للرجال المتعلمين ذاتياً".

تحدث مزيج كارليل الغنائي من الوحشية والعاطفية، عن دستور هتلر العاطفي السام. احتلت أعمال كارليل مساحة على الرف في خزانة كتب هتلر

الأولى في شقته في شارع تيرتش، وربما ألهمت هتلر لتصميم نفسه كـ "عازف الدرامز" -Trommler- في بداية الحركة النازية، وهو التصنيف الذي عينه كارليل بالمثل للوصي الشاب في الفصل السادس من الكتاب الأول من سيرته الذاتية لفريدريك، عندما يكشف "فريد" عن روحه القتالية الوليدة من خلال أخذ الطبلة في يده والقرع كثيراً لإسعاد والده. كتب كارليل قائلاً: "إن قلب الأب انتابه ولع سعيد، داعياً الجنة لتأكيد الفأل"، مشيراً إلى أن الرجل الذي بدأ حياته المهنية كـ "عازف طبول" ذهب لغزو القارة.

قال هتلر في الملاحظات الختامية لمحاكمة عام 1924: "إنه لأمر عجيب أن يؤكد المؤرخ الإنجليزي كارليل أن فريدريك العظيم، ساعده الله، عاش حياة مكرسة فقط لخدمة شعبه". استمر في استدعاء كارليل لبقية حياته. "هناك الكثير مما يمكن قوله عن القادة، ومن المؤكد أن القائد له أهمية هائلة بالنسبة للشعب، ولكن الشعب نفسه له نفس الأهمية"، قال هتلر في مايو 1927، أثناء مخاطبته مجموعة من قادة الحزب النازي. "كتب كارليل أن فريدريك العظيم لم يكن ملكاً عظيماً فحسب، بل إن الشعب البروسي يستحق أيضاً ملكاً عظيماً. يجب أن يكون الناس أيضاً جديرين به".

استدعى هتلر نفس الفكرة الكارليانية بعد عقدين من الزمن، عندما بدأ الرايخ في الانهيار. "إذا كان يجب على الشعب الألماني أن يرضخ لهذه الحرب، فهذا يعني أنه كان ضعيفاً للغاية". أعلن هتلر في 4 أغسطس 1944، بعد شهرين من رمي الحلفاء على الشاطئ في نورماندي لخرق حصن أوروبا، "ولن يكونوا قد نجحوا باختبار التاريخ وبذلك لا يبقى أمامهم سوى الدمار". في مارس 1945، مع محو حتمية الرايخ، أصدر هتلر "أمر نيرو / Nero Order" سيئ الصيت، والذي دعا إلى تدمير البنية التحتية العامة في ألمانيا، متذرعاً بالمنطق الكارليلي نفسه. قال هتلر لألبرت شبير: "ليس من الضروري القلق بشأن ما سيحتاجه الشعب الألماني للبقاء على قيد الحياة. لأن الأمة أثبتت

أنها أضعف، والمستقبل يخص الأمة الشرقية الأقوى فقط".

في ليلة الأحد تلك في منتصف شهر مارس، عندما تحدث هتلر عن "رجال استثنائيين" وعن التعاطف مع الأجيال القادمة، كان يردد بوضوح قراءاته لكارليل، تماماً كما كان عندما أوضح نواياه للتوصل إلى حل سياسي للكارثة العسكرية التي تلوح في الأفق. كطالب قديم لـ كارليل، لم يكن من الممكن أن يفوّت هتلر أوجه التشابه بين وضعه الخاص وتصوير كارليل لأحلك ساعة في حياة الملك البروسي:

منذ التاسع من ديسمبر، أصبح فريدريك في بريسلاو، في بعض الأجزاء المتبقية من قصره المدمر هناك؛ ويتجسد لنا، في الكتب، جالساً بين الأنقاض. ما من احتمالية أمامه سوى الخراب. الانسحاب من المجتمع. يبحث بثبات عن المستقبل الأكثر قتامة. لا يكاد يرى أحداً. يتحدث، إلا في مسائل الأعمال، عن لا شيء.

يلاحظ كارليل أنه بحلول أواخر عام 1861، كانت إمبراطورية فريدريك على وشك الانهيار مع القوى العظمى للقارة الأوروبية - النمسا، وفرنسا، وروسيا - التي تجمّعت ضده مع احتمالات ساحقة. المدن الألمانية محتلة أو في حالة خراب. في رسالة بتاريخ 18 يناير 1862، إلى ماركيز دارجين (Marquis d'Argens)، يفكر فريدريك في الانتحار - يتحدث عن "أنبوب زجاجي صغير" سينهي كل شيء - ويبحث عن السلوان في أمل حدوث بعض الأحداث غير المتوقعة. كتب فريدريك: "إذا استمر القدر بملاحقتي، فسوف أغرق بلا شك. هو وحده القادر على تخليصي من الموقف الذي أنا فيه. أهرب منه من خلال النظر إلى الكون على نطاق واسع، مثل مراقب من كوكب بعيد ما؛ كل ذلك يبدو لي صغيراً للغاية، وأشفق على أعدائي لأنهم منحوا أنفسهم مثل هذه المشاكل بسبب القليل جداً".

يمضي فريدريك ليقول إنه يجد ملاذاً في كتبه. يكتب "قرأت كثيراً... أنا

ألتهم كتبي، وهذا مسكّن مفيد. لكن بالنسبة إلى كتبي، أعتقد أن الوسواس كان سيجعلني في حالة من الفوضى سابقاً. حسناً، عزيزي ماركيز، نحن نعيش في أوقات عصيبة ونمر بمواقف بائسة".

ويختتم فريدريك الرسالة بوصف نفسه بأنه "بطل المنصة؛ دائماً في خطر، ودائماً على وشك الموت". يأمل فقط أن "تأتي النهاية؛ وإذا كنت في نهاية المسرحية محظوظاً، فسننسى الباقي".

ثم تأتي أخبار مفاجئة وغير متوقعة من بطرسبورغ. بعد يوم من كتابة فريدريك لهذه الرسالة اليائسة، علم أن عدوه اللدود، زوجة القيصر إليزابيث، قد ماتت، ضحية لمرض غير متوقع بقدر ما هو قاتل. "تلك المرأة الإمبراطورة العنيدة، العاهرة الشمالية سيئة السمعة **INFAME CATIN/ DU NORD**، ميتة حقاً. في ذمة الله تعالى؛ ولم تعد تكرهني بعد الآن"، ابتهج فريدريك. "النجاة والسلام والنصر لتلك الكلمة!" والأفضل من ذلك، أن إليزابيث قد خلفها ابن أخيها بيتر، والذي حصل على منصبه بالصدفة، فهو من عشاق الألمان، والذي "لطالما كان صديقاً حليفاً ومعجباً بالملك؛ وتسرَّع، ليس ببطء شديد كما كان يخشى الملك، ولكن بالعكس، للإعلان عن إعجابه أمام البشرية جمعاء".* يفصل بيتر الثالث بين تحالفات روسيا مع النمسا وفرنسا، ويسحب الجيوش الروسية من ساحات القتال، ويرسل مبعوثاً إلى

* أقدم كتب هتلر المتبقية عن فريدريك العظيم هو مجلد يعود إلى القرن التاسع عشر بعنوان تأريخ وكل ما يمكن الإبلاغ عنه حول أولد فريتز، الملك العظيم والبطل. وهو عبارة عن أشعار، وهو يتحدث عن نفس الحادث على أنه ليس أقل أهمية ولكن بعبارات أكثر رقة قليلاً:

هكذا كانت السلسلة التي تدلت لفترة طويلة
وحاصرت بروسيا في خناق قاتل
كما كانوا مرتبطين سوية مرة
افترقوا في جولة واحدة.

(So wurde die Ringe der grossen Kette
—Die Preussen beinahe erdrosselt hätte
—Wie einst an einander gefugt man sie fand
—Jetzt würden abgetrennt nacheinand)

برلين. تمت حماية بروسيا. انتهت معجزة آل براندنبورغ (Brandenburg). يلاحظ كارليل، "من الصعب قتل فريدريك".

محاطاً بأنقاض برلين - وزارة الدعاية في الشارع المقابل وقد دمرتها قذيفة، مستشارية الرايخ القديمة المجاورة التي تضررت بالقنابل، والجدران الواسعة لمستشارية الرايخ الجديد مجردة من المفروشات واللوحات، مكتبتها أخليت من الكتب تحسباً من الدمار - ربما يكون هتلر قد شعر براحة وهمية في صفحات كارليل في ليلة الأحد تلك، أو على الأقل في مرحلة ما، في الأسابيع التي تلت ذلك. يتضح انشغال هتلر بالملك البروسي المحاصر ولكن المنتصر في النهاية من خلال صورة فريدريك التي علقها على جدار جناح القبو الخاص به. كان اختياره للوحات معبراً. من بين العديد من صور فريدريك التي امتلكها - أعيد إنتاجها في مجلد مغلّف، كتالوج معرض أدولف هتلر الخاص، من بين كتبه في مكتبة الكونغرس - اختار عملاً من أعمال أنطون غراف (Anton Graff)، فنان القرن الثامن عشر الذي أشاد ماكس أوزبورن بـ "التركيز النفسي والمضيء" الذي جلبه لعيون رعاياه. تُظهِر اللوحة فريدريش في سنواته الأخيرة، ذا شعر أشيب ومرح، "بعد أوقاته العصيبة ومواقفه اليائسة"، المستفيد من هذا النوع من الأحداث غير المتوقعة التي كان ينتظرها هتلر، والتي يبدو أنها تقدم نفسها في الأسبوع الثاني من شهر أبريل.

يوم الخميس، 12 أبريل، بدا أن الظروف تتواطأ في هذه اللعبة النهائية الوهمية. أثناء استراحته في منتجعه الخاص في وارم سبرينغز، جورجيا، عانى فرانكلين روزفلت من انسداد دماغي هائل وتوفي.

عندما وصل خبر وفاة روزفلت إلى قبو الفوهرر، اجتاح الابتهاج الفضاء الجوفي. هناك العديد من الروايات عن كيفية تلقي هتلر للأخبار، ولكن يبدو أن الإجماع العام يتبع ذلك الذي قدمه ألبرت شبير. "عندما وصلت إلى المخبأ"

يتذكر، "رآني هتلر واندفع نحوي بدرجة من الحيوية كانت نادرة لديه في تلك الأيام. أمسك قصاصة من جريدة في يده. هنا، اقرأها! هنا! تحققت المعجزة التي توقعتها دائماً. من كان على حق؟ لم نخسر الحرب. اقرأها! روزفلت مات!" أخبر هتلر شبير أن هذا دليل على أن العناية الإلهية كانت تراقبه. كان غوبلز فرحاً. أخبر شبير أن التاريخ يعيد نفسه، وأن معجزة براندنبورغ قد حدثت مرة أخرى. كما هو الحال مع فريدريك العظيم، جاء الخلاص في اللحظة الأخيرة.

انتهز هتلر هذه اللحظة لحشد قواته المنكوبة وأصدر إعلاناً في خط المواجهة: "في هذه الساعة، تراقبكم ألمانيا بأكملها، أيها المقاتلون الشرقيون، وتأمل أنه في صمودكم، في تعصبكم، من خلال أسلحتكم وتحت قيادتكم، سيختنق الهجوم البلشفي تحت حمام الدم. في اللحظة التي أزال فيها القدر من هذه الأرض أعظم مجرم حرب في كل العصور، حُسمت نقطة التحول في هذه الحرب".

من المستحيل معرفة ما إذا كان هتلر قد صدَّق الكلمات التي كان يرددها على مسامع ألمانيا، أو ما إذا كانت جزءاً من جهد دعائي محسوب لاستغلال ما اعتبره فرصة رائعة بشكل ملحوظ؛ سواء كان ببساطة ينسق خطابه مع خطاب غوبلز، أو ما إذا كانت هذه الكلمات، في الواقع، نشأت من اقتناع أعمق، تعويذة نصف رجاء ونصف مفعمة بالأمل خرجت من ضباب خداع الذات لتدخل في ضباب كثيف من اليأس. أو ما إذا كانت هذه الكلمات، في الواقع، تعبيراً عن قناعة هتلر الراسخة المزعومة بأن العناية الإلهية، أو الصدفة، قد رأت مرة أخرى أنه من المناسب، كما هو الحال مع فريدريك العظيم المبجل، إنقاذه من الخراب.

كانت الظروف غير متوقعة للغاية، وكان التوقيت غريباً للغاية، لدرجة أن

حتى أكثر المراقبين رصانة تُركوا ليفكروا في رد فعل هتلر لسنوات قادمة. يتذكر أحد مساعدي هتلر بعد الحرب: "ليس لدي إجابة مقنعة حتى اليوم على السؤال حول ما هو التفاؤل الزائف في هذا الإعلان وما اعتقده هتلر حقاً". كان مراقِب آخر للمشهد يميل إلى الاعتقاد بأن هتلر "كان مهووساً حرفياً بفكرة الخلاص المعجزة، حيث تمسَّك بها كما يتعلق غريق بقشة".

في الأيام التي أعقبت وفاة روزفلت، راقب هتلر التطورات لمعرفة ما إذا كان بإمكانه اكتشاف تحول في المناخ السياسي. حتى أنه فكر في إرسال شبير إلى الولايات المتحدة للقاء ترومان. طوال الوقت كان يدقق في الموقف العسكري بحثاً عن تحول ملموس في حظوظ ساحة المعركة.

لكن يوم 13 أبريل، بعد يوم من وفاة روزفلت، لم يشهد تقدم العدو. على طول الجبهة الشرقية، كان السوفييت يهاجمون الدفاعات الألمانية. في فيينا، سوف يمحون قريباً آخر جيب للمقاومة. على بعد مائة ميل إلى الغرب، قصفت قاذفات الحلفاء المنطقة في خط يمتد من البندقية إلى لينز. ضربت برلينَ ثلاثُ موجات متتالية من القاذفات. بعد ثلاثة أيام، في 16 أبريل، عندما شنت الجيوش السوفييتية هجوماً هائلاً أخيراً على العاصمة الألمانية، أصبح من الواضح أنه لن تكون هناك معجزة براندنبورغ ثانية. في 20 أبريل، تم "الاحتفال" بعيد ميلاد هتلر السادس والخمسين في جو هادئ بشكل ملحوظ، مع عدم وجود أي من الأبهة والاحتفال الذي ميز عيد ميلاده السابق، عندما كان لا يزال يقود القارة قبل شهرين من إنزال الحلفاء في نورماندي.

كانت إحدى هداياه في عام 1944 عبارة عن نسخة طبق الأصل مجلدة بشكل خاص من رسائل من فريدريك إلى خادمه مدى الحياة ومقربه، مايكل غابرييل فريدرسدورف (Michael Gabriel Fredersdorf)، والتي كتبها بين عامي 1747 و1755، حيث كان فريدريك يفكر في الشؤون العادية مثل نفقات امتلاك الخيول، جودة العروض الأوبرالية في برلين، والتعامل مع امرأة

تقول إنها تستطيع إنتاج الذهب من الماء (يوصي بحبسها حتى تتمكن من الوفاء بادّعائها). يحافظ هذا المجلد الكبير الحجم، المغلّف بالكتان الأبيض مرفقاً بتحية عيد ميلاد مطبوعة بأحرف ذهبية كبيرة، على التفاخر والثقة الوهمية للمناسبة التي حضرها هتلر بزي رسمي احتفالي أبيض.

بعد ذلك بعام، كان يرتدي سترته الميدانية الملطخة. حضر العشاء، وصافح الأيدي المهمة، ثم انسحب إلى ملجئه المحصن، حيث وجدته تراودل يونغ لاحقاً جالساً على كرسيه مع نظارات القراءة وكتاب.

بعد ذلك اليوم، أخبرتني يونج أنه لم يتحدث أبداً مرة أخرى عن تدخل إلهي أو عن تحول خارق للأحداث. قضى هتلر أيامه العشرة الأخيرة في جو من الكآبة المتزايدة مع تدهور الوضع العسكري. في 23 أبريل، مع وجود الجيوش السوفييتية في ضواحي برلين، أرسل غورينغ برقية من أوبرسلازبيرغ يطلب تخويله اتخاذ القرار في حالة عجز هتلر عن ممارسة مسؤولياته من العاصمة المحاصرة. مستشعراً بالخيانة، قام هتلر باعتقال غورينغ بعد يومين. في نفس اليوم، 25 أبريل، اجتمعت القوات السوفييتية والأمريكية على الجسر في تورجاو، في إلبه، شمال غرب ساكسونيا. وبدلاً من تبادل إطلاق النار، تصافحا. في يوم الجمعة ذاك، تم القبض على هيرمان فيجلين (Hermann Fegelein)، مساعد هيملر وصهر إيفا براون، أثناء محاولته الفرار من برلين بحقيبة مليئة بالعملة الأجنبية. في اليوم التالي علم هتلر أن هيملر كان في مفاوضات سلام سرية مع الحلفاء. بالنسبة لهتلر، كانت هذه أسوأ خيبة أمل على الإطلاق. في اليوم التالي، تم اختبار كبسولات السيانيد الخاصة به على كلبه الراعي الألماني، بلوندي، ثم انسحب إلى غرفة جانبية لإملاء وصيته الأخيرة.

كما لو أنه أخذ تلميحاً أخيراً من معلمه فريدريك، وفي تقليد الحكام اللاحقين، قسّم هتلر وثيقة الوداع هذه إلى وصية شخصية وسياسية. على عكس إرادة فريدريك الأخيرة، التي تم إملاؤها في سنوات الاضمحلال الأخيرة

على الرغم من الظروف اللطيفة، ولكن الروماتيزية، لحالة عدم الاكتراث والتي قدمت رؤيته للانتقال السلس والحكم الرشيد بعد وفاته، كانت كلمات هتلر الأخيرة حزينة ودفاعية وكاذبة، تم إملاؤها بعد منتصف الليل بقليل. غرفة محصنة، بينما كان يقف عند طاولة ورأسه لأسفل وذراعاه ممدودتان، وقد جلست تراودل يونج مقابله بقلم رصاص وآلة كاتبة. بدأ هتلر "ليس صحيحاً أنني أو أي شخص آخر في ألمانيا أراد الحرب في عام 1939".

لقد طُلبت منا وتم استفزازنا على وجه الحصر من قبل رجال الدولة الدوليين، الذين كانوا إما من أصول يهودية أو يعملون لصالح أجندات يهودية. لقد قدمتُ الكثير من العروض للحد من إنتاج الأسلحة وتقييده للأجيال القادمة، مع وضع كل الحديث عن الجبن جانباً، لإلقاء اللوم عليّ وتحميلي مسؤولية اندلاع الحرب. علاوة على ذلك، لم أرغب أبداً في حرب أخرى مع إنجلترا أو حتى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى البائسة.

وواصل تفصيل جهوده في الساعة الأخيرة لتجنب الحرب في صيف عام 1939، كما روى سفين هيدين بإخلاص، وعزا فشله إلى رغبة الصناعة البريطانية في خوض الحرب، وإلى "دعاية يهود العالم". ثم قام بتفصيل الخيانات التي عانى منها على يد رفاقه، وعيَّن الهيئة الحاكمة التي كانت ستحكم ألمانيا بعد وفاته. بدت طريقة غريبة لكتابة الوصية، وطريقة غريبة لا تزال لتكوين أحكام لإمبراطورية لم تعد موجودة بالفعل. كان عمل هتلر الأخير غريباً حتى الآن. "منذ أن اعتقدت خلال سنوات النضال أنني لا أستطيع عقد زواج بمسؤولية، قررت الآن قبل الانتهاء من هذا المسار الدنيوي أن أعتبر زوجتي تلك الفتاة التي جاءت بعد سنوات طويلة من الصداقة المخلصة إلى هذه المدينة المحاصرة تقريباً"، قال هتلر في وصيته الخاصة. "برغبتها الخاصة

سوف تموت وهي زوجتي. هذا سيعوضنا عما فقدناه من خلال عملي في خدمة شعبي".

بينما كانت يونج تدقق هذه الكلمات في ثلاث نسخ على آلة كاتبة يدوية، سار هتلر عبر القاعة إلى غرفة أخرى كانت مُعدة لاستقبال حفل زفاف صغير. مع قاضي السلام الذي تم سحبه من القتال في الشوارع أعلاه، ومع عمل مارتن بورمان وغوبلز كشهود، تم تزويج أدولف هتلر وإيفا براون. سُكبت جولة من الشمبانيا، ورفعت الكؤوس، وفي النهاية، بعد الساعة الرابعة صباحاً بقليل، تم توقيع الوصية الأخيرة. ثم انسحب هتلر وبراون إلى مقرهما الخاص. في صباح اليوم التالي، عندما التقت يونج بالعروس الجديدة مترددة، قالت براون: "لا بأس، يمكنك مناداتي السيدة هتلر".

تم قضاء اليومين التاليين في مناقشة مزايا كل من الانتحار بواسطة السيانيد أو المسدس، وإجازة الزملاء، وقعقعة اقتراب إطلاق النار. في وقت من الأوقات، انفجرت قنبلة في السماء، مما أدى إلى سريان قشعريرة عبر مجمع القبو. في 30 أبريل، تناول هتلر وزوجته الغداء كالمعتاد بصحبة تراودل يونج وسكرتيرة أخرى. أكل هتلر بصمت، كتفاه منحنيتان وعيناه مثبتتان على الطاولة. بعد الغداء، استدعى جميع حاشيته وودعهم، وصافحهم، وأخذ يتمتم بكلمات فراق كانت بالكاد مسموعة. تركت براون دثارها الفضي من فرو الثعلب بعهدة يونج. قدم هتلر لـ هانز باور لوحة تصور غراف، وأعطى دبوس حفلته الذهبية إلى ماغدة زوجة غوبلز. قبل الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم بقليل، انسحب هتلر وبراون إلى مسكنهما. في وقت ما بين الثالثة والنصف والرابعة، أطلقت رصاصة واحدة من مسدس.

عندما فتح مساعدو هتلر الباب، قوبلوا برائحة السيانيد النفاذة ومشهد براون ممددة على الأريكة، وحذاؤها وُضع جانباً برتابة. سقط هتلر بجانبها برصاصة واحدة في رأسه وبركة من الدم بحجم صفيحة على الأرض. تم

لفهما بالبطانيات، وحُملا صعوداً على الدرج الضيق إلى حديقة المستشارية، حيث دُفنا في قبر ضحل، وصبوا على جثتيهما خمسة وعشرين جالوناً من البنزين، وأضرموا فيهما النيران. يتذكر أحد الشهود مشاهدة فستان براون الحريري الأزرق وهو يتفحم، ويكشف للحظة وجيزة عن بشرتها البيضاء الناعمة، المتحللة تدريجياً إلى الأسود وسط النيران. كما غُمرت غرف مخبأ هتلر بالبنزين وأُشعلت فيها النيران، ولكن سرعان ما اختنق اللهب ومات في الفضاء الضيق الخالي من الهواء.

تُظهِر صورة غرفة نوم هتلر في ذلك الوقت مساحة بسيطة ومُنهبَة. جُرد السرير من مرتبته، كاشفاً عن إطار سرير خشبي بسيط ونسج فضفاض من النوابض الفولاذية. تتدلى شماعات الملابس العقيمة في الخزانة المفتوحة. يهيمن صندوق كبير وطويل على الواجهة. تم فتح الباب السميك بمشعل لحّام. في أقصى اليسار، يوجد كرسي خشبي بسيط يقف مقابل الحائط، مع طاولة مربعة منخفضة تكاد تكون محاذية للسرير. لم يتبق شيء شخصي، باستثناء الكتب المتناثرة: خمسة مجلدات مكدسة في كومة فوق الصندوق الكبير المخترَق، ومن الواضح أنه جزء من سلسلة، ربما واحدة من موسوعات ماير أو بروكهاوس التي احتفظ بها هتلر دائماً بالقرب منه. يوجد مجلد واحد على الأرض بالقرب من الخزانة، واثنان آخران بالقرب من الحائط البعيد. يوجد كتاب واحد على الطاولة، جاثمٌ على الزاوية بالقرب من سرير هتلر. إنه المجلد الوحيد الذي يواجه كعبه الكاميرا، ويبدو أنه مجلد مرتبط بشكل رائع من عدة مئات من الصفحات، كما هو ضخم مثل النسخة المختصرة لكارليل عن فريدريك العظيم؛ ربما كان من الممكن فك رموز هويته من الكعب لولا وهج الفلاش الذي يعمينا عن اسم المؤلف والعنوان.

لن نعرف أبداً عناوين الكتب التي كانت على جوار سرير هتلر في اليوم الذي انتحر فيه، لكننا نعرف ثمانين كتاباً كانت موجودة في مجمع القبو في

ذلك الوقت، وبعض المقتنيات الحديثة نوعاً ما، مثل كتاب عام 1943 بعنوان "تاريخ حرب روزفلت، بقلم هانز هاينريش ديكهوف (Hans Heinrich Dieckhoff). ولكن كانت هناك أيضاً كتب حصل عليها عندما كان شاباً وأحضرها معه في وقت ما إلى برلين: أطروحة عام 1913 عن أوبرا فاغنر بارسيفال، وهي رسالة عن القيم العرقية نُشرت عام 1917، وتاريخ عام 1921 للصليب المعقوف، وعشرات أو نحو ذلك عن موضوعات صوفية وسحرية تعود جميعها إلى أوائل عشرينيات القرن العشرين، بما في ذلك كتاب ورقي الغلاف من 120 صفحة بعنوان نبوءات نوستراداموس، بقلم كارل لوغ (Carl Loog)، نُشر عام 1921.

في هذا الغلاف الورقي الرخيص، المطبوع على الورق الذي يتدهور بسرعة اليوم، يتنبأ لوغ بظهور "نبي" "برأس هائج" - mit rasendem Kopf- سـ "يحرر" الشعب الألماني ويجعل صوته "مسموعاً في جميع أنحاء العالم". في شرح أحد فقرات نوستراداموس الأكثر غموضاً، توقع منشور عام 1921 اندلاع "الحرب العالمية الثانية" في عام 1939، مع خوض ألمانيا حرباً ضد بولندا وفرنسا وإنجلترا. كان المؤلف على يقين تام من توقيت وظروف هذه الحرب المستقبلية - خلال عقدين من الزمن - لدرجة أنه يستشهد بمقطع نوستراداموس ذي الصلة (القرن 3، الرباعي 57) في مجمله ويقدِّم شرحاً تفصيلياً. كتب لوغ: "إذا افترضت في المقاطع السابقة أن المريخ يرمز للحرب، فليس من الصعب اليوم ترجمة هذا اللغز على أنه "حرب عالمية". من شبه المؤكد عندئذٍ أن بقية مقاطع المريخ تشير إلى حرب عالمية ثانية أو ثالثة". يرى لوغ أن الرباعية 57 لنوستراداموس هي خريطة طريق للحرب:

سبع مرات سترى الأمة البريطانية تتغير
غارقة في الدم بعد *290* عاماً
ليست حرة أبداً من دعمها الجرماني.
يشك برج الحمل في قطبه الباستارني.

الأمة الإنجليزية "ستتغير سبع مرات" و"ستغرق في الدماء" في غضون 290 عاماً؛ سوف تلتهم الحرب "القطب الباستارني". (يوضح لوغ أن "الباستارنيين" كانوا قبيلة جرمانية احتلت ذات مرة منطقة انضمت إلى بولندا بعد عام 1918). حدد لوغ العد التنازلي لإنجلترا لمدة 290 عاماً على إراقة الدماء في عام 1649، وهو العام الذي أُعدم فيه تشارلز الأول وتولى أوليفر كرومويل السلطة، ثم يصنف "التغييرات" اللاحقة بما يتوافق مع عهود تشارلز الثاني، وجيمس الثاني، ووليام الثالث، والملكة آن، وأخيراً جورج الأول.

"من تلك النقطة فصاعداً، تسير السياسة في إنجلترا إلى حد كبير في اتجاه واحد"، قال لوغ مشيراً إلى أن الرصيد المتبقي البالغ 150 عاماً يتواصل بهدوء نسبي، مما أوصله إلى عام 1939 المشؤوم. "من الواضح أن نوستراداموس يريد شرح أن حرب عام 1939 تسير جنباً إلى جنب مع آخر وأكبر أزمة إنجليزية وأزمة للبلد المُعاد تشكيله في بولندا". يكتب لوغ.

عندما طلبتُ هذا المجلد المعين في غرفة قراءة الكتب النادرة في جامعة براون، تم جلبه إلي في غلاف ورقي رمادي خالٍ من الأحماض، ومُحدد برقم الكتالوج 38. بينما كنت أتصفح الصفحات، لم أجد هامشاً، لا تدخلات مقلمة بالرصاص، سواء كانت تعليقات أو علامات سفلية، ولا توجد علامات استفهام أو علامات تعجب، ولا أي أدوات كاشفة أخرى قد تعطي بعض التأثير على تفاعل هتلر مع هذا النص الرائع. الدليل الوحيد على قراءة الكتاب هو الحافة الخشنة حيث قُطعت بعض الصفحات بأداة حادة، ربما بفتاحة رسائل، تاركة شقاً بالياً على طول الجزء العلوي من كل صفحة أصبح هشاً بمرور الوقت. أثناء دراسة المجلد، اكتشفت بسرعة أن هتلر، أو أي شخص قطع هذه الصفحات، قد قطع حتى الصفحة 42، أي 26 صفحة قبل تنبؤ لوغ بـ "النبي" برأس مستعرة و"حرب عالمية ثانية".

ما إذا كان هتلر على علم بتنبؤات نوستراداموس، فلن نعرف أبداً، ولكن مع هذا المجلد المحدد، تشبع مكتبة هتلر غرور بنجامين وتوسع أبعاده: ليس فقط الجامع مصوناً في كتبه، ولكن حياته مكتوبة في صفحاتها.

خاتمة

مصائر الكتب

عندما كتب بنجامين أن الكتب "تصون" الجامع، رأى المكتبة الشخصية، ليس فقط باعتبارها محصلة حياة أصبح معها الجامع "مدرَكاً" عند حصوله على آخر مجلد، ولكن أيضاً كنقطة نهاية لمسار الكتب نفسها، والتي كانت تنتقل من يد إلى يد، غالباً عبر طرق ملتوية بشكل ملحوظ، حتى تصل إلى الراحة النهائية على رف الجامع. مثل ألويس هودال (Alois Hudal)، وجد بنجامين الحكمة في اللاتينية: للكتب قدرُها / habent sua fata libelli.

لاحظ بنجامين أن "هذه الكلمات قُصد منها أن تكون بياناً عاماً عن الكتب. هكذا كتب مثل الكوميديا الإلهية، سبينوزا الأخلاق، وأصل الأنواع لديها مصائرها. لكن الجامع يفسر هذا القول اللاتيني بشكل مختلف. بالنسبة له، ليس فقط الكتب، ولكن أيضاً نسخ الكتب لها مصيرها".

بالنسبة لبنجامين، يمثل كل مجلد في مكتبة "مصيراً" فردياً، لكل منه قصته الخاصة، والغرض المقدَّر له في حياة الجامع، سواء كان ذلك للترفيه، أو للإلهاء، أو للإعلام، أو للتزيين، ولكن في النهاية وبشكل كامل تبقى شاهدة بعد "وفاة" الجامع، مثل جوقة مجمعة من مأساة يونانية.

هناك، بالطبع، قصر نظر يمكن اكتشافه، وحتى افتراض، لغرور بنجامين هذا، لأنه يفترض أن كتاباً معيناً "مصير" لمكتبة معينة، وأن سبب وجوده النهائي هو "الحفاظ" على جامعه، للعب دور الشهادة بعد وفاته، ليتم الضغط عليه في العبودية الدائمة لذكرى الجامع "الميت". هذه بالتأكيد فكرة مطمئنة لهواة الجمع مع مراعاة الأجيال القادمة، لكنها نظرة ضيقة الأفق

إلى المصير الحقيقي للكتب، إلى حقيقة أن عدداً قليلاً من المكتبات نجت على الإطلاق من جامعها، وهو ما اكتشفه بنجامين بنفسه بشكل مؤلم في مارس 1933. في غضون أسابيع من استيلاء هتلر على السلطة، فر بنجامين من ألمانيا، وعهد بمجموعة كتبه إلى أحد الجيران، الذي أرسل في النهاية جزءاً من المجموعة - "أثمن نصف منها" - إلى الدنمارك، حيث كان بنجامين يقيم مع الكاتب المسرحي بيرتولت بريخت (Bertolt Brecht). انتقل بنجامين في النهاية إلى باريس، مصطحباً كتبه معه.

عندما شح المال، باع بنجامين مجلدات فردية لتغطية نفقاته. تعمق حزنه عندما حاول تأمين النصف الآخر من مكتبته في برلين، فقط ليعرف أن كتبه وأوراقه المتبقية قد دُمرت.

بعد الغزو الألماني في عام 1940، تم اعتقال بنجامين لفترة وجيزة من قبل السلطات الفرنسية، ثم أُطلق سراحه من خلال تدخل أحد معارفه الفرنسيين. تخلى عن الجزء "الثمين" الباقي من مكتبته، وهرب جنوباً إلى لورد، ثم إلى مرسيليا، فقد كان يأمل بالهجرة إلى الولايات المتحدة حيث كان مثقفون ألمان في المنفى. في رسالة إلى طالبة سابقة، حنا آرندت (Hannah Arendt)، تحدث بنجامين عن "الحياة المليئة بالخوف" -angsterfülltes Leben- التي يواجهها الآن، وكان يجهل ما قد تجلبه الساعة التالية، ناهيك عن اليوم التالي. في أي لحظة، يمكن تسليمه إلى الجستابو. في أوائل الخريف، قرر عبور الحدود الفرنسية الإسبانية في بورتبو / Portbou، وهي بلدة ساحلية منعزلة لا تخضع لسيطرة السلطات الفرنسية. في صباح يوم 27 سبتمبر 1940، انطلق بنجامين مع مجموعة صغيرة من اللاجئين في نزهة قصيرة ولكن قاسية على طول طريق جبلي إلى بورتبو، ليتم اعتقاله من قبل الحراس الإسبان الذين أغلقوا الحدود مؤقتاً. مرهقاً وخائفاً من أن يتم تسليمه إلى السلطات الفرنسية، كتب بنجامين رسالة موجزة في ذلك المساء - "أنا في وضع ميؤوس منه وليس لدي

أي احتمال آخر سوى إنهائه" - وانتحر بجرعة زائدة من المورفين.

في حين أن اليأس والرهاب كانا بالتأكيد السببين المباشرَين لانتحار بنجامين، توقعت حنا آرندت لاحقاً أزمة وجودية أعمق: فقدان كتبه. كان يقف عند هذا المعبر الحدودي المقفر على الحافة الساحلية للقارة، وكان ينظر إلى مستقبل كئيب ومهدد على حد سواء، مدركاً أن كتبه المتبقية - ملجأه، و "مسكنه"، ومصادر رزقه - قد انتقلت إلى أيدي جستابو باريس. أثناء تأملها لفعله اليائس الأخير، شعرت آرندت بالألم لكنها لم تتفاجأ. "كيف كان يعيش بدون مكتبة؟" هي سألت. ما لا تعرفه آرندت، ولا يمكن لبنجامين أن يفترضه أبداً، هو أن مكتبته في الواقع نجت. صادرها الجستابو، وأرسلها إلى برلين، حيث طالب السوفييت بنقلها إلى موسكو، لتتم إعادتها إلى ألمانيا، أولاً إلى أرشيف تيودور أدورنو (Theodor Adorno) في فرانكفورت، وفي النهاية إلى أرشيفه الخاص في برلين، حيث بدأت رحلتها قبل ستة عقود.

تم تفكيك مكتبة هتلر الشخصية بسرعة في فوضى إمبراطوريته المنهارة. بحلول الوقت الذي أطلق فيه النار على نفسه، كان الجنود الأمريكيون بالفعل ينتقون مجموعاته في ميونيخ. في مكتب هتلر بمقر الحزب النازي في البيت البني، عثر ملازم شاب على نسخة من كتاب هنري فورد حياتي وعملي الذي سجله هانفستاينغل في عام 1924؛ في النهاية، أخذ الملازم المجموعة المكونة من مجلدين، والتي "أظهرت دليلاً على الاهتراء"، إلى نيويورك وعرضها للبيع في مكتبة Scribner's Bookstore.

في مقر إقامة هتلر في ساحة برينس ريجينت، وجدت مراسلة الحرب لي ميللر (Lee Miller) أن كتب هتلر سليمة جزئياً. وأشارت إلى أنه "على يسار الغرف العامة كانت توجد مكتبة مليئة بالكتب ذات الأغلفة الغنية والعديد من مجلدات العروض التقديمية لتوقيعات المهنئين. كانت المكتبة غير مثيرة للاهتمام من ناحية أن كل شيء ذي قيمة شخصية قد تم إخلاؤه: الرفوف

الفارغة كانت بمثابة غنائم قاتمة من الرحلة". تُظهر إحدى الصور ميلر جالسة على مكتب هتلر. تتناثر عشرات الكتب العشوائية على الأرفف المجاورة - أغلفة ورقية، وأغلفة صلبة، وكتاب كبير مصوَّر من نورمبرغ، وثلاث طبعات مبكرة من كفاحي بقميصها الأصلي.

بعد أربعة أيام، وصلت القوات المتقدمة من الفرقة 101 المحمولة جواً إلى أوبرسلازبيرغ لتجد أنقاض البرغهوف مشتعلة. في مكتب الطابق الثاني، تم تحويل خزائن الكتب المصنوعة يدوياً إلى رماد، ولم يتبق سوى جدران خرسانية متفحمة وصندوق قوي أسود اللون، حيث وجد الجنود عدة طبعات أولى من كفاحي. تم اكتشاف بقية كتب هتلر في غرفة محصنة تم تحويلها إلى ملجأ. أفاد ضابط مخابرات في الفرقة 101 "في الزاوية البعيدة تم ترتيب كراسي للاستلقاء ومصابيح قراءة. كانت معظم الكتب تعنى بالفن والعمارة والتصوير وتاريخ الحملات والحروب. أظهر الفحص السريع للكتب المتناثرة أنها [كذا] تفتقر بشكل ملحوظ إلى الأدب وتكاد تكون خالية تماماً من الدراما والشعر". يحدد التقرير المصنف ثلاثة أعمال فقط بالاسم: سفر التكوين للحرب العالمية للمؤرخ الإصلاحي الأمريكي هاري إلمر بارنز (Harry Elmer Barnes)، والأمير لـ نيكولو مكيافيلي (Niccolò Machiavelli)، وانتقادات الفيلسوف إيمانويل كانط من القرن الثامن عشر.

أصبحت المجلدات المربوطة بشكل رائع هي الخيار المفضل للجنود المنتصرين. تسجل لقطات فيلم إخباري الجنود الأمريكيين وهم يفتشون في مجموعة كتب هتلر. يُظهر أحد المتتاليات جندياً يفتح مجلداً كبيراً ليكشف عن بطاقة تحمل اسم هتلر أثناء تكبير الكاميرا لالتقاط صورة مقربة؛ وفي حالة أخرى، يخرج عدة رجال من المخبأ حاملين أكواماً من الكتب تحت أذرعهم. في الأسابيع التي تلت ذلك، تم تجميع كتب البرغهوف كتاباً تلو الآخر. بحلول 25 مايو، عندما وصل وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي إلى أوبرسلازبيرغ،

كان عليهم الاكتفاء بألبومات من مجموعة تسجيلات هتلر. لم يبق كتاب واحد.

في تلك الأسابيع نفسها، تم أيضاً تفكيك مجموعة كتب هتلر في برلين. في الساعة التاسعة من صباح يوم 2 مايو، بعد ستة وثلاثين ساعة من انتحار هتلر، دخل فريق طبي سوفييتي إلى قبو هتلر المهجور تقريباً. عاودوا الظهور بعد ساعة وهم يلوّحون بصدريات الدانتيل الأسود من خزانة ملابس إيفا براون، ويحملون حقائب مليئة بالهدايا التذكارية المتنوعة، بما في ذلك العديد من الإصدارات الأولى من كفاحي. وتلت ذلك موجات متتالية من النهب. عندما وصل ألبرت آرونسون (Albert Aronson) إلى برلين كجزء من الوفد الأمريكي الذي تم إرساله للتفاوض حول الاحتلال المشترك للمدينة، اصطحبه مضيفوه السوفييت في جولة في الأحياء الخاصة بهتلر، وكمجاملة له سمحوا له بأخذ كومة من ثمانين كتاباً لم يطالب بها أحد. في تلك الأسابيع نفسها، تم تأمين مكتبة مستشارية الرايخ بأكملها - والتي تقدر بعشرة آلاف مجلد - بواسطة "لواء تذكاري" سوفييتي وشُحنت إلى موسكو، ولم تُرَ أبداً مرة أخرى.* كانت الأجزاء المهمة الوحيدة من مكتبة هتلر التي بقيت على حالها هي الثلاثة آلاف كتاب المكتشفة في منجم الملح في بيرتشسغادن، والتي نُقل 1200 منها إلى مكتبة الكونغرس. يبدو أن الباقي قد "أزيل" في عملية فهرسة المجموعة.

ويوجد آلاف أخرى في العلّيات ورفوف الكتب في منازل قدامى المحاربين في جميع أنحاء الولايات المتحدة. من حين لآخر، تجد مجلدات عشوائية طريقها إلى الجمهور. منذ عدة سنوات، عُثر على نسخة من كتاب مملكة الله والعالم المعاصر لبيتر ماغ، المنشورة عام 1915، مع "أ. اكتشف هتلر" مكتوبة على الغلاف الداخلي، في حاوية كتب بخمسين سنتاً لمكتبة محلية للبيع في

* في أوائل التسعينيات، ذكرت صحيفة موسكو وجود هذه الكتب في كنيسة مهجورة في ضاحية أوزكو بموسكو. بعد وقت قصير من ظهور المقال، تمت إزالة المجموعة ولم تتم رؤيتها منذ ذلك الحين.

شمال ولاية نيويورك. بعد وفاة آرونسون، تبرع ابن أخته بالثمانين كتاباً من قبو الفوهرر إلى جامعة براون. في أوائل التسعينيات، تلقى دانيال ترايستر (Daniel Traister)، رئيس مجموعة الكتب النادرة في جامعة بنسلفانيا، سيرة ذاتية لفريدريك العظيم بالإضافة إلى العديد من غنائم البرغهوف. وكتب في إحدى الملاحظات المصاحبة "دان، لن تصدق مقدار الأموال التي يريد الناس تقديمها لي مقابل هذه الأشياء. حتى الآن، لم أقابل أي شخص أريد أن أعطيها له. هاك: دمرهم أو احتفظ بهم كما يحلو لك".

قبل بضع سنوات، تلقيتُ ملاحظة مماثلة بعد أن كتبتُ مقالاً حول مكتبة هتلر لمجلة أتلانتيك الشهرية. ورثت تاجرة كتب في مينيسوتا كتاباً لهتلر اشترته والدتها في مزاد علني في السبعينيات. في البداية، مفتونة بهذا الاستحواذ، عانت الأم من وخز متناقض للضمير: كانت غير مرتاحة لتحقيق مكسب مادي من قطعة أثرية لـ هتلر، وكانت غير مرتاحة أيضاً تجاه دوافع المشتري المحتمل. بعد وفاة الأم، ورثت ابنتها الكتاب والمعضلة معاً. بعد أن قرأت مقالتي، وشعرت أن اهتماماتي كانت أكاديمية بحتة، قدمت لي الكتاب بسعر التكلفة. بعد أسبوع، وصلت نسخة هتلر من كتاب الجسد والروح والعقل الحي لكارنياديس في صندوق من الورق المقوى.

كانت الأطروحة في حالة جيدة بشكل ملحوظ، وهي عبارة عن مجلد ضخم مُغلَّف من الكتان المنسوج مع مثلثات جلدية في كل زاوية وكعب جلدي متطابق مع العنوان والمؤلف اللذين نُقش اسمهما بالذهب. كان الكتان مهترئاً جزئياً وجُرِش الجلد في بعض الأماكن، ولكن بخلاف ذلك كان المجلد لا تشوبه شائبة. مقابل بطاقة تحمل اسم هتلر، تم وضع ملاحظة مكتوبة على الآلة الكاتبة في الغلاف لتسجيل مصدر المجلد:

أُخذ هذا المجلد من مكتبة أدولف [كذا] هتلر الشخصية الواقعة

في ملجأ موريسون تحت الأرض في منزله في بيرتشسغادن. تم التقاطها عن قبل الرائد إي. جاي تشوز (A. J. Choos) كتذكار للسيد إي. بي هوروات (E. B. Horwath) في 5 مايو 1945.

لعدة سنوات، ظل الجسد والروح والعقل الحي يطارد أرفف الكتب في شقتي في سالزبورغ حتى أصبحتُ أنا أيضاً غير مرتاح لوجودها. مثل المحارب القديم في ولاية بنسلفانيا وتاجر الكتب في مينيسوتا، لم أكن مهتماً بالربح من المجلد وكانت لدي مخاوف جدية حيال كيفية التصرف بها. لقد تمكنت في النهاية من حل المعضلة من خلال التبرع بالمجلد لأرشيف التاريخ المعاصر لأوبرسلازبيرغ في بيرتشسغادن، وهو مستودع خاص أنشأه أمين أرشيف مقيم للحفاظ على تاريخ المدينة، بما في ذلك هذا الفصل المظلم من تاريخها.

بعد قضاء ما يقرب من عقد من الزمن خلف صندوق زجاجي في البرغهوف في الطابق الثاني من مكتب هتلر - شاهداً صامتاً على اجتماعاته النهارية وقراءته في وقت متأخر من الليل - وجد مجلد كارنياديس طريق العودة إلى بيرتشسغادن، حيث بدأت رحلته قبل ما يقرب من سبعة عقود. بالفعل، إن للكتب مصائرها! *habent sua fata libelli*.

شكر وتقدير

كان أدولف هتلر جامع كتب غير منتظم. لم يقم أبداً بتعيين أمين مكتبة محترف لتنظيم أو فهرسة كتبه، بل أولى هذه المسؤوليات إلى مدبرات المنزل والمساعدين. لقد تُرك لعدد قليل من أمناء المكتبات والعلماء في فترة ما بعد الحرب فرض إحساسهم الخاص بالنظام والأهمية على الأجزاء المتبقية من مكتبته الخاصة.

كان أول جهد لتنظيم كتب هتلر المتبقية من قبل هانز بيلهاك (Hans Beilhack)، أمين مكتبة ألماني كان يعتني بكتب هتلر في مستودع تخزين ميونيخ بعد مصادرتها من قبل الأمريكيين في ربيع عام 1945. في الخمسينيات، قام أرنولد جاكوبيوس (Arnold Jacobius) بفرز المجلدات لـ مكتبة الكونغرس أثناء التدريب كمتدرب في المكتبة في قسم الكتب النادرة والمخطوطات. قام الباحث البارز غيرهارد واينبرغ (Gerhard Weinberg) بتضمين كتب هتلر في الكتالوج التاريخي لوثائق الحرب الألمانية التي تم الاستيلاء عليها، والتي جمعها عندما كان طالب دراسات عليا حديث العهد.

اعتمد روبرت وايت (Robert Waite) على المجموعة لتحليله الفرويدي المثير للجدل هتلر: الإله المضطرب نفسياً، الذي نشرته باسيك بوكس عام 1977. في عام 2003، نشر العالم الهنغاري أمبروس ميسكولتشي (Ambrus Miskolczy) مكتبة هتلر مع مطبعة جامعة أوروبا الوسطى، وهي مذكرات شخصية عن صيف قضاه في دراسة مجلدات هتلر. كتب ريجينالد فيلبس (Reginald Phelps) ويهودا والاش (Jehuda Wallach) أيضاً مؤلفات ذات

نظرة ثاقبة حول المجموعة.*

أكثر الجهود طموحاً ونجاحاً حتى الآن هو كتاب مكتبة هتلر لـ فيليب جاسرت (Philipp Gassert) ودانيال ماترن (Daniel Mattern). يقدم هذا المجلد الكثيف المكون من 550 صفحة، والذي نشرته مطبعة غرينوود في عام 2001، أول كتالوج مشروح لـ 1244 كتاباً معروفاً لهتلر في الولايات المتحدة، والتي تشكل 10 بالمائة على الأكثر من مجموعة هتلر الأصلية. إنني ممتن بشكل خاص لهذين العالمين على عملهما الشامل. يقدم كتابهما خريطة طريق حقيقية من خلال كتب هتلر الباقية.

قبل أن أشكر أولئك الأفراد الذين قدموا بسخاء التوجيه والمساعدة في هذا الكتاب، أود أن أنوه بعدد من زملاء هتلر السابقين الذين شاركوا معي تفاصيل عن عادات هتلر في القراءة وجمع الكتب.

قام هربرت دورينغ، مدير البرغهوف من عام 1936 إلى عام 1941، بتفصيل طريقة التصرف في الكتب في معتكف هتلر الألبي، وعاداته في التصنيف والتخزين. قامت مارجريت ميتلستراسر، الموجودة أيضاً في البرغهوف، من عام 1936 حتى عام 1945، بتفصيل عادات القراءة الليلية لهتلر: كتاب واحد في الليلة، إما على مكتبه أو على كرسيه، مع كوب من الشاي دائماً. أمضت تراودل يونج، السكرتيرة الخاصة التي ألهمت ذكريات أيام هتلر الأخيرة أحداث فيلم السقوط / *Downfall*، نصف يوم معي في دراسة نسخ من صفحات مليئة بهوامش سجلها هتلر. قدم مشغل هاتف هتلر روشوس ميش (Rochus Misch) تفاصيل عن أماكن هتلر المليئة بالكتب في مخبأ برلين.

كما هو الحال مع أي مشروع يتعلق بالأرشيف، هناك العديد من الأفراد

* رينالد آتش. فيليبس، "مكتبة هتلر" Deutsche Rundschau 80، (سبتمبر 1954): 923 - 31؛ يهودا والاش، "مكتبة هتلر الشخصية" تاريخ معاصر (1992): 29 - 50.

والمؤسسات الذين يجب شكرهم. اسمحوا لي أولاً أن أعرب عن تقديري لموظفي مجموعة الكتب النادرة في مكتبة الكونغرس، والمشرفين على أكبر مجموعة متبقية من كتب هتلر. في السنوات الست الماضية، ساعدوني بأعلى درجات المجاملة والاحتراف، والأهم من ذلك كله، الصبر. في هذا الصدد، أود أن أشكر بشكل خاص مارك ديمونيشن، رئيس قسم الكتب النادرة والمجموعات الخاصة، وكلارك إيفانز، أخصائي المراجع في غرفة قراءة الكتب النادرة.

وأتوجه بشكر مماثل أيضاً إلى صموئيل ستريت وموظفيه في مكتبة جون هاي بجامعة براون؛ دانيال ترايستر، أمين الخدمات البحثية لمجموعة الكتب النادرة في جامعة بنسلفانيا؛ ليزلي موريس، أمينة مكتبة هوتون بجامعة هارفارد؛ كارول ليدنهام، مؤرشفة مرجعية، رونالد بولاتوف، أخصائي أرشيف، بمكتبة معهد هوفر في جامعة ستانفورد؛ جيني فيشمان، باحثة مستقلة في معهد هوفر؛ الدكتور هوكان والكيست، حارس مؤسسة سفين هيدين؛ راينهارد هورن، رئيس جمع الخرائط وأرشيف الصور في مكتبة ولاية بافاريا؛ وفريق البحث والدعم الرائع في معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ. شكر وتقدير أيضاً لأعضاء المكتبات البحثية بجامعة ميتشغن.

ساعدني عدد من الأفراد في محاولتي لتحديد موقع مجموعة كتب هتلر المنهوبة التي لا تزال بعيدة المنال في موسكو، ولا سيما أستريد إيكيرت وباتريشيا جريمستيد وكونستانتين أكينشا، وكذلك أوليفر هالمبورغ وفريقه البحثي في LoopFilm في ميونيخ. شكر خاص لفرانز فليشمان، الباحث الخارق. الأهم من ذلك، أود أن أعرب عن تقديري لفلوريان بيرل على كرمه في توفير الوصول إلى أرشيف التاريخ المعاصر لأوبرسلازبيرغ في بيرتشسغادن، وهو أكبر مجموعة من المواد الأولية الشاملة عن البرغهوف وسكانها. أود أيضاً أن أشكره لمشاركته معي صفحات المخطوطات الأصلية لـ كفاحي، والسماح لي باستخدام سجله الفوتوغرافي الشامل لكتب هتلر الباقية.

كما هو الحال دائماً، أدين بدين امتنان دائم لريتشارد إم هانت وفريقه من زملاء التدريس السابقين بجامعة هارفارد في قسم الآداب والفنون، وإلى العديد من زملائي السابقين في ندوة سالزبورغ العالمية، خاصة مصور سالزبورغ هيرمان سيدل. شكراً أيضاً لسيباستيان كودي وجوناثان بتروبولوس لقراءتهما المتأنية للمسودات المبكرة للمخطوطة، ولرسل رايلي على مساعدته ودعمه، ولستيفن باخ الذي ساعد في تأطير فكرة "كتاب عن الكتب". أنا مدين بامتنان خاص لجوناثان سيغال في دار ألفريد أ. كنوبف لرؤيته وتحريره الدقيق وصبره. يدين الكتاب أيضاً بقدر كبير لاهتمام الفريق بأكمله في كنوبف، وخاصة كايل مكارثي وجوي ماكغارفي. كما هو الحال دائماً، أقدر كثيراً وكيلي غيل هوشمان، بالإضافة إلى ماريان ميرولا.

وأخيراً، شكراً لزوجتي، ماري لويز، التي، كما هو الحال دائماً، كانت أكبر مصدر منفرد للدعم والإلهام، وبالطبع لأولادي كاترينا وبريندان وأودري، الذين ساعد كل منهم بطريقته الخاصة.

في الختام، أود أن أتذكر جيري واجر، الرئيس السابق لغرفة الكتب النادرة في مكتبة الكونغرس، الذي وافته المنية مؤخراً بشكل غير متوقع، وفي سن مبكرة جداً. عندما بدأت بحثي لأول مرة، في ربيع عام 2001، كان جيري بمثابة دليلي لهذه المجموعة، حيث كشف عن مئات الصفحات من الهوامش التي أغفلتها أجيال من الباحثين والعلماء. لعدة سنوات، استمر في إخباري بتحقيقاته الخاصة في المجموعة. لا يكاد يوجد فصل في هذا الكتاب لا يدين ببعض البصيرة أو الاكتشاف لجيري، الذي حافظ على روح البحث الفكري والبراعة في تنظيم المعارض في هذه الصفحات.

الملاحق

بحلول نهاية حياته، كان هتلر يحتفظ بمكتبات خاصة في مساكنه في برلين وميونيخ وفي أوبرسلازبيرغ، بالإضافة إلى مستودع كتب في "Führer Archive" في قبو مقر الحزب النازي في Brown House في ميونيخ. باستثناء الجرد الجزئي لمكتبة مستشارية الرايخ في برلين، المحفوظة في معهد هوفر بجامعة ستانفورد، لا يوجد فهرس باقٍ لمجموعة كتب هتلر.

ومع ذلك، لدينا العديد من السرديات المباشرة التي تساعدنا في فهم بنية هذه المكتبة المختفية. والأهم من بينها وصف فريدريك أوشسنر بناءً على مقابلات مع العديد من زملاء هتلر، والذي نُشر في نهاية المطاف في ملف شخصي لهتلر بطول كتاب عام 1942 بعنوان هذا هو العدو. على الرغم من كونه صحفياً بطبيعته ودعائياً في النية، إلا أن رواية أوشسنر تقدم، بصرف النظر عن مزاعمه الأكثر إدهاشاً وإباحية، أفضل صورة لدينا عن مجموعة كتب هتلر. وبالمقارنة، فإن الحسابات الثلاثة الأخرى هي مجرد لمحات سريعة. يأتي أولها من تقرير سري صادر عن فيلق مكافحة التجسس الحادي والعشرين التابع للجيش الأمريكي، ويرجع تاريخه إلى مايو 1945، ويوضح تفاصيل مجمع القبو تحت البرغهوف. يتضمن وصفاً موجزاً للغرفة المقببة التي كانت بمثابة ملجأ من الغارات الجوية لكتب هتلر في البرغهوف ولكنها تذكر ثلاثة منها فقط بالاسم. هذا أمر مؤسف بشكل خاص، لأنه في الأسابيع التالية سُرقت الغرفة بالكامل من قبل الجيران والجنود وغيرهم.

تصف السردية الثانية لما بعد الحرب، التي نشرها هانز بيلاك (Hans Beilhack) في صحيفة ميونيخ اليومية في نوفمبر 1946، مخبأ كتب هتلر

المكتشف في منجم ملح بالقرب من بيرتشسغادن. على الرغم من أنه افترض خطأً أن الكتب الثلاثة آلاف التي كانت تحت رعايته تمثل مكتبة هتلر بأكملها، فقد أثبت أنه فطنٌ بشكل ملحوظ في قياس الطبيعة "المحبة للفن" في اهتمامات هتلر المتعلقة بالكتب.

أخيراً، لدينا مذكرة مكتبة الكونغرس بتاريخ 9 يناير 1952، والتي توضح تفاصيل "مكتبة هتلر" بعد وصولها إلى الولايات المتحدة ولكن قبل انضمامها إلى مجموعة الكتب النادرة. كتب التقرير الداخلي أرنولد جاكوبيوس، أمين مكتبة مدرب تم تعيينه على أساس مؤقت لتقديم رأي خبير حول كيفية التصرف النهائي بالكتب. في النهاية، خفض جاكوبيوس عدد الكتب إلى 1200 من خلال التوصية بأن تحتفظ مكتبة الكونغرس فقط بتلك الكتب التي تحتوي على إهداءات، وهوامش، أو بطاقة تحمل اسم هتلر. في هذه العملية، "حيّد" جاكوبيوس المئات من كتب هتلر التي تم استيعابها بشكل مجهول في المجموعة الرئيسية أو تم إرسالها إلى قسم التوزيع، حيث تم توزيعها على المكتبات العامة في جميع أنحاء الولايات المتحدة. لقد كان قراراً مفهوماً وربما ضرورياً، نظراً لقيود المساحة، ولكن من شبه المؤكد أن عدداً كبيراً من عمليات الاستحواذ الشخصية لهتلر تلاشت في هذه العملية، بما في ذلك الكتاب الذي يشير إليه بيلاك في سرده، وهو كتاب "إرشادي" بعنوان فن أن تصبح خطيباً في بضع ساعات.

تهدف هذه الأوصاف الأربعة المباشرة لمكتبة هتلر إلى تكملة سردي الخاص وتزويد القارئ بوجهات نظر إضافية حول الرجل وكتبه.

الملحق أ

من "هذا هو العدو"، بقلم فريدريك أوشسنر، 1942

اكتشفت أن مكتبة [هتلر] الشخصية، المقسمة بين مقر إقامته في المستشارية في برلين ومنزله في أوبرسلازبيرغ في بيرتشسغادن، تحتوي على ما يقرب من 16,300 كتاب. يمكن تقسيمها بشكل عام إلى ثلاث مجموعات:

أولاً، القسم العسكري الذي يحتوي على حوالي 7000 مجلد، بما في ذلك حملات نابليون؛ الملوك البروسيين؛ حياة جميع الحكام الألمان والبروسيين الذين لعبوا دوراً عسكرياً؛ وكتب عن جميع الحملات العسكرية المعروفة في التاريخ المسجل تقريباً.

هناك عمل ثيودور روزفلت عن الحرب الأمريكية الإسبانية، وأيضاً كتاب للجنرال فون شتوبين، الذي درب قواتنا خلال الثورة الأمريكية. أما [ويرنر فون] بلومبيرغ، عندما كان وزيراً للحرب، فقد قدم لهتلر 400 كتاب ومنشورات ودراسات عن القوات المسلحة للولايات المتحدة وقد قرأ الكثير منها.

الكتب العسكرية مقسمة حسب الدول. تلك التي لم تكن متوفرة باللغة الألمانية قد ترجمها هتلر. كثير منها، وخاصة تلك المتعلقة بحملات نابليون، تحتوي على هوامش كثيرة بخط يده. هناك كتاب عن حرب تشاكو [حرب 1932-35 بين باراغواي وبوليفيا] للجنرال الألماني [هانز] كوندت، الذي كان في وقت ما (مثل الكابتن إرنست روم) مدرباً للقوات في بوليفيا. هناك أعمال شاملة عن الزي الرسمي، والأسلحة، والإمداد، والتعبئة، وبناء الجيوش في وقت السلم، والمعنويات، والمقذوفات. في الواقع، ربما لا توجد مرحلة واحدة من المعرفة العسكرية، قديمة أو حديثة، لم يتم تناولها في هذه المجلدات البالغ

عددها 7000 مجلد، ومن الواضح تماماً أن هتلر قد قرأ العديد منها من الغلاف إلى الغلاف.

يغطي القسم الثاني من حوالي 1500 كتاب مواضيع فنية [مثل] الهندسة المعمارية والمسرح والرسم والنحت، والتي تُعتَبر، بعد الموضوعات العسكرية، اهتمام هتلر الرئيس. تتضمن الكتب أعمالاً عن السريالية والدادائية، على الرغم من عدم استخدام هتلر لهذا النوع من الفن.

يمكن ترجمة إحدى ملاحظاته الهامشية الساخرة تقريباً: "الفن الحديث سيحدث ثورة في العالم؟ تعفن!" في كتابة هذه الملاحظات، لم يستخدم هتلر أبداً قلم حبر بل قلماً قديم الطراز أو قلم رصاص لا يمحى.

في الأدراج الموجودة أسفل رفوف الكتب، لديه مجموعة من الصور والرسومات [لـ] مشاهير الممثلين والراقصين والمغنين من الذكور والإناث. يحتوي أحد الكتب عن المسرح الإسباني على رسومات وصور إباحية، لكن لا يوجد قسم خاص بالمواد الإباحية، على هذا النحو، في مكتبة هتلر.

يتضمن القسم الثالث أعمالاً في علم التنجيم والروحانية تم شراؤها من جميع أنحاء العالم وترجمتها عند الضرورة. هناك أيضاً صور روحية، و200 صورة للأبراج النجمية لأيام مهمة في حياته مخزنة بشكل آمن. ذيّلها بخط يده ولكل منها مظروف منفصل خاص بها.

في هذا القسم الثالث هناك جزء كبير مخصص للتغذية والنظام الغذائي. في الواقع، هناك على الأرجح ألف كتاب حول هذا الموضوع، كثير منها تحتوي على هوامش مفصلة، تلك التعليقات الهامشية بما في ذلك الملاحظة النباتية "قدر الأبقار هو إنتاج الحليب؛ الثيران لجر الأحمال". توجد عشرات الكتب عن تربية الحيوانات مع صور الفحول والأفراس ذات الأسماء الشهيرة. إحدى الزوايا النفسية المثيرة للاهتمام هنا هي أنه حيث تظهر الفحول وإناث الخيول

على صفحات متقابلة، تم شطب العديد منها بقلم رصاص أحمر على أنها مجرد إناث أقل شأناً وغير مهمة مقارنة بالفحل الذكر.

يوجد حوالي 400 كتاب عن الكنيسة - كلها تقريباً عن الكنيسة الكاثوليكية. هناك أيضاً قدر كبير من المواد الإباحية هنا، والتي تصور الترخيص المزعوم من الكهنوت: جرائم مثل التهم المختلقة في محاكمات الفجور التي أجراها النازيون ضد القساوسة في ذروة الهجوم على الكنيسة الكاثوليكية. العديد من ملاحظات هتلر الهامشية في هذا القسم الإباحي مقرفة وغير مهذبة. تظهر بعض الصور الباباوات والكاردينالات وهم يتفقدون القوات في لحظات من التاريخ. الهوامش هنا هي: "لن تتكرر أبداً" و"هذا مستحيل الآن"، مما يدل على أن هتلر يقترح أنه لن يُسمح أبداً لأمراء الكنيسة مرة أخرى بتولي مناصب سياسية يمكنهم فيها قيادة الجيوش وممارسة سلطات دنيوية. هتلر نفسه كاثوليكي، وإن لم يكن ممارساً لها.

ما يقرب من 800 إلى 1000 كتاب من الخيال الشعبي البسيط، وكثير منها محض هراء بلغة بسيطة. هناك عدد كبير من القصص البوليسية. لديه كل أعمال إدغار والاس (Edgar Wallace). كتب المغامرات للروائي جي. أي هينتي (G. A. Henty)؛ العديد والعديد من الكتب الرومانسية، بما في ذلك تلك التي كتبتها الأخت الرومانسية الرائدة في ألمانيا هيدوينغ كورتس-ماهلر (Hedwig Courths-Mahler)، حيث يتناقض بشكل حاد الغنى والفقر والقوة والضعف وينتصر فيها الشرف والعفة وتتزوج السكرتيرة الحلوة من رئيسها المليونير. كل هذه المجلدات المشبوبة بالعاطفة في أغلفة محايدة حتى لا تكشف عن عناوينها. قد يقرؤها هتلر، لكنه لا يريد أن يعرف الناس ذلك.

من بين المفضلات لدى هتلر مجموعة كاملة من قصص الهنود الأمريكيين كتبها الألماني كارل ماي، الذي لم يزر أمريكا من قبل. هذه الكتب معروفة لكل شاب ألماني، وولع هتلر بها كقراءة بجانب السرير يوحي بأنه، مثل العديد

من الألمان البالغين من العمر ثلاثة عشر عاماً، قد ذهب للنوم مع مآثر "أولد شاترهاند"[34] تترنح في دماغه. مجموعة هتلر، التي قدمها إليه المارشال غورينغ، مغلفة بغلاف باهظ الثمن ومحفوظة في علبة خاصة. كلها تقريباً مهترئة ومقروءة وعادة ما يمكن العثور على واحد أو اثنين في خزانة الكتب الصغيرة بجانب السرير ملفوفة بستارة خضراء في غرفة نوم هتلر.

يتم تمثيل الأعمال الاجتماعية بقوة في المكتبة، بما في ذلك كتاب فريد من نوعه لروبرت لي، كتب في عام 1935، حول المشاكل الاجتماعية العالمية وحلولها. لم يتم تداول هذا الكتاب. طُبعت ستة آلاف نسخة، ودُمرت 5999؛ النسخة الوحيدة المتبقية هي نسخة هتلر. السبب: يجب تقديم جميع الكتب والنشرات الخاصة بالاشتراكية القومية إلى لجنة خاصة للحزب قبل طرحها للنشر، كما يجب عرض كتب الأفراد النازيين البارزين على هتلر نفسه. الكتاب، من تأليف لي، وهو الوثني الشهير، قد جعل هتلر مثالياً لدرجة أنه هو نفسه لم يستطع تحمل نشره.

كتاب آخر تم إخفاؤه في مكتبة هتلر هو عمل ألفريد روزنبرغ عن الكنيسة-النازية المقترحة، والتي يوجد منها اليوم اثنتا عشرة نسخة فقط مُثبَتة، على الرغم من وجود نسخ كربونية مطبوعة على الآلة الكاتبة لبعض الفقرات وبطرق غامضة تم تداولها بقدرٍ ما في الولايات المتحدة.

في الأيام السابقة، عندما كان لديه الوقت، اعتاد هتلر على ربط كتبه التالفة. حقق كفاحي، الأكثر مبيعاً لهتلر، ثروة خيالية تقدرها الدوائر المصرفية الألمانية بحوالي 50,000,000 مارك (20,000,000 دولار بالأسعار الرسمية). مع جزء من هذا المبلغ، جمع هتلر مجموعة من الأحجار الكريمة تقدر قيمتها

34 Old Shatterhand، هـي شـخصية خيالية في روايـات الغـرب الأمريـكي للـروائي الألمـاني كارل مـاي، وهـو الصديـق الألمـاني وشـقيق الـدم للبطـل وينيتـو، الزعيـم المتخيـل لقبيلـة ميسـكاليرو التابعـين لشـعب الأباتـشي.

بنحو 20,000,000 رايخ مارك، والتي يحتفظ بها في خزنة خاصة مبنية داخل جدار منزله في بيرتشسغادن.

تم شراء الحجارة له في أجزاء مختلفة من العالم من قبل صديقه ماكس آمان، رئيس شركة النشر النازية Eher Verlag، التي يهتم بها هتلر. كان هتلر هو من وضع ماكس آمان مسؤولاً عن دار نشر إيار، واتضح أنه عمل مربح؛ يقدر المصرفيون ثروة آمان اليوم بحوالي 40,000,000 رايخ مارك. مع سيطرة أوتوقراطية مطلقة على جميع مؤسسات النشر في ألمانيا، فلا عجب أن هذه الدار النازية تضاعفت لتصبح مشروعاً مربحاً بشكل استثنائي لكل شخص مرتبط بها، بما في ذلك أدولف هتلر. لم يجد مستشار الرايخ أبداً أنه من الضروري استخدام راتبه الرسمي، والذي يحول جزءاً كبيراً منه إلى الأعمال الخيرية.

من بين الكتب الموجودة في مكتبة هتلر مجلد واحد يغطي مجالاً لطالما أبدى فيه اهتماماً خاصاً: دراسة الأيدي، بما في ذلك تلك الخاصة بأكبر عدد ممكن من المشاهير على مر العصور. في الواقع، يبني هتلر قدراً كبيراً من حكمه على الناس بأيديهم. في محادثته الأولى مع بعض الشخصيات، سواء أكانت سياسية أم عسكرية، ألمانية أم أجنبية، عادة ما يراقب أيديهم بعناية شديدة - شكلهما، سواء كان يتم الاعتناء بهما جيداً، سواء كانت طويلة وضيقة أو قصيرة بدينة وثخينة، يراقب شكل الأظافر والمفاصل وهلمَّ جرا. تساءل العديد من الجنرالات والدبلوماسيين لماذا أصبح هتلر أحياناً، بعد بدء محادثة بطريقة ودية وودودة، لطيفاً مع تقدم الوقت، وغالباً ما يغلق الخطاب باقتضاب أو فجأة دون إحراز تقدم كبير. علموا لاحقاً فقط أن هتلر لم يكن مسروراً بشكل أيديهم.

الملحق ب

من تقرير سري للجيش الأمريكي فيلق مكافحة التجسس الحادي والعشرون، مايو *1945*

بالإضافة إلى ذلك، كان لدى هتلر مكتبة خاصة بها عدد كبير ولكن غير محدد من الكتب. في الزاوية البعيدة تم ترتيب كراسي الاستلقاء ومصابيح القراءة. كانت معظم الكتب تهتم بالفن والعمارة والتصوير وتاريخ الحملات والحروب. أظهر فحص متسرع للكتب المتناثرة أنها تفتقر بشكل ملحوظ إلى الأدب وتكاد تكون خالية تماماً من الدراما والشعر.

كان هناك العديد من الكتب التي توضح أنواع العمارة في جميع أنحاء العالم، أحدها يتتبع العمارة المحلية المبكرة في ولاية بنسلفانيا والآخر عن المباني العامة الأمريكية.

هناك أيضاً كتب الانتقادات لإيمانويل كانط وكذلك الأمير لمكيافيلي. كان أحد المؤلفين الأمريكيين القلائل الذين تم تمثيلهم هو كتاب هاري إلمر بارنز (Harry Elmer Barnes)، نشأة الحرب العالمية.

كتاب كبير الحجم مطبوع بخط قوطي ثقيل يوضح أنساب هتلر وملاحظة مكتوبة على ورقة غفل توضح أنه تم إعداده وتقديمه من قبل أحد المعجبين.

حملت العديد من الكتب لوحة كتب هتلر، "Ex Libris Adolf Hitler". يتكون هذا من نسر أسود منقوش بأجنحة ممدودة يحمل الصليب المعقوف بين مخالبه.

لم يُظهر أي من الكتب التي تم فحصها إشارة على الاستخدام المكثف. لم يكن فيها ملاحظات هامشية أو خطوط أساسية.

الملحق ت

"مكتبة الهاوي: لمحة عن المكتبة الشخصية للسيد هتلر"، بقلم هانز بيلاك، صحيفةSÜDDEUTSCHE ZEITUNG، 9 نوفمبر 1946

أربع سيارات شحن مليئة بالأدب الاشتراكي القومي من كل نوع ستتجه في رحلة من ميونيخ إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الأيام المقبلة. تم إرسال المجموعة الواسعة، التي تتضمن مكتبة هتلر الخاصة، إلى مكتبة الكونغرس الأمريكية وستُستخدم كمرجع للطلاب وغيرهم من الأفراد المهتمين الذين يرغبون في تتبع تطور النازية. لأول مرة تقدم صحيفة الألماني الجنوبي (Süddeutsche Zeitung) تقريراً عن مكتبة هتلر.

من بين العديد من "الآثار المقدسة النازية" التي وقعت بأيدي الأمريكيين هي المكتبة الشخصية للسيد هتلر. لقد تم الاحتفاظ بها في خزائن الكتب المشغولة بعناية في مستشارية الرايخ في برلين حتى وقت قريب. قبل أسابيع قليلة من سقوط برلين في قبضة كماشة الحلفاء، جاؤوا إلى ميونيخ. تبين مدى سرعة حدوث ذلك بالطريقة التي تمت تعبئتها بها. تم تخزينها في صناديق شنابس قديمة موجهة إلى مستشارية الرايخ. من الواضح أنهم أُرسلوا على عجل.

تُعتبر المكتبة نفسها، ككل، مثيرة للاهتمام فقط لأنها مكتبة رجل دولة "عظيم". ومع ذلك فهي غير مثيرة للاهتمام. إنها مكتبة نموذجية للمهتم. يمكنك أن ترى كراهية هتلر لـ "المتعلمين"، الذين "في الحقيقة ينفرون أنفسهم أكثر وأكثر من العالم حتى ينتهي بهم الأمر إما في مصحة أو كسياسيين" (كفاحي، الفصل 2). بالنسبة لأي شخص مطلع على "كفاحي"، فإن جودة

مكتبته لن تكون مفاجئة. رجل يمكنه أن يقول، "في غضون سنوات قليلة خلقت [من خلال القراءة الحماسية في شبابي] أساس المعرفة الذي [!] ما زلت أحذو وفقه اليوم". لم يكن بحاجة حقاً إلى مكتبة منتقاة بطريقة منهجية في السنوات الأكثر نضجاً من حياته. حتى لو قرر في النهاية أن يصبح سياسياً.

يتكون جزء كبير من مكتبته من أعمال فرنسية في الفن والعمارة، بما في ذلك منشورات رائعة عن محبة الكتب في مجلدات مغربية قديمة غنية بالزخارف، والعديد من الدراسات عن فنانين فرديين، بالإضافة إلى مجموعات خاصة من الأعمال القديمة والجديدة في فن العمارة المسرحي. المجلدات غير المغلفة كلها غير مقروءة ولا تُظهر أي أثر للاستخدام. من الواضح أن هتلر لم يطلع أبداً على الأدب الفرنسي بأكمله. بالإضافة إلى ذلك، يتم تمثيل الهندسة المعمارية بعدد كبير من الأعمال الإنجليزية، والتي لم تُظهر أيضاً أي علامات على استخدامها. يوجد عدد قليل جداً من الكتب الألمانية حول الفن والهندسة المعمارية، باستثناء عدد قليل جداً من الصحف القديمة غير المكتملة.

عندما يتعلق الأمر بالأدب السياسي، تحتوي المكتبة على كتابات حزبية بشكل شبه حصري؛ لا يتم تمثيل السياسة رفيعة المستوى، ولا توجد حتى أعمال بسمارك أو رجال الدولة الألمان الآخرون، ولا توجد مؤلفات المذكرات الواسعة حول الحرب العالمية الأولى والسياسة بعد عام 1918. الأعمال الشهيرة لويلسون، تشرشل، بوانكاريه، مجموعة خاصة كبيرة من مؤسسة كارنيغي مفقودة، وكذلك أعمال رجال الدولة العظماء في الماضي (كرومويل، نابليون، تاليران، إلخ). بالنسبة لفريدريك العظيم، هناك أربعة مجلدات فقط من طبعة جماعية كبيرة لا تزال مغلفة بغلافها من الناشر.

كما تفتقد مكتبة هتلر الرسمية في برلين للأعمال المهمة في الدين والفلسفة وتاريخ العالم وتاريخ الحرب والجغرافيا. لا توجد أعمال عن الاقتصاد الوطني وتاريخ الاقتصاد (باستثناء [غوستاف] روهلاند)، ولا توجد أعمال رافدة من

ـنوء والتكنولوجيا الوطنية. لا يوجد عمل واحد في المكتبة يذكرنا بوجود شـاعر ألماني في مكانة عالمية، لأنه لا يمكنك اعتبار الروايات التي لدينا، كلها من نار إيار، على أنها تنتمي إلى الأدب الألماني. كما قيل، بينما كان الأدب الألماني الجيد قبل عام 1933 مفقوداً بالكامل تقريباً، هناك أعمال فردية لمؤلفين أحياء، ممثلة بالكتب المخصصة لهتلر. [إدوين إريك] دوينغر، وهانس جوهست، وأجنيس ميغل، وهانز هينز إيورز ("هورست ويسل")، من بين آخرين، يحاولون التفوق على بعضهم البعض في التفضيل والتذلل.

تحتوي المكتبة على سلسلة قيمة كاملة تقريباً من مجلة Leipziger Illustrierte Zeitung. وتجدر الإشارة بشكل خاص إلى التقرير السنوي لعام 1940 لشركة Daimler Benz والذي يتكون من أربعة وخمسين (!) مجلداً كبيراً من المخطوطات مع عدد لا يحصى من الصور من المصنع. بناءً على هذا التقرير، من الواضح أن الحياة الاقتصادية للشركة بأكملها كانت مبعثرة من قبل الحزب النازي وتمت إساءة استخدامها لأغراض سياسية للحزب. حتى وقت فراغ العمال قد سُرق حتى اللحظة الأخيرة من قبل الأنشطة الحزبية. على النقيض من ذلك، هناك أدبيات علمية زائفة واسعة النطاق تتعامل مع الأسئلة الكبيرة حول الدين والفلسفة بطريقة مطردة وروح الدعابة عن غير قصد. من بين هذه الكتب ما يسمى بـ "كيف تنجح" لشيلباخ، من بين كتب أخرى، أو الكتيب الغريب "فن أن تصبح خطيباً في بضع ساعات".

يُظهر عدد كبير من ألبومات الصور، كلها تقريباً مغلفة بالجلد أو الرق، تشكيل منظمات محلية مختلفة، [و] الاحتفالات الحزبية تذكر بالاحتفالات الافتتاحية لبيوت الشباب وما شابهها. يتعامل عدد كبير من المخططات المعمارية مع المباني الحزبية المختلفة في أوبرسلازبيرغ، في برلين، ميونيخ، نورمبرغ، إلخ. لا يوجد رسم تخطيطي واحد أو تصميم أو تعليمات لمهندس معماري كُتب بيد هتلر! لا يحتوي أي من الكتب الموجودة في المكتبة على

أرقام أو أي نوع من رقم الفهرس. لا تعكس هذه المكتبة بأي حال من الأحوال حالة الحياة الروحية الألمانية أو ثقافة الكتاب الألمانية المتطورة. لا يوجد مجال معرفي واحد يتم تمثيله بشكل منهجي، ولا حتى هواياته مثل الهندسة المعمارية والفن؛ على الرغم من أنه كان "مقتنعاً بشدة بأن يصنع لنفسه اسماً في النهاية كمهندس معماري". مكتبة هتلر هي مكتبة لرجل لم يسعَ مطلقاً إلى اكتساب المعرفة الشاملة والتعلم في أي مجال بعينه. إن افتقار هذه المكتبة تماماً إلى تلك الأشياء التي ستكون ضرورية للغاية لاتخاذ القرارات المناسبة في لحظات الأمور المهمة للدولة (تاريخ العالم، تاريخ الحرب، الجغرافيا الاقتصادية، سياسة الدولة، إلخ) هو سمة من سمات أساس المعرفة التي اتخذ هتلر قراراته على أساسها.

الملحق ث

"تقرير عن مجموعة أدولف [كذا] هتلر والتوصيات المتعلقة بترتيبها،" بقلم أرنولد ج. جاكوبيوس، متدرب، إلى فريدريك آر جوف، رئيس قسم الكتب النادرة، مكتبة الكونغرس، 9 يناير 1952

تتعامل أغلبية الكتب في مجموعة أدولف [كذا] هتلر مع الاشتراكية القومية وقادتها وتاريخها وخلفيتها الأيديولوجية أو ترتبط بها. بينما تفتقر تماماً تقريباً للكتاب الألمان الكلاسيكيين والروائيين، المرتبطين عموماً بالمكتبات الألمانية الخاصة. هناك عدد من الكتب عن التاريخ والفن يعود تاريخها إلى فترات ما قبل الحقبة النازية، لكن معظم هذه الكتب أيضاً له علاقة بالأيديولوجيات النازية.

من بين المواد الموجودة في المجموعة، يمكننا تمييز المجموعات التالية:

1. كتب خاصة مطبوعة و / أو مجلدة لهتلر (100)

2. الكتب المتاحة للجمهور في وقت دمجها في مجموعة هتلر - العديد منها طبعات فاخرة ونسخ مهداة (1400)

3. مخطوطات وشهادات فخرية - على ورق أو مثبتة ومجلدة - مهداة إلى هتلر (100)

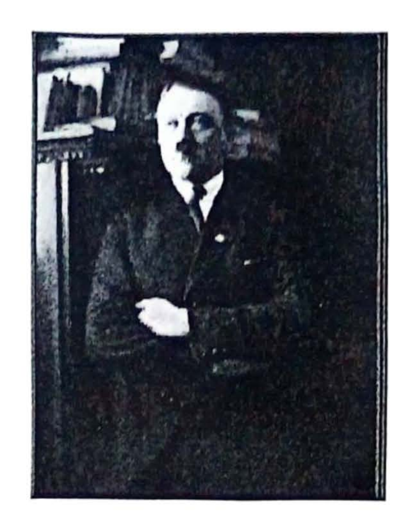
4. ألبومات الصور، وبعضها يحتوي على تسميات توضيحية مقتضبة مكتوبة على الآلة الكاتبة، وأوصاف و / أو صفحات إهداء مزخرفة (100)

5. الحقائب التي تحتوي على نسخ من الأعمال الفنية والصور الفوتوغرافية وما إلى ذلك (50)

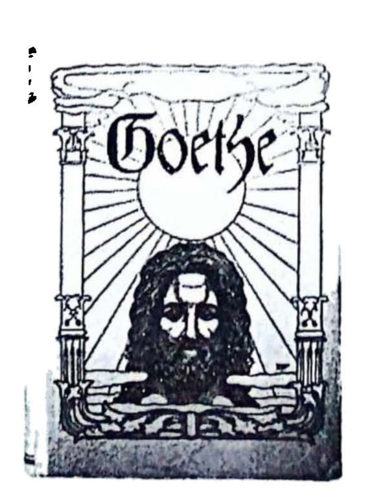
6. مواد متنوعة مثل الرسائل والقصاصات والصور المركبة والملصقات والمذكرات وما إلى ذلك (رفان)

7- دوريات مجلدة (150)

كشفت الفحوصات الفورية عن القليل من الملاحظات الهامشية أو التوقيعات أو ميزات أخرى مماثلة ذات أهمية؛ في الواقع، يبدو أن معظم الكتب لم يطلع عليها مالكها مطلقاً. في معظم الحالات، يمكن التعرف على الكتب على أنها تنتمي إلى هتلر من خلال لوحة كتبه الشخصية أو عن طريق إهداءات كتابية. ومع ذلك، في عدد كبير من العناصر لا يمكن إثبات الملكية على أساس الأدلة المباشرة. لسوء الحظ، يبدو أنه في عملية نقل كتب هتلر إلى موقعها الحالي اختلطت معها بعض المواد الغريبة، بحيث يصعب تحديد ما إذا كانت بعض الكتب تنتمي إلى مكتبة هتلر أم لا.



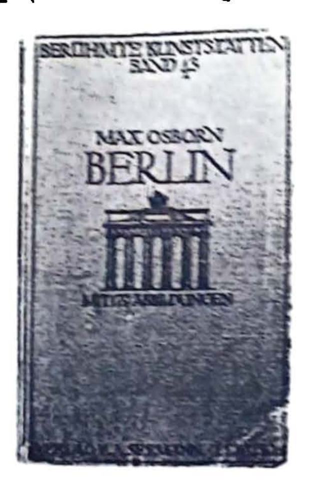
أدولف هتلر، 36 عاماً، يقف أمام كتبه في شقته الأولى في ميونخ.



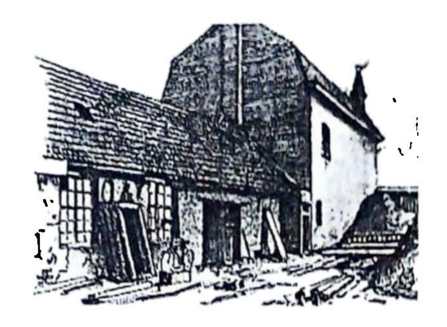
أهدي هتلر هذه الأنطولوجيا عن شعر غوته بعد فترة وجيزة من
خروجه من السجن في ديسمبر 1924، من أجل "ساعاته الجادة والوحيدة".



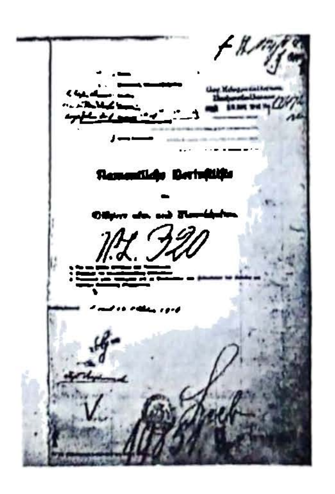
صورة من نسخة هتلر من مذكرات حرب لصديقه في الحرب أدولف ماير.
تقول الجملة الألمانية: المتطوع أدولف هتلر، منظم مع الفوج، مايو 1915



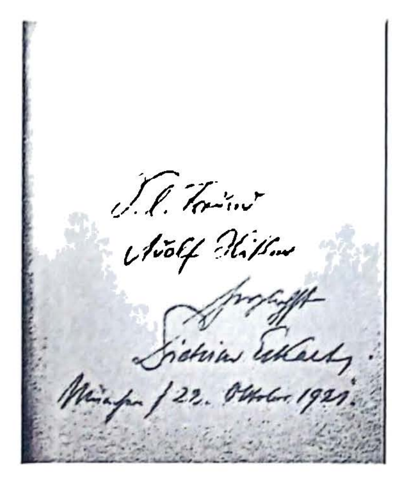
حصل هتلر على هذا الدليل لمدينة برلين في نهاية نوفمبر 1915، بينما كان يخدم على الجبهة الغربية.



رسمة هتلر لبيت المزرعة بالقرب من فورن. من نسخته الخاصة لأعماله الفنية إبان فترة الحرب والتي تم تجميعها من قبل مصوره هاينرش هوفمان.



تقرير الإصابات المرسل لهتلر والمؤرخ في 15 أكتوبر 1916. من نسخة هتلر الشخصية عن سجله العسكري.



"إلى صديقه العزيز أدولف هتلر" - إهداء ديتريش إيكهارت لكتاب بير غينت.



"أريد تحقيق العظمة"، يصرح بير غينت. من المشهد الافتتاحي لمسرحية بير غينت التي اقتبسها ديتريش إيكهارت.



Bücher, die jeder Nationalsozialist kennen muß:

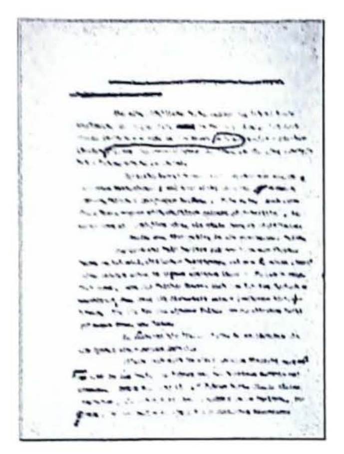
[illegible], Die Juden im Heer
— Die Juden in den Kriegsgesellschaften
[illegible], [illegible] deutsche Wirtschaftsbilliarde
Beek, zur, Die Geheimnisse der Weisen von Zion, vollständige Ausgabe
— Kleine Ausgabe
Eberle, Großmacht Presse
Feder, Brechung der Zinsknechtschaft
— Der Staatsbankerott — die Rettung
— Der kommende Steuerstreik
Fritsch, Der jüdische Zeitungspolyp
— Ursprung und Wesen des Judentums
— Jüdische Selbstbekenntnisse
Ford, Der internationale Jude, I. Band
— dto. II. Band
[illegible], Der jüdische Einfluß in Deutschland (Statistische Zusammenstellung)
— Morbus judaicus
Germanus Agricola, Schafft bill. Lebensmittel I. Teil
dto. II. Teil
— Rettung des Mittelstandes
— Geldwahn und Rettung
Günther, Rassenkunde des deutschen Volkes
— Ritter, Tod und Teufel
Jung, Der nat. Sozialismus [illegible]
— Sozialdemokratie und Judentum
Liebig, Der Betrug am deutschen Volke
Meister, Judas Schuldbuch
Rosenberg, A. Pest i. Rußland
— Die Spur des Juden im Wandel der Zeiten
— Bolschewismus, Hunger, Tod
— Unmoral im Talmud
— Der Staatsfeind Zionismus
— Wesen, Grundsätze und Ziele der nationalsozialistischen Deutschen Arbeiterpartei
Schrönghamer-Heimdal, Das kommende Reich
— Kapitalismus
— Auferstehung
Selchow, v., Der Ruf d. Tages
— Von Trotz und Treue
Tafel, Das neue Deutschland — ein Räte-Staat
Totengräber Rußlands, Zeichnungen von O. v. Kursell, Verse von Dietrich Eckart
Wichtl, Freimaurerei
— Weltfreimaurerei

Sämtliche hier vorgetragene Bücher sind von der Deutschvölkischen Buchhandlung in München, Thierschstraße 15 (Telefon 20 647) zu beziehen; Filiale am Kosttor 2, nächst dem Hofbräuhaus (Telefon 23 [illegible]).

قائمة هتلر بالكتب الموصى بقراءتها على بطاقة عضوية الحزب النازي
تضم أعمال ديتريش إيكهارت، ألفرد روزنبيرغ، غوتفريد فيدر وهنري فورد.

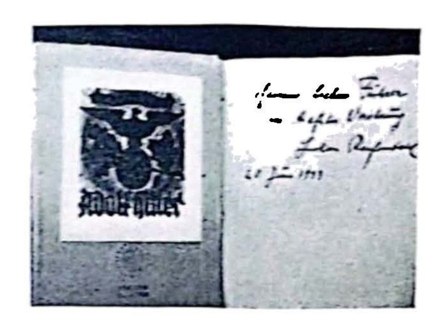


هتلر في سجن لاندسبيرغ، 1924، من مذكرات هانز كالينباخ. أهدى
الكاتب المذكرات لـهتلر بعبارة "ليحمي الرب قائدنا!"



مسودة هتلر لمقدمة كتاب كفاحي مكتوبة في سجن لاندسبيرغ في أبريل 1924.
لاحظ البداية الخاطئة لجملة البداية، والتي تم تعديلها مرة أخرى قبل النشر.

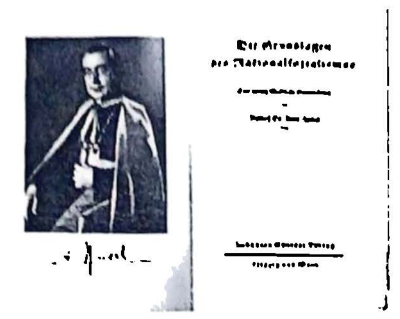
الصفحة الأولى من الجزء الثاني لـ كفاحي غير المنشور،
والذي كتب في صيف 1928. لاحظ عدد التصحيحات القليلة التي تمت
مقارنتها بصفحة المخطوطة الأولى لـ كفاحي.



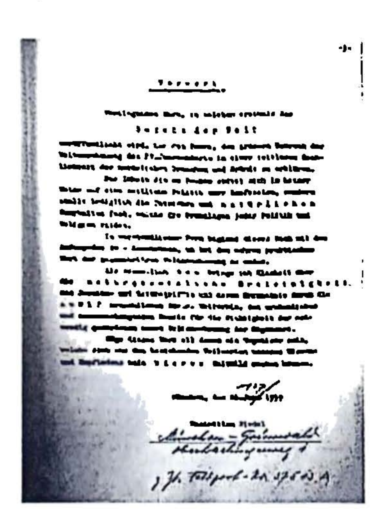
إهداء ليني ريفنستال في المجلد الأول للأعمال الكاملة لـ غوتليب فيخته.



صفحة من نسخة هتلر للطبولوجيا العرقية لـ هانز غونثر حول السكان الألمان، تصوِّر اليهود من مختلف المناطق الألمانية.



نسخة من أسس القومية الاشتراكية لـ ألويز هودال والتي أعطيت لـ هتلر في نوفمبر 1936 كجزء من الخطة لتقسيم الحركة النازية.



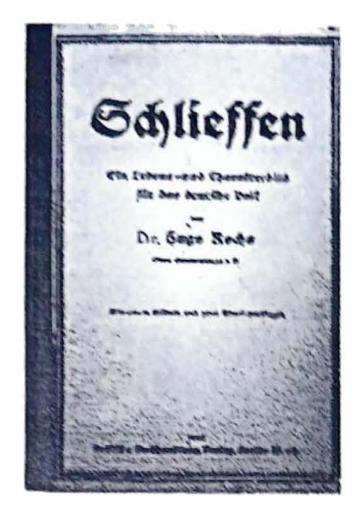
صفحة الغلاف لمخطوطة غير منشورة بعنوان "قانون العالم" أرسلها ماكس ريدل إلى هتلر في أغسطس 1939.



كتاب زوار البرغهوف، من تصميم فريدا تيرتش، ويضم أسماء نخبة من الزوار. قام جندي فرنسي بسرقته بعد الحرب.



هتلر جالساً بجوار النافذة في معتكفه في جبال الألب في أوبرسلازبيرغ، حيث قال مرة إن "كل خططه العظيمة" تشكلت هناك.



نسخة هتلر لكتاب شليفين لـ هوغو روش.

Ihr ergebener

الصفحة الأخيرة من رسالة هتلر لـ هيدين.



Historien

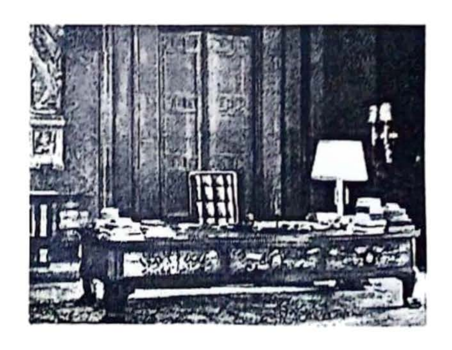
alten Fritz,

dem großen König und Helden;

Volksbüchlein,

Berlin,

تاريخ قديم عن فريدريك العظيم، وهو واحد من الكتب الكثيرة التي امتلكها هتلر حول بطله البروسي.



مكتب هتلر في مستشارية الرايخ الجديدة، حيث استمر بالعمل خلال الأشهر الأخيرة للحرب. لاحظ الكتب على جانبي المكتب.



مكتبة هتلر في قسم الكتب والمخطوطات النادرة في الكونغرس، كما صُوِّرت في السبعينيات.

الفهرس

تيموثي دبليو ريباك

مكتبة هتلر الشخصية

يفحص تيموثي دبليو ريباك بطريقة سردية مثيرة حياة هتلر مع الكتب منذ الكتاب الأول الذي اشتراه في يوم اثنين كئيب من أواخر نوفمبر من العام ١٩١٥ بالقرب من الجبهة في شمال فرنسا من مكتبة فورنس عن التاريخ المعماري لمدينة برلين وحتى أصبحت ثلاثة آلاف كتاب مخبأة في صناديق البيرة في منجم في بافاريا – بقيت سليمة بعد انتهاء الحرب – قارئاً هوامشها واهداءاتها وتعليقاته عليها مبيناً لنا أن العلاقة بين الرجل وكتبه تتطور بينما هو ينتقل من خنادق الحرب العالمية الأولى إلى مستشارية الرايخ في الثلاثينيات إلى القبو حيث أمضى أيامه الأخيرة، يقدم ريباك بأمانة القصة التي ينسجها حول كتب هتلر الخاصة مقدماً وجهات نظر جديدة، فعلى الرغم من الأدبيات الهائلة التي كتبت عن هتلر، لكن هذا الكتاب يقلب جميع التوقعات، فالخطر الذي كان عليه هتلر يتربص في الخلفية، هناك في الكتب التي كان يقرأها. لذا يعد هذا الكتاب واحداً من أهم الكتب عن أفكار هتلر وكاشفاً لأسرار حياته.



تصميم الغلاف
لمى عبود